

مَسْرُحِيَّاتٌ

وَلَمْ يَشْكِبْهَا

الكَامِلَةَ

لِلْكَالِهِ

تَرْجِمَ

أ. ر. مَسْطَاطِي ج. بُونِس

إِشْرَافٌ وَتَشْرِيمٌ  
نُظْمٌ بِرُحْمَةٍ

تَوْزِيْعٌ  
دَارُ الْجَيْلِ



مَسْرَحِيَّات  
وَلِيَمِ شَكْسِير  
الكَامِلَة

لِلْمَلَاهِي

②

تَعْرِيب  
أ. ر. مَشَاطِي ج. يُونَس

إِشْرَافٌ وَتَقْدِيمٌ  
نَظِيرُ عِبُود

دَارُ نَظِيرِ عِبُود

خوئنده الترجمة محفوظ  
لدارنظير عيسوي  
بيروت

صائب : ١١ / ٨٠٨٦ / تلفون : ٩٢٦٧٧٢ - ٩٢٤٧١٤

## يحتوي هذا المجلد على :

- ٧ ..... ترويض الشرسة
- ٩٥ ..... العبرة في النهاية
- ١٩١ ..... الليلة الثانية عشرة
- ٢٦٧ ..... حكاية الشتاء



# ترويض الشرسة

تعريب

أ.ر. مشاطي



## أشخاص المسرحية

المقدمة :

لورد.

كريستوفر إسلاي : نحاس سكير.

مضيقة في حانة.

غلام.

مشلون.

وُصفاء — صيادون — خدم.

المسرحية :

باتيسنا : غني من أعيان بادوا.

فنستيو : عجوز من أعيان بيزا.

لوستيو : ابن فنستيو، وعاشق بيانكا.

بتروسيو : من أعيان فيرونا، وعاشق كاترينا.

جيراميو : عجوز من الأعيان، وعاشق بيانكا.

هورتسو: شاب عاشق بيانكا

ترانيو: وصيفا لوستيو.

بيوندالو:

كريميو: {  
كرتيس: {  
مربي: {  
كاترينا: {  
بيانكا: {  
ارملة: {

خياط — صانع قبعات — مدعوون الى العرس — خدم

تجري الأحداث تارة في بادوآ، وطوراً في بيت ريفي يخص بتروسيو.

## المقدمة

### المشهد الأول على العشب، أمام حانة

(تدخل المضيضة وتبجها اسلاي)

اسلاي: (بصوت مخمور) قسماً بشرفي، سأقتص منك.  
المضيضة: اذهب الى الجحيم، أيها المتشرد  
اسلاي: يا لك من سافلة. ان أسرة إسلاي ليست من المتشردين. اطلعي على  
الأخبار، تجدي اننا جئنا بمعية ريكاردوس الفاتح. عليك أن تريحي الناس من  
شرك، يا منافقة.  
المضيضة: ألا تريد أن تدفع ثمن ما كسرته من أقذاح؟  
اسلاي: كلا. لن أدفع فلساً واحداً. برّبك، اذهبي عني وانديسي في فراشك  
البارد لتدفي جسمك القذر.  
المضيضة: أنا أعرف دواءك. سأستدعي العريف.  
اسلاي: استدعي العريف والرقيب ثم النقيب ان شئت، فسأرد عليهم جميعاً،  
ولن أترشح قيد أنمل، شرط أن يلتزموا الأدب.

(تتمدد على الأرض لينام)

( يسمع صوت نغير . يدخل لورد بنياب القنص ويجمعه صيادون ووصفاء ) .

اللورد : أيها الصياد، أوصيك بأن تعتني جيداً بكلابي، ولا سيما المدعو « نسيط » لأن الحيوان المسكين قد أنهكه التعب. وأزوج كلبتي « فضة » وذاك الكلب العريض الشدين. هل رأيت، يا غلام، كيف أسرع « الأسود » راكضاً الى زاوية السياج حين قصر سائر الكلاب ؟ اني مصمم على أن لا أفقد هذا الحيوان الفريد ولو كلفني عشرين ديناراً.

الصياد الأول : ان الكلب « سريع » يساويه، يا مولاي. فقد نبح حالما انحرفت الطريدة. واليوم هدانا مرتين الى الدرب المغطى بأوراق الشجر المتناثرة. صدقوني، انه أمهر كلاب الصيد طراً.

اللورد : ما أغباك ا لو كان الكلب « كاسر » أرق قليلاً لساوى حسب تقديري عشرة من أمثال « سريع ». على كل حال، قدم للكلاب عشاءً جيداً واسهر عليها جميعاً، لأنني أنوي الذهاب الى القنص غداً أيضاً.

الصياد الأول : أمرك مطاع، يا مولاي.

اللورد ( وهو يبصر إسلامي ) : من هذا ؟ هل هو رجل ميت أم سكران ؟ تفحصه. هل يتنفس ؟

الصياد الثاني : نعم، يا مولاي، يتنفس، ولولا الجمعة التي تملأ رأسه بأبخرة الكحول لآوى الى فراشه كي يستريح.

اللورد : تبأ له من متسول شريد ! انه متمرغ في التراب كالخنزير القذر. كم صورتك كريهة ومفجعة أيها السكر الشبيه بالموت ! أود أن ألهو بهذا الثمل، يا سادة، فما رأيكم، لو نقلناه الى سرير مغطى بشراشف ناعمة واستيقظ ووجد خواتم في أصابعه ومائدة عامرة بالمآكل الفاخرة الى جانب سريريه ولقي حوله أشخاصاً يرتدون بزات ثمينة، هل ينسى هذا المتسول من هو ؟

الصياد الأول : بكل تأكيد، يا مولاي.

الصياد الثاني : وستستولي عليه الدهشة عندما يستيقظ.

اللورد : سيعتبر ذلك بمثابة حلم مشوق أو خيبة مريرة. هيأ، ارفعوه من هنا ورتبوا له « المقلب » بشكل مناسب. احمלוه برفق الى أجمل غرفة في

قصري، وزينوها بأروع لوحاتي الغزلية. طيبوا رأسه الوسخ بأردء العطور، واحرقوا أزكى الأخشاب رائحة لتضميخ الجناح الخاص به. وأحضروا جوقة موسيقية لتعزف فور استيقاظه أعذب الألحان، وإذا اتفق له أن يتكلم بفتنة، قدموا له حالاً، بكل تواضع، أسمى تحيات الإجلال، وأسألوه : بماذا تأمر يا صاحب العظمة ؟ ولتقدم واحد منكم يحمل طشتاً من الفضة مملوءاً بماء الورد تسبح على صفحته الزهور، وثانٍ يحمل ابريقاً، وثالث منشفة كبيرة، ويطلب من سيادته أن يتفضّل ويغسل يديه الكريمتين، وليهنيء احد مجموعة من الألبسة الفخة ويسأله أية حلة يودّ أن يلبس، ويكلمه آخر عن كلابه وخيله وعن صحة حرمه المصون التي يزعجه مرضها، وليقنعه أحدكم بأنه متقلب الأهواء، وإن رد بالإيجاب، قولوا له أنه يحلم، وإنه لا يقلّ نبلاً ومهابة عن أي سيد آخر، افعلوا ذلك يا خلّاني بكل طبعية، وسيكون المشهد أوفر تسلية إذا تمّ كل هذا بدقة وهدوء.

الصيد الأول : ثق بنا يا مولاي، سنقوم بأدوارنا على أكمل وجه، فيعتقد بأن معاملتنا له هي بالفعل حقيقة واقعية.

اللورد : احملوه برفق ومددوه على السرير، وليقف كل منكم في مكانه حالما يستيقظ. ( يحمل الوصفاء إسلاي. ويسمع صوت بوق. لوصيف ) يا غيبي، انظر ما هو مصدر صوت البوق هذا. ( يخرج الوصيف ) هذا بدون شك أحد الأعيان يستريح هنا أثناء سفره. ( يعود الوصيف ) ماذا رأيت ؟  
الوصيف : هناك فرقة ممثلين يعرضون خدماتهم على سيادتك.  
اللورد : قل لهم أن يقتربوا.

(يدخل المستلون)

اللورد : أهلاً بكم يا أصحاب.

الممثل الأول : نشكر سيادتك.

اللورد : هلاً قبلتم أن تؤانسوننا هذا الممء ؟

الممثل الثاني : نسألك يا مولانا أن تقبل خدماتنا.

اللورد : بكل طيبة خاطر ( يشير الى الممثل الأول ) أنا أذكر يا فتى أني شاهدتك تمثل مرة دور ابن أحد المزارعين، وذلك في مسرحية كنت تغازل أثناءها السيدة الكبيرة. لقد نسيت اسمك، انما أنا واثق بأنك أديت دورك بمهارة.

الممثل الأول : أظن أن سيادتكم تتكلم عن ديسوتو.  
اللورد : حقاً كنت ممتازاً، لقد أتيتم في الوقت المناسب، لا سيما أني أنوي احياء حفلة يكون حسن تصرفكم فيها عوناً كبيراً لي، هنا مولى يود أن يشاهد تمثيلكم هذا المساء، غير أنني أخشى أن لا تتمالكوا عن الضحك لدى ردة الفعل الغريبة من قبله، لأن سيادته لم يشاهد قط مسرحية، فتطفي عليكم موجة مرح عارمة فتغضبوه، إذ انه يفتناظ لمجرد رؤيته اياكم تضحكون.  
الممثل الأول : لا تخشى شيئاً، يا مولاي، سنعرف كيف نضبط أنفسنا حتى ان كان أسخف رجل في العالم أجمع.

اللورد ( لوصيف ) : اذهب، أيها الغبي، وسر بهم إلى المشرب وقدم لكل منهم ضيافة ودية، ولا تدعهم يحتاجون الى أي شيء يمكن أن يوفره لهم قصري. ( يخرج الوصيف والممثلون. يوجه كلامه إلى وصيف آخر ) وأنت أيها الأبله، اذهب وراجع غلامي برتلموس وألبسه ثياب سيدة من قمة رأسه الى اخمص قدميه، بعدئذ خذه الى غرفة السكرير، وادعوه كلكم يا سيدتي، وقدموا له أسى مظاهر التكريم، وقولوا له من قبلي : إذا أراد أن ينال حظوة في عيني، عليه أن يتصرف بموجب أنبل سلوك تتحلّى به أرقى السيدات في علاقاتهم بأزواجهن، وعاملوا السكرير بطريقة مماثلة، وأسألوه بلطف وتواضع : بماذا تأمرنا يا صاحب الميادة ؟ كيف تريد أن تظهر لك زوجتك المصون اخلاصها وحبها وخضوعها ؟ وإذ تعانقه بحنوّ وتقبله بشوق ورأسها مستند الى صدر زوجها تسيل دموع الفرح من مآقيها وهي تبصر قرينها يستعيد صحته الغالية، بعد أن خيّل اليه خلال زهاء خمسة عشر عاماً انه ليس سوى متسول حقير بائس، وإذا فقد غلامي مقدرته على ذرف وابل من الدموع كالنساء حين يشاء، فإن رائحة البصل التي تغشي عينيه كفيلة بأن تبكيه، نَفَذُوا مطلبني هذا بأقصى ما يمكن من الدقة والسرعة، وسأزودكم بعد هنيهة بتعليماتي الجديدة.

( يخرج الوصيف ) أنا واثق جيداً بأن الشاب الذي أكلفه بالأمر سيبلغ في اصطناع الرقة والصوت والحركة التي تمتاز بها المرأة الفطنة، إنني أترقب بفارغ الصبر أن أرى السكرير ينادي زوجته، وأن أشاهد رجالي كيف يتمالكون عن الضحك وهم يقدمون واجب الاحترام لهذا الجلف المفرور، وأنا ماضٍ لألقي عليهم درساً في هذا الموضوع، وربما كفى حضوري لجعلهم يضغطون شعورهم بغية المحافظة على المرح الذي يؤدي الى انفجار قهقهتهم وتعديهم الحد الذي عليهم أن يقفوا عنده.

## المشهد الثاني

### حجرة نوم في أحد القصور

( يشاهد إسلاي لابساً رداءً نخباً داخل البيت، يحيط به صفاؤه، بعضهم بملابس غنية، ومنهم من يمسك طناً وإبريقاً ولوازم شتى للزينة يدخل اللورد مرتدباً ثياب الخدم )

إسلاي : بالله عليكم، أنجدوني بقليل من الجمعة.  
الوصيف الأول : هل تريد سيادتك أن تشرب كأساً من نبيذ جزر الكناري ؟  
الوصيف الثاني : أتود سيادتك أن تذوق هذه المأكولات ؟  
إسلاي : أنا كريستوفر إسلاي، ولست مولى ولا سيداً، ولم أشرب في حياتي أي خمر من جزر الكناري. وإذا شئتم أن تطعموني، فأحب أن أكل قليلاً من لحم البقر. ولا تسألوني أي رداء أود أن ألبس، لأن ليس لي كرش وجاعة، ولا جراب يستر ساقِي، ولا حذاء يقي رجلي ولو برزت من خلاله أصابع قدمي.  
اللورد : أضرع إلى السماء أن يحمي مولاي من شر هذا المزاح الثقيل. هل يعقل أن يتَّصف رجل بمثل ذكائك وعراقة محنتك وثروتك الطائلة وعلو مقامك بما تدعيه الآن من فكاهة سمجة لا تليق بشخصك الكريم.

إسلامي : هل تريدني أن أفقد عقلي ؟ أولست أنا كريستوفر إسلامي بن برتلماوس إسلامي العجوز الذي ولد على حصار الفاقة وتربى على رسم الخرائط وكُلف بترقيص الدببة، وحالياً يتعاطى صنع القدور النحاسية ؟ اسأل عني مريانا هاكيت صاحبة نزل « ديلم كوت » البدينة، فهي تعرفني حق المعرفة لأنني مدين لها بأربعة عشر ريالاً، وإلا اعتبروني أكذب خلق الله. صدقوني أنا لا أهذي، ولا أقول إلا الحقيقة.

الوصيف الأول : هذا يغيط مولاتي.

الوصيف الثاني : بل يضايق خدمك أيضاً.

اللورد : وهذا بالذات يجعل أهلك يهربون من قصرك بسبب زوجانك المريب الذي يعمل على ابعادهم عنك. أيها المولى النبيل، فكّر بعراقة أصلك وحاول أن تتخلص من خواطرك القديمة، وبدّد عنك هذه الأحلام السخيفة المشينة. انظر كيف يبادر خدمك إلى احاطتك بالتبجيل والى تنفيذ أوامرك السنية. هل تريد أن تسمع شيئاً من الموسيقى ؟ انصت ( تسمع أنغام موسيقية )، ها هو الإله أبولون يعزف والبلابل تفرّد في القفص. هل تريد أن تنام، فمنددك على فراش وثير أنعم من الذي أعد خصيصاً لسмираيس ؟ قل أنك تريد أن تنتزه، فنفرش لك الطرقات بالسجاد. هل تريد امتطاء جواد، فنسرج لك واحداً بردعته مزينة بالذهب والآليء ؟ هل تريد أن تصطاد الطيور، فنحضر لك صقوراً مروّضة تنشط باكراً عند انبلاج الصباح ؟ هل تريد مطاردة ضواري الغابة، فنأتيك بمجموعة كلاب ماهرة يملأ نباحها أجواز الفضاء وتردد صداها الوديان والكهوف ؟!

الوصيف الأول : قل أنك ترغب في القنص، فنحضر لك كلاباً أسرع من المها وأرشق من الغزلان.

الوصيف الثاني : هل تحب اللوحات، فنذهب حالاً لنجلب لك رسم أدونيس، وهو على ضفة الساقية وفينوس مختبئة بين الغزار الذي يتمايل لدى تنفسها نظير القصب الذي ينحني أمام العاصفة ؟

اللورد : سنريك رسم الإلهة « يو » حين كانت لا تزال عذراء، وقد جرفتها

الشهوات والملذات، فبدت ألوانها الزيتية زاهية نضرة كأنها تنبض بالحياة. الوصيف الثاني : أو الإلهة « دفنة » تائهة في أرض مليئة بالشوك الذي جرح ساقتها، فتعابنها في هذا المشهد وهي تنزف وتتوجع، وإله أبولون يرثي لحالها، وينبذ دماءها السائلة ودموعها المنهمرة، البارزة في الرسم بألوان ساحرة تنضح ألماً وكآبة.

اللورد : يا مولاي، ما أنت إلا لورد، ولك زوجة أجمل من جميع نساء هذا الجيل الفاسد المنحل.

الوصيف الأول : قبل أن تتدحرج الدموع على محياها الصبوح، كانت أجمل مخلوقات العالم، وليس من امرأة تفوقها أدباً ورسالة.

إسلامي : هل أنا حقاً لورد، ولي زوجة هي سيدة مبيجلة ؟ هل أنا أحلم ؟ ألا أزال راقداً الى هذه اللحظة ؟ أنا غير نائم لأنني أبصر وأسمع وأتكلّم وأشم الروائح العطرية، وألمس الأشياء الناعمة. لعمرى أنا إذاً في الواقع لورد، ولست نحاساً ولا أدعى كريستوفر إسلامي. هيا اثتوني بزوجتي السيدة النبيلة، واجلبوا لي كأساً من الجعة.

الوصيف الثاني : هل تريد يا صاحب العظمة، أن تغسل يديك ؟ ( يقدم له الوصفاء أبريقاً وطستاً ومنشفة ) كم نحن سعداء برؤيتك، قد عدت إلى رشدك. وكم نودّ أن نراك قد عرفت من أنت حقاً، يا مولاي. فمنذ خمسة عشر عاماً قد غُصت في حلم طويل غريب أثر على مجرى حياتك، فظللت بعد استيقاظك كأنك لا تزال نائماً.

إسلامي : منذ خمسة عشر عاماً ؟ لعمرى هذا رقاد خير. وأنا لم أقل شيئاً طوال هذه المدة !

الوصيف الأول : أجل يا مولاي. إنما كلامك كان بعيداً عن الواقع وأثناء نومك هنا في هذه الحجرة البديعة كنت لا تتفكّر عن ترداد ادعائك بأننا طردناك وكنت تهاجم مضيفتك وتعلن أنك ستلاحقها أمام القضاء لأنها جاءتك بجرار من الفخار بدل القناني الفاخرة. وكنت أحياناً تنادي « سيسيل هاكيت ».

إسلامي : أجل، هيا خادمة الحانة.

الوصيف الثاني : أنت يا مولاي، لا تعرف حانة ولا خادمة ولا جميع هؤلاء الرجال الذي تسميهم، نظير اسطفان إسلاي والعجوز جون نابس وبطرس تورف وهنري بمبرنيل وغيرهم من الأشخاص الذين لا وجود لهم، ولا سمع بهم أو رأيهم أحد.

إسلاي : الحمد لله على عودتي الى صوابي.

الجميع : الحمد لله.

إسلاي (لوصيف) : أشكرك وسأكافئك.

( يدخل الغلام مرتدياً زي امرأة راقية مع حاشيتها )

الغلام ( لإسلاي ) : كيف حال سعادة اللورد النبيل ؟

إسلاي : لعمرى. إني هنا آكل وأشرب كما اشتهي. أين زوجتي ؟

الغلام : ها هي ذا، أيها اللورد. ماذا تريد منها ؟

إسلاي : أنت زوجتي، وأنا زوجك. وجميل أن تدعوني يا رجالي. مولانا اللورد ؟ ما دمت سيدكم الكريم.

الغلام : زوجي ومولاي اللورد، مولاي اللورد وزوجي، ها أنا ذا قرينتك المطيعة.

إسلاي : إني أعرف ذلك، فكيف يجب أن أدعوك .

اللورد : يا سيدتي.

إسلاي : سيدتي « أليس » أو سيدتي « جانوتون »؟

اللورد : سيدتي فقط. هكذا يدعو اللوردات زوجاتهم.

إسلاي ( للغلام المتنكر بزي امرأة ) : أيتها السيدة زوجتي، يقال إني حلمت ونمت مدة أكثر من خمسة عشر عاماً.

الغلام : أجل، وهذه السنين الخمسة عشرة ظننتها ثلاثين عاماً لأنها أبعدتني طويلاً عن سريرك.

إسلاي : هذا كثيراً. دعني أنفرد بها أيها الخادم. يا سيدتي، اخلعي ملابسك وأسرعى حالاً الى الفراش.

الغلام : أيها اللورد المثلث النبيل، ألتمس منك أن تغفني ليلة أو ليلتين أو على

الأقل حتى تغيب الشمس، لأن أطباءك أوصوني بأن أظل غائبة بعض الوقت أيضاً عن فراشك، وإلا عرضت صحتك الى الانتكاس. فألمي أن تعتبر هذه الحجة كعذر مقبول.

إسلامي : وضعيتي لا تسمح لي بالانتظار وقتاً أطول. غير أنني لا أرغب في العودة إلى أحلامي، فما علي إلا الانتظار رغم شوقي وتلهفي.

( يدخل وصف )

الموصيف : إن ممثلي سعادتك، عندما علموا بتحسّن صحتك، رجعوا لتقديم مسرحية رائعة ترفيهاً عن سيادتك حسب نصائح أطباءك الجازمة. وإذا لاحظوا تفاقم حزنك الذي جمّد الدم في عروقك، وبما أن الكآبة هي مصدر كل هوس، رأوا من الأنسب أن تحضر التمثيلية لتستعيد ما فاتك من المرح والسرور الذي بقي من ألف شرّ ويطيل العمر.

إسلامي : حقاً، أنا أفضل ذلك، فليقوموا إذاً بأدوارهم. لأن التمثيلية هي ملهاة بهيجة وتسلية مفيدة، أليس كذلك ؟

الغلام : أجل، يا مولاي الكريم هي تسلية من أحبّ التسلّيات البريئة.

إسلامي : بدون شك، ومن أبرعها دعاة.

الغلام : هي مظهر من مظاهر المدنية.

إسلامي : حسن، سنرى ذلك. هيا يا زوجتي الحبيبة، اجلسي الى جانبي واطركي الفلك يدور، لأننا لن نتمتع بشبابنا أكثر مما تفعله الآن ( كل منهما يجلس على مقعد ).

## الفصل الأول

### المشهد الأول

بادوا — أمام منزل باتيمتا

( يصل ترانيو ولوستيو )

لوستيو : أخيراً يا ترانيو، أنا الذي طالما تفتت الى زيارة بادوا الجميلة، مهد الفنون، أجدني قد وصلت الى لومبارديا الخصبة، حديقة ايطاليا المزدهرة العظيمة، بعد أن نلت موافقة أبي ورضاه مزوداً بدعائه وبصحتك أنت يا خادمي الأمين، الذي لا يرضن بأية تضحية في سبيلي، ولتتنفس الصعداء اذاً ولنبدأ حياة سعيدة في ظل العلم والأدب، ان مدينة بيزا المشهورة بصرامة مواطنيها هي مسقط رأسي، والدي فنستيو التاجر المعروف المنتشرة أعماله في معظم أنحاء المعمورة، هو سليل أسرة بنتيفوليو العريقة، وأنا ابن فنستيو قد نشأت في فلورنسا، وعليّ الآن أن أحسن وضعي وأعليّ شأنني بأفعال مشكورة تحقق الآمال المعلقة على شخصي، لذلك أنوي يا ترانيو أن أتشبتّ بأهداب الفضيلة طوال مدة دراستي في قسم الفلسفة التي تدعو إلى الصلاح وتحرض على عمل الخير. قل لي ما هو رأيك بمغادرتي بيزا وقدمومي الى بادوا نظير رجل هجر غديراً قليل العمق ليخوض الأوقيانوس بغية اطفاء لظى ظمأه الى العلم والمعرفة.

ترانيو : أعذرني، يا سيدي الكريم، ان لم أتمكن من مجاراتك في أفكارك، انما يسرني أن تثابر على مقصدك في تقدير الحكمة والفلسفة العميقة، لأننا رغم تعلقنا بأهداب الفضيلة والنظام وسمو الأخلاق، يجب علينا، أن لا نكون متزمتين جامدين، وأن لا نتمسك كالعميان بمبادئ أرسطو أو أفيد التي يتحتم علينا ان نستكرها الى الأبد، أرجوك أن تورد معلوماتك بطريقة منطقية، وأن تلجأ الى أساليب البلاغة في أحاديثك حتى العادية، مستجداً بالموسيقى والشعر في ما تستوحيه، أما الرياضيات وما وراء الطبيعة، فيمكنك أن تتناول منها ما يستطيع ذكائك هضمه لأن لا خير يرجى من الدروس التي لا تجد فيها لذة، وبكلمة مختصرة، عليك أن تختار منها يا سيدي ما يجتذبك أكثر من سواه.

لوستيو : شكراً جزيلاً لك، يا ترانيو، على هذه النصائح القيّمة. لماذا يا بيوندالو لم تأت بعد الى هذا الشاطئ المضيف حيث يمكننا أن نتخذ فوراً جميع التدابير ونتم الاستعدادات اللازمة لاستقبال الأصحاب الذين لن نلبث أن نلقاهم هنا في بادئ، ولكن لتتوقف لحظة. ما هذه الفرقة ؟  
ترانيو : هذه يا معلمي، بدون شك، احدى تظاهرات الحفاوة بوصولنا الى المدينة.

( يصل باتيسا وكاترينا وبيانكا وجيراميو وهورتسيو.  
يقف لوستيو وترانيو جانباً ).

باتيسا : يا سادة، لا تمنعوا في مضايقتي، أنتم تعلمون تصميمي الأكيد على عدم تزويج ابنتي الصغرى قبل شقيقتها الكبرى، فإذا أحب أحدكم كاترينا، لا مانع عندي من أن يبادر الى طلب يدها، لأنني أعرفكم كلكم جيداً.  
جيراميو : الأولى أن تودعها في محجر، لأنها خشنة جداً حيالي. يا هورتسيو هل تريدها زوجة لك ؟

كاترينا ( لباتيسا ) : أستحلفك يا سيدي أن تقول لي، هل تريد حقاً أن تبني لهؤلاء المغالين ؟

هورتسيو : هل تعتبريني مغالاً ؟ يا حلوة، كيف تصفينني بهذا النعت ؟ اعلمي اني لن أسعى الى التقرب اليك، ان لم تصبحي أطف وأرق طباعاً.

كاترينا: بذمتي، يا سيدي، ليس هناك ما تخشاه، فأنت لم تصل بعد الى منتصف طريق عواطفني، وإن بلغت مبتغاك يوماً، فإن أول ما سأفعله بك هو نهشيم رأسك بهذا المقعد العالي ومرغ وجهك بالتراب ثم طردك من هذا المكان.

هورتسميو : نَجْنِي اللهم من هذه الحية الرقطاء.

جيراميو : ونجني أنا أيضاً يا إلهي.

ترانيو ( بصوت خافت للوستيو ) : اصمت يا معلمي، هذا مشهد بهيج، لأن هذه الفتاة لا بد من أن تكون إما مجنونة خطيرة، وإما داهية مخيفة.

لوستيو ( بصوت خافت لترانيو ) : إنني أجد في سكوت شقيقتها تعقلاً وتحفظاً هما أجمل ما تحلى به عذراء لطيفة. اصمت يا ترانيو.

ترانيو ( بصوت خافت للوستيو ) : قولك في محله يا معلمي، فابقي على موقفك وتمالك نفسك.

باتيستا : يا سادة، أنا مصر على أن أقرن القول بالفعل. ادخلي يا بيانكا، وهدي روعك أيتها الصبية الكريمة، ان حبي الأبوي لك لن يفتر أبداً يا بنيتي. ( نهش بيانكا في البكاء ).

كاترينا : مهلاً يا صغيرتي الجميلة. ( لباتيستا ) يجمل بك أن تنظر الى عينيها فتعرف لماذا تبكي.

بيانكا: هوئي عليك يا أختي، ولا تحنقي. ( لباتيستا ) يا سيدي، أنا أشارك بتراضع كل ما يسر خاطرك. ان كسي ولوازم دراستي لن تفارقني، وسأدرس وأتمرّن وحدي تحت اشرافها.

لوستيو ( على حدة ) : اسمع يا ترانيو أنت تستطيع أن تصغي الى ما تقوله مينرفا.

هورتسميو : سنيور باتيستا، هل أنت غريب الأطوار حتى ترضي ميول الشيطان الهارب من جهنم ؟ يؤلمني أن يلحق بابتك بيانكا كل هذا الحزن من جراء اهتمامنا بها هكذا.

جيراميو : هل تريد أن تجسها في قفص، يا سنيور باتيستا، إكراماً لإبليس هذا المظل من كوة الجحيم، وتعاقبها بسبب طول لسان شقيقتها اللاذع ؟

باتيسا : تصرّفوا كما يحلو لكم يا سادة، فأنا قد اتخذت قراراً ادخلى يا بيانكا ( تخرج بيانكا ) أنا أعرف انها مولعة بمذوبة الموسيقى ورقة الشعر، وسأستدعي أستاذة جديرين لتثقيفها، فإن كنت تعرف، يا هورتسيو، أو أنت يا جيراميو، أستاذاً مناسباً قدمه لي، لأنني أقدر وأجل أصحاب النبوغ، ولا سيما إذا كان الأمر يتعلق بثقيف أولادي، وعليه أستودعكم الله أما أنت يا كاترينا فيمكنك أن تبقي، لأنني أودّ محادثة بيانكا. ( يخرج ).

كاترينا : يبدو لي أنني أيضاً أستطيع أن أذهب، أليس كذلك ؟ هل في نيتك أن تعين لي مواعيد، كما لو كنت لا أدري ماذا عليّ أن أفعل. ( تخرج ).  
جيراميو : يمكنك أن تداعب امرأة شيطانية، فأنت لك صفات حميدة عديدة لا تدع أحداً ينفّر منها، وحبنا ليس كبيراً يا هورتسيو إلى حدّ يساعدنا على الامتناع عن مسامرة أهوائنا، وقرص الحلوى الذي نهفو إليه ليس معداً كما يجب، فالوداع إذاً، أما في ما يتعلق بالمودة التي أحفظها لعزيتي بيانكا، فإن أنا وقعت على أستاذ جدير بتعليمها الفنون التي تعجبها فلن أتأخر عن إرساله إلى والدها.

هورتسيو : أنا أيضاً أتعهد بذلك يا سنيور جيراميو، ولكن، لي كلمة أخرى أقولها، إذا سمحت، فمع ان طبيعة تنافسنا لا تتيح لنا التفاوض والمساومة، فإنني بعد التفكير والتروي أعتقد أن من واجبي أن أصارحك بأننا، ان أردنا أن نعود إلى خدمة معلمتنا مهما ادعت أننا سعيدان بتزاحمنا على خطب ود بيانكا، علينا أن لا ننسى أن هناك أمراً خاصاً هاماً لا بدّ لنا من أن نحاول تحقيقه.

جيراميو : أرجوك أن تقول لي ما هو ؟

هورتسيو : إيجاد زوج يرضى بأختها.

جيراميو : زوج ؟ لا، بالأحرى إيجاد شيطان.

هورتسيو : أقول يجب إيجاد زوج.

جيراميو : بل إيجاد شيطان، صدقتني يا هورتسيو، مهما كان والدها غنياً وطلبه باهظاً، هناك رجل على قدر كاف من الغباء ليتزوجها ويزج بنفسه في النار.

هورتسيو : حقاً يا جيراميو، مع أن تحمّل هذه الجولات المشبوهة يفوق طاقة صبري وصبرك، ثق يا عزيزي بأن في العالم شاباً — المهم العثور عليه — يتزوجها بالرغم من كل مساوئها نظراً الى ما تملكه من مال وافر.

جيراميو : أنا لا علم لي بذلك، إنما من جهتي أفضل أن أحصل على البائنة بدون الفتاة، حتى ان قدر لي أن أجد كل صباح في الساحة العامة.

هورتسيو : في الواقع كما تقول، يصعب الاختيار بين التفاحات المسوسة ولكن بما أن هذا المانع الشرعي يجعلنا أصدقاء، فليحافظ على مودتنا إلى اليوم الذي يتسنى لنا فيه العثور على عريس لابنة باتيمستا البكر، فنكون قد حررنا الابنة الصغرى كي تتزوج بدورها. عندئذ يحرز قصب السبق من يستطيع العدو أسرع من سواه، ويفوز الأوفر حظاً بخطوبتها، فما رأيك يا جيراميو ؟

جيراميو : نحن على اتفاق تام، وأنا مستعد من جهتي للتضحية والسماح لأمهر فحل في بادوا بمغازلتها واستمالتها واستدراجها إلى السرير، وتطهير البيت من شرستها ( يخرج جيراميو وهورتسيو ).

( يعود ترانيو ولوستيو إلى مقدمة المسرح )

ترانيو : بالله عليك، قل لي، يا سيدي، هل يفرض الحب فجأة على الإنسان مثل هذه السيطرة ؟

لويستيو : يا ترانيو، قبل أن أخبر ذلك بنفسي لم أكن أعتقد أبداً بأن الأمر ممكن أو مرجح الحدوث، ولكن أعلم إنني بينما كنت أتأمل فيها بدون مبالاة شعرت بأن سهام حبيها قد أصابتي؛ وأعترف الآن بكل صراحة، لك أنت ترانيو مستودع سري الغالي على قلبي بقدر ما كانت حنة ملكة قرطاجة، بأني سأحترق وأعتل وأهلك، إذا لم أحظ بهذه الصبية الفاتنة، اني ألتمس نصحك وارشادك يا عزيزي ترانيو، وأنا على يقين بأنك قادر على توجيهي، فساعدني إذا لأني أعلم جيداً بأنك تريد نجاتي.

ترانيو : يا معلمي، لا وقت الآن لتويحك، لأن المحبة لا يطردها من القلب أي تعنيف؛ وإذا استولى الحب على فؤادك فلا يبقى أمامك إلا منفذ واحد هو : أن تسلك الطريق الذي يدلك عليه هواك.

لوستيو : شكراً جزيلاً يا بني، لا تغير رأيك لأن ما نقوله لن يرضيني، ولكي  
أهون على نفسي، لا بد لي من الاصفاء إلى ارشادك.  
ترانيو : يا معلمي، كنت تنظر الى هذه الفتاة بحنو مفرط حتى كدت لا  
تلاحظ المشكلة الأساسية.

لوستيو : أجل، هكذا كان واقعي، لأنني أبصرت على محياها جمالاً ملائكياً  
يحاكي جمال ابنة « أجنور » الذي حدا بالإله المشتري العظيم أن يتذلل  
أمامها ويقبل قدميها جاثماً عند شاطئ جزيرة « كريت ».  
ترانيو : ألم تر أكثر من ذلك ؟ ألم تلاحظ كيف صارت أختها ترمجر ؟ لقد  
أثارت عاصفة من التهويل تكاد آذان البشر لا تتحمل صخبها.

لوستيو : يا ترانيو، هي بعكس أختها تماماً، وقد شاهدت شفتيها بلون  
المرجان تحركان وتمتمان كلاماً عذباً، وكانت تعطر الجو بشذى أنفاسها،  
وكل ما أبصرته فيها كان رؤياً سماوية لا يفياها حقها أي وصف.  
ترانيو : لقد حان أوان انتشاله من غيبوبة تأملاته، أرجوك يا سيدي أن تستفيق.  
إذا كنت تحب هذه الفتاة، وجه تفكيرك وأشحن ذكاءك لكسب ردها،  
فالوضع هو كما يلي : أن أختها الكبرى فظة الطباع، صعبة المراس بشكل  
يستدعي اذعانك، يا معلمي، واعتصامك بالعفة في عزلة الي أن يتخلص والدها  
منها؛ وحتى ذلك الحين سيحجب الأب ابنته الصغرى عن طلبي الزواج الذين  
يقصدونها.

لوستيو : ما أظلم هذا الوالد، يا ترانيو! ولكن ألا تلاحظ أنه يهتم بإيجاد  
أساتذة ماهرين لتثقيفها؟

ترانيو : حقاً يا سيدي، الآن وجدنا الخطة اللازمة.  
لوستيو : وأنا اهتديت إلى الحل المناسب يا ترانيو.  
ترانيو : يا معلمي، أقسم لك بأن أفكارنا نحن الاثنين منسجمة ومتناسقة دائماً.  
لوستيو : قل لي أولاً، بماذا تفكر ؟

ترانيو : ستصبح أنت أستاذ هذه الفتاة، وستولى تثقيفها بنفسك، كما تمنى.  
لوستيو : أجل، ولكن الأمر ليس سهلاً !

ترانيو : أجل هذا عسير، فمن الذي يحل محلك هنا ! ومن سيكون في بادوا

ابن فنستيو المشغول بإدارة البيت، ومتابعة الدروس واستقبال الأصحاب  
وزيارة المواطنين وتكريمهم.

لوستيو : كن على يقين بأن الخطة جاهزة ؛ هنا لم يشاهدنا أحد قط في أي  
مكان، ولا أحد يتسنى له أن يميز وجوهنا وينفي عنك صفة الأستاذ، إليك ما  
يجب عمله : أنت يا ترانيو ستصبح المعلم مكاني، وسيكون لك منزل وحياة  
خاصة وأنصار كما هو الحال أثناء وجودي هناك، وأنا سأنتحل شخصية  
أخرى، مثلاً شخصية رجل من فلورنسا أو من نابولي أو أي رجل فقير من بيزا  
لقد اخترت الفكرة في رأسي، فهيا إلى العمل. اخلع ملابسك فوراً يا ترانيو  
وضع قبعتي على رأسك، واليس معطني الملون. وحالما يصل بيوندالو سأضعه  
تحت امرتك، وسأوصيه أولاً بأن يصون لسانه. ( يتبادلان ملابسهما ).

ترانيو : هذا ضروري وهام جداً، بما أن هذا يلدّ لك يا سيدي، فأنا ما عليّ إلا  
أن أطيعك، ما دام والدك قد أوعز إليّ بذلك عند ذهابنا قاتلاً : قدّم جميع  
الخدمات لابني، بالرغم من أنه يفهم الأمر بالعكس على ما أعتقد، وأنا أوافق  
على أن أتحوّل إلى لوستيو اكراماً للوستيو.

لوستيو : عليك أن تمثل دوره يا ترانيو، اكراماً للحب الذي يسيطر على  
جوارح لوستيو، أما أنا فمستعد أن أقبل بالعبودية للحصول على هذه العذراء  
النضيرة التي أسرت قلبي وخبلت لبي.

( يدخل بيوندالو )

أهذا أنت يا غبي ؟ أين كنت يا سلعون !

بيوندالو : أين كنت أنا ؟ بل بالحري أين كنت أنت يا معلمي ؟ هل سرق لك  
ثيابك رفيقي ترانيو و أو سرق كل منكما ملابس الآخر ؟ قل لي ماذا حدث ؟  
لوستيو : اقترب يا مغفل، هذا ليس وقت المزاح، تعلم كيف تطبّق تصرفاتك  
على الظروف؛ إن رفيقك ترانيو الحاضر هنا، ارتدى ثيابي وأخذ مكاني لينتقد  
حياتي، وأنا ارتديت ثيابه لكي أتمكن من الهرب، لأنني في ماضي أيامي على  
هذه الأرض قتلت رجلاً إثر شجار، وأخشى أن يكون قد شاهدني أحد. لذا

اسألك أن تخدمه بإخلاص، بينما أنا أسمى للإبتعاد عن هذا المكان لأنجو  
بنفسي، هل فهمت ما أقول؟

بيوندالو : أنا يا سيدي طوع أوامرک.

لوستيو : وأوصيك بنوع خاص أن لا تلفظ اسم ترانيو، لأن ترانيو تحوّل  
وأصبح لوستيو.

بيوندالو : هذا أوفق له. وأنا أيضاً أريد أن أتحوّل.

ترانيو : أنا أرغب في ذلك، يا بني، ولو كان شرط تحقيق هذه الرغبة أن  
يتزوج لوستيو ابنة باتيستا الصفري؛ فأنصحك يا غبي، احتراماً ليس لشخصي  
بل لشخص معلمي، بأن تتصرف برصانة وحذر في كل المجتمعات؛ أنا عندما  
أكون وحيداً أظل ترانيو، إنما في ما عدا ذلك فأنا لا أزال معلمك لوستيو.  
لوستيو : لنذهب، يا ترانيو. لم يبق أمامك إلا أمر واحد للتنفيذ. وهو أن تأخذ  
مكانك بين الراغبين في الزواج. وإذا سألتني لماذا، فيكيفك أن تعلم أن حجتني  
دامغة ومقنعة ( يخرجان ).

( أشخاص المقلمة يقرون وحدهم )

الوصيف الأول ( لإسلاي ) : يا مولاي اللورد، أراك تغفو ولا تعير انتباهك  
إلى المسرحية.

إسلاي : وإن صح ذلك، فبرئتك، هل ترى المسرحية جميلة حقاً؟ هل هي  
بعد طويلة؟

الغلام : يا مولاي، انها تكاد أن تبدأ.

إسلاي : هي مسرحية رائعة، يا حرمانا المصون، وكم أودّ أن أتابعها حتى  
نهايتها !

## المشهد الثاني أمام منزل هورتسيو

( يدخل بتروسيو وكريميو ووصيفه )

بتروسيو : أستأذنيك، يا مدينة فيرونا، بالتغيب عنك بعض الوقت، أنا آتٍ إلى بادوا لأشاهد خلّاني، ولا سيما صديقي الحميم الوفي نورتسيو، أعتقد أنني الآن أمام منزله، قف هنا، أيها الخبيث كريميو، هيا اطرق.  
كريميو : أطرق ماذا يا سيدي ؟ أضرب من ؟ هل أهانك أحد يا صاحب السيادة ؟

بتروسيو : يا محتال اطرق هنا، وبشدة ( يشير الى رأسه ).  
كريميو : أضرب هنا يا سيدي ؟ ومن أنا حتى أجسر على ذلك ؟  
بتروسيو : قلت لك اطرق هذا الباب يا مغفل، واطرق بقوة، وإلا حطمت رأسك الفارغ.

كريميو : هل أصبح معلمي مشاغباً ؟ اذا طرقت هنا، فأنا أعرف من الذي ستتهال الضربات على رأسه.

بتروسيو : ألا تريد أن تضرب يا منحوس ؟ إذا لم تطرق اقتلعت أذنيك، وإن أحسنت الإنشاد طلبت منك مواصلة الغناء ( يشد له أذنه ).

كريميو : النجدة، النجدة، أرى الغضب قد تملك سيدي.  
بتروسيو : هذا يعلمك أن تطرق حالما أطلب منك ذلك أيها الغبي المنحوس.  
هورتسيو : ما الخبر، يا صديقي العزيز كريميو ؟ وأنت يا عزيزي بتروسيو، كيف حالك في فيرونا ؟

بتروسيو : سنور هورتسيو، لقد وصلت في الوقت المناسب لوضع الأمور في نصابها.

هورتسيو : أهلاً وسهلاً بك في بيتي يا سنور بتروسيو، انهض يا كريميو لنسوي هذا الخلاف.

كريميو : كلا لا يهمني ماذا يتحجج به هذا اللعين، قل لي بربك أوليس هذا سبياً كافياً لكي أترك الخدمة ؟ اسمع يا سيدي لقد أمرني بأن أطرق بعنف، فهل من المعقول أن يعامل خادم هكذا معلمه البالغ من العمر اثنين وثلاثين عاماً ؟ ولو تجاسرت وضربت كما طلب مني كريميو، أما كان هشم رأسي ؟ بتروسيو : يا لك من دجال منافق ! يا عزيزي هورتسيو، كنت أقول لهذا البهلول أن يطرق بابك ولم يلبّ طلبي.

كريميو : أنا أطرق الباب ؟ بربك، ألم تقل لي حرفياً : اطرق هنا واطرق بشدة، مشيراً الى رأسك، والآن تدعي أنك طلبت مني أن أطرق الباب.  
بتروسيو : أنت حقاً غبي، أنصحك بأن تذهب أو تسكت.

هورتسيو : صبراً يا بتروسيو، أنا رهن إشارة كريميو، هذا في الحقيقة خلاف يرثي له بينك وبينه هو صديقك القديم وخادمك الوفي الذكي كريميو، ولكن قل لي يا صاحبي الودود أية رياح سعيدة دفعتك للمجيء من فيرونا الى بادوا ؟ بتروسيو : الرياح التي تهب على الشباب في جميع أنحاء الدنيا وتدفهم للبحث عن الثروة خارج مسقط رأسهم حيث لا يكسب المرء إلا القليل من الخبرة والمال، فيكلمات وجيزة هذه هي وضعيتي يا سنور هورتسيو، لقد مات والدي أنطونيو، فانطلقت في مجاهل الحياة ساعياً وراء الزواج والنجاح المنشود، لدي مال وولي أملاك في بلدي، وها أنا أسافر لأشاهد العالم.

هورتسيو : أتريد أن أصارحك بدون مواربة يا بتروسيو ؟ باستطاعتي أن أرشدك الى امرأة سفيهة مقبته، لا يسعك أن تشكرني على ارشادك اليها، ومع ذلك أعدك بأن يكون عرضي هذا سخياً بل سخياً جداً، انما اخلاصي لك يردعني عن تمنيها لك كزوجة.

بتروسيو : يا سنور بتروسيو، بين أصدقاء نظيرنا، تكفي كلمات قليلة للتفاهم، فإن كنت تعرف صبية غنيّة ترضى بأن تصبح زوجتي أنا بتروسيو، وبما أن المال هو غايتي الأولى في الزواج حتى ان كانت العروس قبيحة بمقدار قبح حبيبة فلوران، وعجوزاً نظير سيبييل، ومحدودة الفهم مستبدة مثل « كرانيت » امرأة سقراط أو أسوأ، وإن كانت أعنف من هدير أمواج بحر الادرياتيك أثناء هياجه، فإنها لن تشطب عزيمتي، كما انها لن توقظ فيّ لهفة الأشواق، أنا قادم

إلى بادراً لأعقد قراناً ثرياً لأنه بقدر ما يكون غنياً يكون في نظري حتماً سعيداً.

كريميو : كما ترى يا سيدي، هو يفصح لك عن نيته بكل صراحة، فامنحه ما يتوق اليه من الذهب بتزويجه دمية أو مهرجة أو عجوزاً شمطاء ليس في فمها أسنان وفيها كل عيوب البشر نظير حصان مسن، فلا أحب اليه من صفقة مماثلة تفدق عليه المال الوافر الذي يحلم به.

هورتنسيو : يا بتروسيو، بما أننا قطعنا هكذا شوطاً بعيداً في هذا الموضوع فأني أصر على تنفيذ الخطة التي اقترحتها أنا على سبيل المزاح، ويمكنني أن أدلك على المرأة الغنية التي تمنهاها، ما دمت لا تبحث عن صبية جميلة لائقة تتوحي مبدئياً أن تكون زوجة صالحة، إنما أبرز عللها الكثيرة هي أنها محدودة الإدراك مزعجة وعنيدة إلى حد لا يطاق، حتى أنني رغم وضيعتي المالية الهزيلة لن أقبل بها حليقة، وإن ملكنتني منجماً من الذهب.

بتروسيو : اصمت يا هورتنسيو، يظهر عليك أنك لا تعرف فضائل الذهب أرجوك أن تقول لي من هو والدها، وأنا متسعد أن أواجه ابنته وإن كان كلامها أشد وطأة من هزيم الرعد الذي يمزق غيوم الخريف.

هورتنسيو : والدها يدعى باتيستا فينولا، وهو من الأعيان الظرفاء، واسمها كاترينا فينولا وهي شهيرة في بادراً بطول لسانها الجارح.

بتروسيو : أنا أعرف أبها، وإن كنت لا أعرفها هي، فقد كان من أصحاب المرحوم والدي، ولن تذوق أجفاني طعم النوم قبل أن أراها يا هورتنسيو، فأعذرني على السماح لنفسي بمغادرتك عاجلاً أثناء لقائنا الأول هذا، إلا إذا شئت أن ترافقني في ذهابي إليها.

كريميو ( لهورتنسيو ) : أرجوك يا سيدي، أن تدعه يرافقك ما دام لديه مثل هذه الرغبة، وثق بأنها متى عرفته كما أعرفه أنا ستبين لها سريعاً عدم جدوى الاستياء منه، وستنعتة عشر مرات بالظرف وبألف صفة أخرى غير مستحسنة، ولن يضيره ذلك ما دام قادراً على رد الصاع صاعين لها في لغة الشتائم والنعوت المهينة، أتريد أن أصرح لك يا سيدي بأنها قاومته وإنه سيرك على

محيها أثر لقاته بها، وستظل عيونها الواسعة تحملق به نظير هرة مذعورة، فأنت لا تعرفها بعد يا سيدي.

هورتسيو : انتظر يا بتروسيو، أنا ذاهب برفقتك لأنني أجد ذلك ضرورياً، فإن باتيستا يحتفظ بكنزي، وبين يديه أمل حياتي وسعادتي، ابنته الصغرى الحسنة بيانكا، وإن كان يحجبها عن أنظار أخصامي في الحب، مقترضاً أن أحداً منا قد يطلب يد كاترينا في هذه الأثناء، مع أن هذا من رابع المستحيلات، لأن باتيستا مصمم على عرقلة مسعى كل عريس للوصول الى بيانكا قبل أن تزوج كاترينا الفجة الطباع أولاً.

كريميو : الفجة الطباع ! لعمرى، هذا اسوأ ما وصفت به امرأة من نموت معية.

هورتسيو : والآن جاء دور صديقي بتروسيو كي يؤدي لي خدمة، سيقدمني الى العجوز باتيستا، وأنا متكرر كأستاذ موسيقى يعرض خدماته لتثقيف بيانكا، فعلى الأقل، بهذه الحيلة تستنى لي فرصة مغازلتها بحرية تامة والتفاهم معها على الانفراد بعيداً عن الظنون والشكوك.

( يدخل جيراميو وبعده لوستيو المتكرر حاملاً تحت ابطه بعض الكتب ).

كريميو : ليست هناك أية خدعة، انظر كيف يجيد الشبان معاملة المسنين، ( يشاهد جيراميو ولوستيو ) معلمي، يا معلمي، انظر إلى من يمشي وراءك؟ هورتسيو : اصمت، يا كريميو، هذا مزاحمي، لنقف جانباً بعض الوقت يا بتروسيو.

كريميو : هو شاب بهيّ الطلعة، وعاشق ظريف، على ما أرى ( يتحنّى بتروسيو وهورتسيو وكريميو جانباً ).

جيراميو ( للوستيو ) : ليس بالإمكان أحسن مما كان، لقد راجعت القائمة، اسمعني جيداً يا سيدي، أريد أن تكون الكتب مجلدة تجليداً فخماً، وأصرّ على أن تكون كلها كتباً غرامية مهما كلف الأمر، وحاول أن لا تقرأ لها أي موضوع لا يتحدث عن الحب، أفهمت؟ وفوق ما يتيح لك السنيور باتيستا من حرية، أنا أزودك بصلاحيات اضافية، لتكن أوراقك الخاصة مضمّخة

بأزكى أريج، لأن التي تستنشقه هي أطيب من كل ما في الدنيا من عطور،  
أخبرني ماذا سيكون موضوع درسك ؟

لوستيو : مهما تقلبت الأحوال، سأدافع عن قضيتك، فكن على يقين بأنني  
نظيرك يا معلم، سأتصرف كما لو كنت حقاً أنت ذاتك، لا بل سأستعمل  
ألفاظاً معسولة مُقنعة أكثر مما ستلجأ إليه أنت ولو كنت من أفصح المفوهين.

جيراميو : ما أعظم بلاغتك ! وما أدهى بيانك !

كريميو ( على حدة ) : يا له من حمار جاهل ؟

بتروسيو : اصمت يا غبي.

هورتسيو : كريميو، اسكت ( يذهب الى جيراميو ) حفظك الله يا سنور  
جيراميو.

جيراميو : يسعدني أن أتعرف عليك يا سنور هورتسيو، هل تعلم الى أين أنا  
ذاهب ؟ إلى بيت باتيستا مينولا، لقد وعدته بأن أجد له أستاذاً يعلم ابنته  
الحلوة بيانكا، وتوفقت في العثور على هذا الشاب الذي، بسعة معرفته وحسن  
تديره، أجد فيه الأستاذ المنشود الذي لا يشق له غبار في ميدان الشعر  
والتأليف وسائر الفنون على ضماتي.

هورتسيو : جيد جداً، وأنا من جهتي، التقيت بأحد الأعيان ووعدني بأن  
يدلني على موسيقي ممتاز لتثقيف معلمتي، وهكذا لن أكون مقصراً في  
واجباتي نحو الحسنة بيانكا التي يهفو إليها فؤادي بحنوّ وإخلاص.

جيراميو : وأنا أيضاً، كما ترى ذلك من تصرفاتي.

كريميو ( على حدة ) : وكما تدل على ذلك أكياسه المكدسة.

هورتسيو : يا جيراميو، الآن ليس وقت تبديد عواطفنا سدى، اسمعني جيداً،  
وإذا أصغيت إليّ رويت لك خبراً يسرنا كلينا معاً، ها هوذا أحد الأعيان وقد  
صادفته عرضاً، وحسب ما تم بيننا من اتفاق، يتكفل هو بأن يغازل اللعينة  
كاترينا، بل أن يتزوجها إذا ناسبته بانتتها.

جيراميو : وهكذا يقترن القول بالفعل ويتم الأمر على أكمل وجه، هل عددت  
له يا هورتسيو كل عيوبها.

بتروسيو : أولا يحق لي أن أعيش ؟

كريميو ( على حدة ) : اذا غازلها، حتماً سأشقه باكرأ.

بتروسيو : لماذا جئت أنا الى هنا ان لم تكن هذه غايتي ؟ هل تظن أن قليلاً من الضجة يزعج أذني ؟ ألم يملأ سمعي في الماضي زئير الأسود ؟ ألم أشاهد أمواج البحر ترفعها الرياح العاتية، فيثور نائرها وتزبد وترغي مثل مجنون هائج ؟ ألم تصم أذني يوماً لعلمة المدافع في السهول وقد اخترق دويها عنان السماء ؟ ألم يخدش سمعي في معركة صاحبة نعيب اليوم وصهيل الخيل ودق النفير ؟ وتأتي أنت لتحدثني عن لهجة امرأة لا يشف صوتها الآذان أكثر من فرقة الكستناء في موقدة متأججة النيران ؟ دع عنك وسائل الارهاب هذه التي لا تخيف حتى الأولاد الصغار.

كريميو ( على حدة ) : تبأ له ! إنه هو ذاته يفزع منها.

كيرايمو: اسمع يا هورتسيو، لقد جاء هذا الرجل في الوقت المناسب على ما أعتقد لصالحه وصالحنا أيضاً.

هورتسيو : لقد وعدته بأن نساهم في مجهوده بمغازلتها فنقاسمه تكاليفه.

جيراميو : أنا موافق، شرط أن يفلح في التقرب اليها.

كريميو (على حدة): أود أن أكون على يقين أيضاً بأنني سأتناول غداءً لذيذاً.

( يدخل ترانيو مرتدباً ثياباً عالية ويجمه بيوندالو )

ترانيو : الله معكم يا سادة، سامحوني على ما أستبيحه لنفسي من حرية، وأرجوكم أن تقولوا لي ما هو أقصر طريق للذهاب الى منزل السنيور باتيستا مينولا.

بيوندالو : الذي له ابتنان جميلتان ( لترانيو ) والذي تبحث أنت عنه بالذات. ترانيو : هو بعينه يا بيوندالو.

جيراميو ( لترانيو ) : اسمع يا سيدي، أظنك لا تريد أن تتكلم عن التي... ترانيو : من المحتمل أن يكون كلامي عن الواحدة أو عن الأخرى يا سيدي، فما الفرق بينهما في نظرك ؟

بتروسيو : على كل حال، أنت لا ترضيك المرأة المشاكسة العنيدة، أليس كذلك ؟

ترايو : أنا لا أحب المشاغبات، يا سيدي، تعال نذهب يا بيوندالو.  
لوستيو (على حدة) : المقدمة لا بأس بها يا ترانيو.

هورتسيو (لترانيو) : من فضلك اسمح لي بكلمة واحدة قبل أن تمضي، هل تميل الى الصبيّة التي تتكلم عنها ؟

ترانيو : ان كان الأمر كذلك، هل ترى فيه ضرراً يا سيدي ؟

جيراميو : كلا، شرط أن تنسحب فوراً عند اللزوم بدون أن تنس بينت شفة.

ترانيو : برّبك يا سيدي، أسألك أن تفيدني عما اذا كان الطريق سهلاً أمامك كما هو أمامي ؟

جيراميو : أتمنى لك تحقيق رغباتك، انما الفتاة ليست حرّة.

ترانيو : وما السبب ؟ أرجوك أن تبينه لي.

جيراميو : ها هو السبب، اذا كنت فعلاً تريد أن تعرفه : انها حبيبة السنيور جيراميو.

هورتسيو : بل هي الفتاة التي يفضلها هورتسيو.

ترانيو : تمهلوا يا سادتي، ان كنتم مخلصين، أرجوكم أن تستمعوا إلي بنزاهة وطول أناة، إن باتستا رجل نبيل رصين، ولا يجهل والدي، فعندما تصبح ابنته أجمل مما هي، يمكنها أن تجتذب أنظار طلاب الزواج، وأنا أحدهم، لأن للصبيّة الحسناء ألف محب، والحلوة بيانكا يسرها أن تجد حولها معجباً جديداً، هو لوستيو الذي يظهر أنه سيحصل عليها والذي سيقف في صف المعجبين بها وله كبير الأمل بأن يظفر وحده بها حتى ولو تقدم أمير من الأمراء لطلب يدها.

جيراميو : ماذا تقول ؟ هل يقوى هذا الشاب على كم أفوانا جميعاً ؟

لوستيو : يا سيدي، اترك له الحبل على الغارب فلا يلبث مع ذلك أن يهرب منها.

بتروسيو : ما الفائدة في كل هذا الكلام، يا هورتسيو ؟

هورتسيو ( لترانيو ) : اعذرني على الحرية التي ألجأ إليها في سؤالي : هل شاهدت بحياتك ابنة باتيسا ؟

ترانيو : كلا يا سيدي، لكنني أعرف أن له ابنتين : الواحدة شهيرة بلسانها اللاذع السليط، والأخرى بوداعتها وسحر جاذبيتها.

بتروسيو : سيدي، سيدي، دع الأولى لي ولا تهتم أبداً بها. جبراميو : أجل أترك لي هذا العمل الشاق الذي يفوق قدرة أعظم الأبطال. بتروسيو : سيدي، أفهم جيداً ما أقوله لك، ان الابنة الصغرى التي تسعى للحصول عليها يحجبها أبوها عن كل الراغبين في طلب يدها، لأنه لا يريد أن يزوجها قبل أن تترف شقيقتها الكبرى، حينئذ فقط تصبح حرة لا اعتراض على زواجها.

ترانيو: اذا كان الأمر كذلك، يا سيدي، وإذا كنت الرجل الذي سيسدي الينا جميعاً، وإليّ أنا قبل غيري، خدمة جلييلة كهذه، وإذا توصلت الى اذابة الجليد ونجحت في سعيك المشكور الى احتكار قلب الابنة الكبرى، وتمهيد الطريق أمامي للوصول الى قلب أختها الصغرى، فإن الذي سيسعد بامتلاكها لن يكون عديم التقدير الى حد جحود فضلك عليه.

هورتسيو : كلامك ظريف يا سيدي، وأفكارك صائبة ما دمت تصرح بأنك تود أن تكون في صف طالبي يدها نظيري، فتظهر امتنانك وعرفانك جميل هذا الرجل الذي ندين كلنا لفضله.

ترانيو : لن أتأخر يا سيدي عن المباشرة بمحاولتي، وأقترح عليك أن نمضي معاً بعد ظهر هذا اليوم لنفرغ بعض الكؤوس نخب حاجتنا فنصرف كالمحامين الذين يتظاهرون بالخصام أمام القاضي، وبعد المحاكمة يترافقون للأكل والشرب معاً كأوفى الأصدقاء.

كريميو ويونداو : ما أنجح هذه الخطة ! هيا بنا.  
هورتسيو : الخطة محكمة حقاً، فتعال ننفذها يا بتروسيو وسأكون ضيفك وساعدك الأيمن

(بمهرجان).

## الفصل الثاني

### المشهد الأول

دوما في بادوا عند باتيستا

( تدخل كاترينا، تجر وراءها بيانكا مقيدة اليدين )

بيانكا: أختي العزيزة، لا تحقريني، ولا تسيئي الي نفسك بمعاملتني كمسجينة مستعبدة، لأنني أجد ذلك غير لائق، أما هذه القلادة فأرجوك أن تفكيها من يدي، وإلا انتزعتها أنا بنفسني، ثم اخلعي عني كل زينة حتى ردائي، أجل سأنفذ كل ما تأمريني به ما دمت أعرف واجباتي نحو شقيقتي الكبرى. كاترينا : من بين المعجبين بك أصر على أن تقولي لي من هو الذي تحببه أكثر من غيره، ولا تحاولي اخفاء الأمر عني. بيانكا : صدقيني يا أختاه ! اني من بين جميع الأحياء، لم أجد الى الآن وجهاً أفضله على سواه.

كاترينا : ماذا دهاك يا منافقة ! أليس كذلك، يا هورتنسيو ؟ بيانكا : ان كنت تميلين الى هذا الرجل، يا أختي، أقسم لك بأنني سأبذل جهدي لأساعدك على استمائه اليك. كاترينا : يبدو أنك تفضلين الغني، وترغبين في الحصول على جيراميو ليذلك.

بيانكا : هل من أجله تراحميني وتخاصميتي؟ انك حتماً تمزحين، وأنا ألاحظ أن تصرفك حتى هذه الساعة لم يكن إلا من قبيل المزار أرجوك يا أختي كاتي أن تفكي قيد يدي.

كاترينا : ان اعتبرت هذا مزاحاً فكل ما سبقه من بوادر، هو أيضاً كذلك.

( يدخل باتستا )

باتستا : ما قولك يا آنسة؟ من أين لك هذه الجسارة؟ ابتعدي عنها يا بيانكا، يا لك من مهرجة! ما لك تبكين؟ انصرفي الى ابرتك ولا تتدخلني بعد الآن في شؤون أختك، بل تجنبي ألاعيبها الجهنمية، لماذا تضايقيها وهي لم تحاول قط أذيتك، ولم يسبق لها أن وجهت إليك أية كلمة نابية؟

كاترينا : ان مجرد سكوتها اتهام لي، وأنا مصممة على الانتصاف منها ( تهجم على بيانكا ).

باتستا ( يقف حائلاً في طريقها ) : حتى أمامي! اذهبي يا بيانكا الى حجرتك

( تخرج )

كاترينا : أنا واثقة بأنك لم تعد تطيق حتى مشاهدتي، بينما أنت ترى فيها كنزك الغالي وترغب في ايجاد عريس لها، وهكذا تفرض علي أن أرقص حافية في حفلة زفافها لإكرامها، ويحق لها أن تستعبدني لأجل خدمتها، لا تكلمني بعد الآن، سأحبس ذاتي في غرفتي وسأظل أبكي حتى يتسنى لي أن أنتقم منها لكرامتي

( تخرج بيانكا )

باتستا : هل في الدنيا رجل مفجوع نظيري؟ من القادم الى هنا؟

( يدخل جيراميو مع لوستيو في ثياب رجل فقير، ثم بتروشيو مع هورتاسو في لباس

موسيقى، ثم ترانير مع بيانالو حاملاً عروداً وبعض الكتب )

جيراميو : نهارك سعيد يا باتستا.

باتستا : نهارك أسعد يا جاري العزيز جيراميو، حفظكم الله يا سادة.

بتروسو : وأنت أيضاً يا سيدي الكريم، اعذرني، أولست والد فتاة حلوة

فاضلة اسمها كاترينا؟

باتيسا : أجل، يا سيدي، ابنتي تدعى كاترينا.  
جيراميو ( بصوت خافت لبتروسيو ) : أنت متسرّع في كلامك، وعليك أن تكون متحفظاً في حديثك.

بتروسيو ( بصوت خافت لجيراميو ) : أنت تحقّرني يا سنور جيراميو، دعني أنصّرّف كما أشاء، ( بصوت عالٍ لباتيسا ) : أنا يا سيدي من أعيان فيرونا، وقد سمعت اشادات عديدة بجمال ابنتك وخفة ظلها ومهارتها وحياتها وتواضعها ودماثة أخلاقها وسائر صفاتها الممتازة، فسمحت لنفسي بأن آتي بدون كلفة لزيارتك كي أتحقّق بذاتي، مما روي لي عنها في مناسبات مختلفة، ولكي أنضم الي عداد الراغبين في التقرب اليك، أقدم لك أحد أصحابي ( يشير الي هورتنسيو ) وهو رجل بارع في الموسيقى والرياضيات، ومستعد لأن يكمل تثقيف ابنتك وما فاتها من هذه العلوم التي أعرف جيداً أنها لا تجهلها تماماً، فأرجوك أن تقبل به ولا تخرجني برفضه، اسمه لوستتيو وهو من مواليد مدينة مانتوا.

باتيسا : أهلاً بك يا سيدي، وبه أيضاً اكراماً لك، أما ابنتي كاترينا فيؤسفني أن أصارحك بأنها ليست من نصيبك.

بتروسيو : ألاحظ أنك لا تريد أن تفارقها، وأن تقرّبي اليك لا يعجبك.  
باتيسا : لا تفسّر كلامي، يا سيدي، على غير حقيقته، أنا أفوه بما يجول بخاطري، من أين أنت يا سيدي؟ هل لي أن أعرف اسمك؟

بتروسيو : اسمي بتروسيو، وأنا ابن انطونيو الشهير في كل أنحاء إيطاليا.  
باتيسا : إنني أعرفه جيداً، فأهلاً بك اكراماً له.

جيراميو : لكي أوقّر عليك طول الشرح، اسمح لي يا بتروسيو، أن أعبر لك عن رغبتني، فأنا طالب زواج، ويؤسفني أن ألاحظ أنك تستعجل الأمور بشكل غريب.

بتروسيو : اعذرني يا سنور جيراميو، ان طلبت منك أن تنتظر نهاية حديثي.  
جيراميو : لا شك عندي يا سيدي أنك تسيء الي قضيتك، وأنا على يقين، يا صاح، بأنك مرتاح الي حضوري كشاب لائق يودّ أن ينال حظوى في عينيك أكثر من أي شخص آخر، لأنك أحسنت صنعاً بإفساح المجال لي كي أبادر

الى تقديم هذا الشاب العالم لك ( يشير الى لوستيو ) وقد قضى السنين الطويلة في تحصيل العلوم حتى تَصَلَّحَ من اللغات اليونانية واللاتينية فوق اتقانه لغة أجداده وسواها من اللغات، ما عدا تَعَمَّقَه في الموسيقى والرياضيات، واسمه كمييو، فأرجوك أن تقبل خدماته.

باتيستا : ألف شكر لك، يا سنيور جيراميو، أهلاً بك، يا كمييو ( يلمح ترانيو ) أما أنت يا سيدي الكريم فيبدو عليك أنك غريب عن هذه الديار، هل لي أن أسمح لنفسي بحرية السؤال عن سبب مجيئك إلينا ؟

ترانيو : أرجوك يا سيدي، أن تسامحني على ما استبحته من الحرية، أنا الغريب عن هذه المدينة، إذ تجرأت على الطموح الى طلب يد ابنتك الجميلة الفاضلة بيانكا، وأنا لا أجهل تصميمك الحازم على تزويج ابنتك الكبرى أولاً، ان المنة الوحيدة التي ألتمسها منك، حالما تعرف عائلتي، هي أن تستقبلني اسوة بسائر طالبي الزواج، وتسمح لي مجال الاشتراك معهم في كسب مودتك وللمساهمة في تثقيف ابنتك، أقدم لك أبسط الوسائل لبلوغ ذلك، ألا وهي هذه المجموعة الصغيرة من الكتب اليونانية واللاتينية التي تزيدها معرفة وترفع شأنها اذا تكرمت بقبولها، أما اسمي فهو لوستيو.

باتيستا : أرجوك أن تقول لي من أية مدينة أنت ؟

ترانيو : من بيزا يا سيدي، وأنا ابن فنستيو.

باتيستا : هو شخصية مرموقة في بيزا، وأنا أعرفه لأنه أشهر من نار على علم، فأهلاً بك يا سيدي، ( لهورتنسيو ) أنت خذ هذا العود ( للوستيو ) وأنت خذ هذه المجموعة من الكتب، وسترى تلميذتك حالاً، أليس من أحد هنا ؟

( يدخل وصف )

يا هذا أوصل السيدين الى ابنتي، وقل لها انهما أستاذان سيكلمان تثقيفها، وعليها أن تحسن استقبالهما، ( يخرج الوصيف مع هورتنسيو ولوستيو ويوندالو ) سنتزّه قبلاً في الحديقة، ثم نأتي الى المائدة، أهلاً وسهلاً بكم جميعاً.

بروسيو : سنيور باتيستا، ان عملي يتطلب الاسراع، وأنا لا أستطيع أن أجيء كل يوم لتقديم فروض اللياقة، أنت تعرف جيداً والدي، وتراه الآن في شخصي

بصفتي الوريث الوحيد لأراضي وأمواله، وبين يديّ ازدهرت ثروته ولم تنقص، فإذا ظفرت بحب ابنتك ما هي البائنة التي ستمنحني اياها عند عقد القران ؟  
باتيسا : بعد موتي، نصف الأراضي التي تخصني، ومنذ الآن مبلغاً قدره  
عشرون ألف دينار.

بتروسيو : وأنا مقابل هذه البائنة، اذا عاشت هي من بعدي، أُؤمّن لها كميرات  
جميع الأراضي والعائدات المتبقية لي، فلنكتب الآن بنود العقد، على أن يحترم  
كلا الطرفين تنفيذ الاتفاقية بحذافيرها.

باتيسا : طبعاً عند الوصول الى النقطة الأساسية، أي حب ابنتي لك، لأن كل  
شيء يرتكز على هذه النقطة الجوهرية.

بتروسيو : هذا أقل ما يجب أن يتحقق، وأنا أنبّهك الى أن والدي عنيد بقدر  
ما هي متشامخة، وعندما تشب النار وتندلع ألسنتها، لا بد لها من أن تلتهم  
كل ما تصادفه من أخضر ويابس على السواء، فالهواء مهما كان لطيفاً يزيد  
اللهب اشتعالاً، وإن بطيء أما العاصفة الهوجاء فتفضي على الحريق وتطفئه، وأنا  
أنوي أن أكون عاصفة عتيفة حيالها، فعلينا أن نتحني أمامي لأنني الأقوى، ولن  
أكون أبداً ناعماً في مغازلتها كما يفعل الفتيان.

باتيسا : أرجوك أن تنازلها بحكمة وأمانة، وأتمنى لك كل النجاح، لكن،  
اياك أن ترمي سلاحك أمام بعض استرضاءاتها.

بتروسيو : أنا عند التجربة كالجيل الذي لا ترعزه الرياح مهما تواصل هبوبها  
بضراوة.

( يدخل هورتسيو ورأسه مخضب بالدم )

باتيسا : لماذا أنت هكذا شاحب اللون، يا صديقي.

هورتسيو : اذا رأيتني شاحباً، أؤكد لك أن ذلك ناجم عن الخشية.

باتيسا : خشية ماذا ؟ هل تتوقع أن لا تكون ابنتي موسيقية بارعة ؟

هورتسيو : أعتقد أنها تصلح بالأحرى للجندية، لأنها تغل الحديد بصلاية  
عتفوانها، بينما العود يتطلب اللين والرقّة.

باتيسا : ماذا تقول ؟ أولست قادراً على تعليمها العزف على العود ؟

هورتسيو : حتماً لا، بما أنها كسرت على رأسي، لقد نبهتها الى انها تخطيء

في لمسات الأوتار، وطويت لها أصابعها لأعوّدها على وضعها في الأماكن اللازمة، عندما فاجأتني بنزقها وعنادها، وصاحت بي : اللمسات ؟ هل تسمّي هذه لمسات ؟ إذا سأمرّن يدي عليك، ولدى هذه الكلمات انهالت بعنف على رأسي بالعود الذي حطّمته شرّ تحطيم، فطاش صوابي بعض الوقت، لا سيما حينما نعتني بالشقي الغادر وبالموسيقي الفاشل وبشتى النعوت التي تتقنها لأنها أستاذة في فن الشتم والسباب، على ما أرى.

بتروسيو : لعمرى، هي آنة مستبدة، وأنا أحيها الآن عشرة أضعاف عما قبل، ويسعدني التحدث إليها.

باتيستا ( لهورتسيو ) : هيا، تعالّ معي ولا تيأس، تابع إلقاء دروسك على ابنتي الصغرى لأنها موهوبة، وتقدرّ ما تسدي إليها من جميل، يا سنيور بتروسيو، هل تريد أن ترافقنا أو أرسل لك ابنتي كاترين ؟

بتروسيو : أرجوك أن ترسلها، فأنا انتظرها هنا ( يخرج باتيستا وجيراميو وترانيو وهورتسيو ) وحالما تأتي، سأنصرف الى مغازلتها بلباقة، ولنفرض أنها بادرت إلى تحقيري، فسأقول لها أنها تفسرّد برخامة كالبلابل، ولنفرض أنها نظرت إليّ شذراً وعيست فأصرح لها بأن محياها البسام أشبه بوردة تنفشها قطرات الندى، وإذا ظلت صامتة وتشبّث بسكوتها، حينئذ سأشيد بطلاقة لسانها وبالفضاحة التي تتحلّى بها، وإذا رفضت أن تتزوجني، سأطلب منها برقة، متى يمكنني إعلان موعد زفافنا، ها هي مقبلة، هيا يا بتروسيو تكلم.

بتروسيو : نهارك سعيد يا كاتي، أظنك هكذا تُدعين، كما سمعت ؟ كاترينا : لم يخطيء سمعك، لكن هناك قليلاً من التحريف، لأن الذين يتحدثون عني يسمونني كاترينا.

بتروسيو : أوكد لك انني لا أحرّف، فالناس يختصرون اسمك ويدعونك كاتي، كاتي المتعالية، كاتي المشاكسة، وبالتالي كاتي الجميلة، كاتي الفاتنة، كاتي الحلوة، ومن يقول حلوة يعني الحلوة اللذيذة الطعم، فأنت سلواي يا كاتي، اصغني إليّ يا مبعودتي الصغيرة، فبعد أن سمعت الإطناب بلطفك

والإشادة بفضائلك وبهاء طلعتك كما تستحقين، دفعني الشوق الى البحث  
عنك لأجملك شريكة حياتي.

كاترينا : أن يدفعك الشوق إليّ حقاً أمر مشكور، ولكن كما دفعك ابليس  
إليّ، فليحملك ويعدك عني، لأنني لا أجد فيك إلا رجلاً متقلّباً كثير الأهواء.

بتروسيو : ماذا تعنين بكثير الأهواء ؟

كاترينا : أعني انك غير مستقر.

بتروسيو : لقد أصبت، وما عليك إلا أن تمنحيني هذا الاستقرار بإلقاء عينك  
علي.

كاترينا : حمل الأثقال هو من نصيب الحمير، وأنت مثلها.

بتروسيو : والنساء نصيبتها الحمل أيضاً، وأنت لن تشدّي عن القاعدة.

كاترينا : لكنني لست المطية التي ستحملك، إذا كنت تعتمد علي.

بتروسيو : مع الأسف يا كاتي الكريمة، لن أثقل عليك الحمل، لأنك صبية  
رشيقة.

كاترينا : أرشق مما تتصور، حتى يتمكن ثقل الظل نظيرك من أن يحظى بي،  
فأنا مقدّرة مقامي وأدري الناس بما أستحق.

بتروسيو : أجل، إذا رضي بك أحد من الرجال.

كاترينا : هذا قول غير مقبول لا سيما إذا صدر عن قبرة مثلك.

بتروسيو : يا لك من فراشة طائشة هائمة في أجواء الغرور، ستقوى القبرة على  
التقاطها.

كاترينا : انما الفراشة ماهرة في تضليل الطيور الجارحة.

بتروسيو : هيا، يا نحلة خففي من تشامخك، انك تستشيطين غضباً بدون  
داع.

كاترينا : ان كنت أنا نحلة، عليك أن تخشى ابرتها.

بتروسيو : لن أعدم وسيلة لانتزاعها والتخلص منها.

كاترينا : اذا كان الأبله قادراً على الاهتداء الي مخبئها.

بتروسيو : ومن لا يعرف أن ابرة النحلة في أسفل أحشائها ؟

كاترينا : بل بين شفتيها، يا غبي.

بتروسيو : شفتي من تعنين ؟  
 كاترينا : ربما شفتيك أنت يا مغفل، إن كنت سليم الطوية، وداعاً.  
 بتروسيو (مسكاً بها) : تقولين سليم الطوية، ان شفتي ستلتقيان حتماً بما  
 تحاولين حجه عني، هيا عودي يا كاترينا الكريمة، فأنا من الأعيان.  
 كاترينا : هذا ما أريد أن أوقن به ( تصفعه على خده ).  
 بتروسيو : أقسم لك بأنني سأرد الكيل كيلين، إذا أعدت الكرة.  
 كاترينا: ستفقد اعتبارك، إذا ضربت امرأة، ولن تكون من الأعيان، وإن لم تكن  
 منهم فلا اعتبار لك بتاتاً.  
 بتروسيو : ان كنت أميرة، يا كاترينا، احسيني أحد حراسك.  
 كاترينا : ما هو شعارك ؟ عرّف الديك ؟  
 بتروسيو : ديك بلا عرف، شرط أن تكون كاتي دجاجتي وحييتي.  
 كاترينا : أنا لا ميل لي اليك، أيها الديك الحقير، لأن صياحك يشبه نعيق  
 اليوم.  
 بتروسيو : هيا يا كاتي، لا تظهرني كل حموضة أخلاقك.  
 كاترينا : هذا مذاقي الاعتيادي مقابل خيارة مثلك.  
 بتروسيو : ليس من خيارة هنا، فابدي حموضتك.  
 كاترينا : أنا أراها في محلها بكل تأكيد.  
 بتروسيو : دلّني عليها اذاً.  
 كاترينا : لو كان لديّ مرآة لما ترددت لحظة.  
 بتروسيو : هل تقصدين أن تريني فيها وجهي ؟  
 كاترينا : لقد أدركت مرامي، يا خبيث.  
 بتروسيو : والله، أجدني أصغر ستاً ممن تحتاجين اليه.  
 كاترينا : أنت مع ذلك لا رونق لك.  
 بتروسيو ( يطوّق خصرها ) : بسبب الهموم.  
 كاترينا ( تحاول التملص منه ) : أنا لا أبالي بما ينتابك.  
 بتروسيو ( يمسك بها ) : هيا اصغي إليّ يا كاتي، في الحقيقة لن تتخلصي  
 مني هكذا.

كاترينا : سأظل أضيافك إلى أقصى حدّ، اذا حجزتني هنا، فدعني أذهب.  
بروسيو : كلا، لن تذهبي، لأنني وجدتك في غاية اللطف، لقد قيل لي أنك  
خشنة الطباع، مشاكسة كهيبة، وأرى أن كل هذه الأقوال لا أساس لها من  
الصحة، إنك جذابة داهية طلية الحديث، أنت لا تتكلمين بهدوء وألفاظك  
حلوة كأزهار الربيع أنت لا تحرنين ولا تنظرين شهراً ولا بتلمظين غيظاً كما  
تفعل الفتيات الماكرات، ولا يلدّ لك أن تصرفي عنك أحداً، بل تستقبلين  
المعجبين بك بكل ترحاب وحسن ضيافة، فلماذا يدعي الناس أن كاترينا ملتوية  
الأخلاق، تبا لهم من نمامين ! إن كاترينا رشيقة الخطى مستقيمة القامة مثل  
قضب البان، وهي سمراء كالبنديق ولذيذة كاللوز المحمص، هيا، أرني  
مشيتك لأؤمن بأنك لا تعرجين.

كاترينا : يا لك من محتال ! اذهب واصدر أوامرك الى من رشوتهم من  
المغفلين.

بروسيو : ان الالهة ديانا لم تزئِن الغاية مثلما زئنت كاترينا هذه الغرفة بأناتها  
وروعة حسننها، أرجو أن تكوني لي كديانا، فتأخذ ديانا مكان كاترينا،  
ولتتمسك كاترينا بعفتها كما تشبّثت ديانا بحنانها.

كاترينا : أيت تعلمت كل هذا الغزل المعسول ؟

بروسيو : إنني أستمد طلاقة لساني من معين عواطفك.

كاترينا : على المؤلف أن يكون فصيحاً لكي يأتي كلامه سلساً.

بروسيو : ألا تجديني متوقد الذهن ؟

كاترينا : أجل، ولذلك عليك أن تظل معي مرناً.

بروسيو : وحياتك، هذا ما أنوي عمله في سريرك يا كاترينا الحلوة، والآن  
أترك هذه اللباقات جانباً لأفصح لك عن رغبتني بتعابير واضحة، لأن والدك  
وافق على أن تصبحي زوجتي، وقد بتّ في أمر بائنتك، ومستصيرين شريكة  
حياتي شتت أو أبيت، صدقيني يا كاتي أنني الزوج المثالي الذي يناسبك، وأنا  
واثق بأنك على ضوء ما تستهويني من فتنة جمالك، لن ترضي أنت بغيري  
زوجاً لك، فقد خلقت أنا لترويضك وتحويلك من هرة شرسة الى فتاة أليفة

محبوبة نظير سائر الصبايا الأنسات، ها هوذا والدك مقبل، فلا ترفضي، لا بدّ من أن تكون كاترينا حليتي وأحصل عليها حتماً.

( يدخل باتستا وجيراميو وترانيو )

باتيستا : ما وراءك من الأخبار يا سنور بتروسيو ؟ كيف حالك مع ابنتي ؟  
بتروسيو : على أحسن ما يرام من التفاهم والانسجام ؟ إذ يستحيل علي ألا أنجح.

باتيستا : وأنت يا بنيتي كاترينا، ألا تزالين على ما أنت عليه من الكآبة ؟  
كاترينا : أنت تدعوني بنتك، وهذا برهان قاطع على حنوك الأبوي، ولا سيما عندما تنوي تزويجي برجل نصف أبله، غبي خالٍ من التفكير، يشبه طاحوناً لا يدور إلا بالدجل وبتدفق الشتائم والتهديدات على لسانه.

بتروسيو : عمّاه ! هذا الكلام بعيد جداً عن الواقع، أنت وجميع الذين يتحدثون عني تظلمونني وتخطئون في الحكم علي، أنا أعترف بأن ابنتك كاترينا مشاكسة عن سياسة وسابق تصميم، لكنها مع ذلك بعيدة عن الخشونة بل هي وديعة كالحمامة، وبعيدة عن الصلف بل مسالمة وهادئة كانبلاج الصباح، ومن ناحية الصبر فهي أشبه بأيوب، ومن ناحية العفة هي نظير يوسف بن يعقوب وكلانا على أتم التفاهم والاتفاق قد قررنا أن نعقد قراننا يوم الأحد القادم.  
كاترينا : اني أفضل أن أراك مشنوقاً يوم الأحد.

جيراميو : هل سمعت يا بتروسيو ؟ هي تعلن أنها تفضّل أن تراك مشنوقاً.  
ترانيو ( لبتروسيو ) : هل تعتبر هذا نجاحاً ؟ وداعاً إذا لعهودنا.

بتروسيو : صبراً يا سادة، أنا اخترتها لنفسي، فإذا كنا كلانا راضين فما شأنكم أنتم ؟ لقد تمّ الاتفاق بيننا نحن الاثنين عندما كنا منفردين على أن تواصل مشاكستها أمام الناس فقط. أؤكد لكم أن مقدار تعلقها بي لا يحصره وصف، يا لها من فتاة مخلصّة ! لقد عانقتني وطبعت على خدي قبله الشوق وأقسمت لي بيمين الوفاء، مبرهنة بذلك على هيامها بحبي، أنتم بدائيون في هذا الحقل، وأنا أعتبر أمراً عجبياً أن يروّض طالب زواج في خلوة واحدة أشرس المتوحشات، أعطني يدك يا كاتي، أنا ذاهب الى البندقية لأشتري لك جهاز العرس اللازم لرفافتنا، أعدّ الحفلة يا عمّاه، وأرسل الدعوات الى الأهل

والأصحاب لحضور الحفلة، أريد أن أعاين كم ستكون كاترينا ساحرة في هذه المناسبة السعيدة.

باتيسا : لا أدري ماذا أقول، ولكن هات يدك، أتمنى لك السعادة والتوفيق يا بتروسيو، فلقد ربحتنا القضية.

جيراميو وترانيو : آمين، وسنكون خير الشهود.

بتروسيو : وداعاً يا عماء، وداعاً أيتها الحسنة، وداعاً يا سادة، أنا ذاهب الى مدينة البندقية، وهناك سأشتري ما يلزم من خواتم وحلل رائعة وهدايا جميلة، عانقيني يا كاتي ( يقبلها ) سنتزوج يوم الأحد

( يذهب بتروسيو وكاترينا كل من جهة ) .

جيراميو : هل شاهدت زواجاً تم بمثل هذه العجلة ؟

باتيسا : لعمرى، اني أقوم، يا سادة، بدور التاجر المهووس الذي يغامر في سبيل مصلحة لا أمل له في نجاحها.

ترانيو : هذه السلع التي ربما تفسد بقربكم، إما أن تدرّ عليكم الريح الوافر، وإما أن تلتف أثناء نقلها اليكم في البحر فتنزّل بكم خسارة فادحة.

باتيسا : الريح الذي أتوخاه من هذه الصفقة هو السلام والوثام.

جيراميو : يجب أن أقرّ بأن هذا الغنم النادر يتحقق بهدوء وأمان، والآن يا باتيسا لتتكلم عن ابنتك الصغرى، ها قد أتى اليوم الذي انتظرته أنا طويلاً، فأرأف بحالي أنا المستجير بك، وأول عاشق في ديارك.

ترانيو : لا تنسَ اني أنا أيضاً طالب زواج وإني أحب بياتكا أكثر مما ييوح به تصرّحي الواضح وما يصوره لك خيالك الخصب.

جيراميو : يا لك من مخادع ماكر، لن يتسنى لك أن تحب بحنان أكثر مني.

ترانيو : أيها العجوز المتصابي، إن حبك مثل الثلج لن يلبث أن يذوب.

جيراميو : وحبك أنت مثل الزبد لن يلبث أن يزول، فما عليك أيها الدجال إلا أن تراجع وتنسحب لأن المرغوب في الثمرة هو نضوجها.

ترانيو : لكن الشباب في نظر الغواني هو الزهرة الفواحة.

باتيسا : هدثوا روعكم، يا سادة، سأبت في هذا الخلاف سريعاً، واستناداً الى الوقائع سأمنح الفائز ما يستحقه من جائزة، فمن منكما يسهه أن يخصص أوفر

بائعة لابنتي الكبرى، يظفر بيد بيانكا، قل لي يا سنور جيراميو، ماذا بإمكانك أن تؤمن لها كبائعة ؟

جيراميو : أولاً، كما تعلم، ان منزلي في المدينة غني بأثاثه وبالأواني الذهبية والفضة والطرسوت والأباريق لغسل الأيدي الناعمة، سجاداتي جميعها من صنع صور، وقد كُست دنائري في خزائني العاجية، وستائري وثيابي وجميع رياشي هي من الأصناف الفاخرة الغالية الثمن نظير الوسائد التركية المزركشة باللآلئ والأحجار الكريمة والموشاة بالذهب، عدا الأواني النحاسية وشتى الأواني البيتية وصناديق السرو التي تحفظ فيها. ثم مزرعتي تحوي مئة بقرة حلوب وعشرين ثوراً صخماً، وكل ما تبقى هو بهذه النسبة. لقد بدأت السنون تنقل كاهلي، وأنا لا أنكر ذلك. لكن، ان مت غداً، جميع هذا ينتقل إليها اللهم اذا رضيت بأن تكون لي ما حيت.

ترانيو : ليس من حسنة في كل ما ذكرت سوى الخاتمة. (لباتستا) أنصت إليّ الآن يا سيدي. أنا ابن وحيد، وأبي لا وريث له غيري، فإذا تسنى لي أن أحظى بابنتك كزوجة لي، سأترك لها في أحياء مدينة بيزا الفخمة ثلاث أو أربع منازل أجمل من التي يملكها العجوز السنور جيراميو في بادوا، ما عدا مدخول قدره مئتا ألف ريال، قوامه أراضٍ ستكون من أهم أرزاقها. هل يزعجك هذا يا سنور جيراميو ؟

جيراميو : مدخول من مئتي ألف ريال قدامه أراضٍ ! كل أرزاقتي لا توازي هذا المبلغ ولكن سيكون لها فوق ذلك، حالاً، سفينة راسية على رصيف مرسيليا، وهذه السفينة وحدها يسيل لها اللعاب اشتهاً.

ترانيو : يا جيراميو، من المسلم به أن ميراث أبي لا يقل عن ثلاث سفن كبيرة ومركبين واثني عشر زورقاً، أوّمنها لها جميعها، وأنا على استعداد لمضاعفة عرضك عليها مهما كان جزيلاً.

جيراميو : لقد قدمت كل ما يخصني ولا مزيد عندي، فلا يسعني أن أهدي ما لا أملك، فإن قبلت أنت بي، سأكون أنا ملك يديها مع جميع ما يخصني. ترانيو (لباتستا) : الفتاة من نصيبي أنا، لا لأحد سواي، حسب وعدك النهائي ، وهكذا لم يعد لجيراميو في هذا الموضوع أي حساب.

باتيمتا : يجب علي أن أعترف بأن عرضك هو الأنسب، وإذا شاء والدك أن يضمن لك هذه الثروة، فابنتي هي من نصيبك. وإلا، أرجوك أن تعذرني، فإن مت أنت قبله، لا أدري ماذا يحل بتركته.

ترانيو : هذا أمر مفروغ منه. هو عجوز، وأنا في عز الشباب.

جيراميو : ألا يموت الشبان كما يموت الشيوخ ؟

باتيمتا : كفى يا سادة. هذا قراري الأخير ولا مردّ له. وأنتم تعلمون بأن ابنتي كاترين ستزوج يوم الأحد القادم. ( لترانيو ) وأنت ستزوج بيانكا متى حصلت على ضمانّة أبيك، وإلا ستكون من نصيب المنيور جيراميو، وعلى هذا الأساس أستاذنكم شاكرًا

( يخرج )

جيراميو : الوداع يا جاري العزيز. ( لترانيو ) الآن لم أعد أحشاك. لعمرى، أيها المهرج الصغير، إن أعطاك والدك منذ الآن ما يملك أعده من المغفلين، لأنك قد لا تتردد، أيام شيخوخته، في إهماله وحرمانه من حقوقه الشرعية. هذا عمل صيباني، وأظن أن الثعلب الإيطالي العجوز لن يبلغ هذا الحدّ من الغباء، يا ولدي. ( يخرج )

( يخرج )

ترانيو : بُليتْ بقتلك أيها العجوز الأشمط اللثيم. من حسن حظي رددت عليك بأفضل أجوتي، وقد قصدت أن أعرف ما يعود من خير العواقب على معلمي. لا أدري لماذا لم يتخذ لوستنيو المزعوم أباً مزعوماً، اسمه فنستيو. ان هذه الوسيلة حقاً رائعة. إذ جرت العادة أن يصنع الأب ابنه، انما في عرف هؤلاء العشاق وبفضل مهارتي، أصبح الإبن هو الذي يصنع والده.

( يخرج )

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

#### في جناح بيانكا

( يدخل لوستيو وهورتسيو تيمهما بيانكا )

لوستيو : كُفوا عن العزف أيها الموسيقيون. أنت تتصرف بحرية زائدة يا سيدي هورتسيو. هل نسيت بهذه السرعة ما خصّتك به أختها كاترينا من استقبال فاتر ؟

هورتسيو : اعلم، أيها المتفلسف الثقيل الظل، انك هنا أمام سيد الطرب، فدعني أتقدم عليك، وبعد أن نقضي ساعة من الزمن في سماع أعذب الأنغام، سيكون أمامك الوقت الكافي لإلقاء دروسك.

لوستيو : يا لك من حمار بليد. بيد عليك انك غير واسع الاطلاع لتدرك روعة الموسيقى وتأثيرها العجيب في إنعاش ذهن الإنسان بعد عناء الدروس وتعب الأشغال اليومية. دعني إذا ألقى الآن درسي في الفلسفة. وبينما أنا أرتاح تقدم أنت ألعانك الرائعة.

هورتسيو : لن أتحمّل طويلاً غلاظتك المقدعة يا جاهل.

بيانكا : جميعكم، يا سادة، تزعجونني بمناقشاتكم العميقة في أمر يتعلق بي

وحدي. أنا لست تلميذة ساذجة تساق بالعصى، ولست مقيدة بمواعيد معينة، بل أود أن أتلقى دروسي حين يحلو لي ذلك، فحسباً لكل نزاع بينكم تعالوا نجلس هنا. (لهورتسيو) أرجوك أن تتناول عودك لتعزف لنا قطعة مرحة، فإن درسه سينتهي قبل أن تضبط الآلة.

هورتسيو (ليانكا) : ستركين درسه حالما أنتهي من ضبط أوتاري.

لوستيو : إذا واصل تهية عودك ( ينسحب هورتسيو جانباً ).

ليانكا : أين توقفتنا ؟

لوستيو : هيا يا سديتي. أنا لوستيو بن فنستيو من مدينة ييزا، وقد تنكرت هكذا ليتسنى لي كسب مودتك، ولوستيو هذا الذي جاء يغالرك هو وصيفي ترانير الذي حل محلي للتمويه على والدك الشيخ.

هورتسيو ( وهو عائد ) : ان آلتى الموسيقية أصبحت جاهزة، فاسمعوا إذا ( يعزف هورتسيو بعض الأنغام ) تبا لهذا الوتر العلوي الذي يخن.

لوستيو : ابصق في ثقب الملوأة، يا صديقي، وأعد ضبط الوتر ( ينسحب هورتسيو ثانية ).

ليانكا : والآن جاء دوري في الكلام. أنا لا أعرفك ولا أصدقك. فاحذر أن يسمعك أحد، ولا تبالغ في الادعاءات، وبنوع خاص لا تياس أبداً. لوستيو : أجل، ما عدا الوتر السفلي.

هورتسيو : السفلي مضبوط. ( على حدة ) ولكن سفالتك يا خبيث هي الشاذة، ما أكره تشامخك وجسارتك أيها الفيلسوف المنكود الحظ ! بحياتي، أنت حقاً مغفل حتى تغازل حبيبتى. يا غشاش سأراقبك عن كسب

( يقرب ).

ليانكا : قد أصدقك يوماً ما. غير أنني لا أزال أرتاب بك حتى هذه الساعة.

لوستيو : لا تقفي به ( يلمح هورتسيو ) هو يروغ منك كما يروغ الثعلب.

ليانكا : يجب علي أن أصدق معلمي، وإلا نيهتك الى تخوفي من هذه النقطة التي تبعث على الشك. ولكن، لنقف عند هذا الحد. ( لهورتسيو ) والآن جاء دورك يا ليميو. أرجوك يا أستاذي الكريم أن لا تحتق عليّ لأنني جاملتك هكذا.

هورتسيو ( للوستيو ) : يمكنك أن تتجول قليلاً وتركني وشأني لحظة. ففي دروسي الموسيقية لا مجال لإشراك ثلاثة طلاب معاً.

لوستيو : أراكم تتكلمون في معالجة قضاياكم يا سادتي. ( علي حدة ) حسناً سأبقى لأراقب سير الأمور، فأنا ألاحظ، ان لم أكن مخطئاً، ان موسيقينا الطريف عاشق مقيم.

هورتسيو : قبل أن تمسّي الآلة، يا سيدتي، سأعلمك كيف تستعملين أصابعك أثناء العزف، ثم أبدأ بتلقينك مبادئ الفن الأساسية سأعلمك السلم الموسيقي بطريقة أقصر وأبهر وأفيد وأنجع من الطريقة التي درج عليها زملائي، وها هي ذا مكتوبة على هذه الورقة، بخط جميل. ( يسلمها الورقة ).

بيانكا : لقد حفظت السلم منذ زمن بعيد.

هورتسيو : اعتصمي دوماً بسلم هورتسيو الأمين.

سلم دو : أنا مجموع كل الأوزان.

١ ره : أوحدّها للإفصاح عن أشواق هورتسيو.

٢ مي : إقبليه زوجاً لك يا بيانكا.

٣ فا : لأنه يحبك بكل نزاهة وإخلاص.

٤ صول : عندي لهذا القرار بندان.

٥ لا ر مي : أرأفي بحالي، وإلا مت كمدأ.

هذا ما يدعى سلماً، رغم أنه لا يعجبني كثيراً، فأنا أفضل الطريقة القديمة، أنا لست عاجزاً عن وسائل ألجأ إليها لأعيد القواعد الأصلية باستنابات سفسطائية.

( بدخل وصيف )

الوصيف : يا سيدتي، والدك يرجوك أن تركي كتبك هنا لتذهبي وتساعدني في تزيين حجرة شقيقتك، فغداً كما تعلمين هو موعد قرانها..

بيانكا : عليّ أن أترككم، يا أساتذتي الاعزاء، فإلى اللقاء

لوستيو : بعد الآن لم يعد من حاجة لبقائي في هذا المكان ( تخرج بيانكا والوصيف ثم لوستيو ).

هورتسيو ( وحده ) : أما أنا فلدي رغبة في المكوث هنا لمراقبة هذا المتفلسف الذي يبدو لي أنه غائص في بحر الغرام، آه منك يا بيانكا ! ان كنت تريدين، ولو بقليل من الوضاعة، أن تشملي بعطفك أول القادمين، فليتزوجك من يشاء، وإذا تصرفت بطيش، فهورتسيو يكون في حل ليغير رأيه ويختار سواك (بحرج).

## المشهد الثاني

### أمام منزل باتيسا

( يدخل باتيسا وترانيو وكاترينا وبيانكا ولوستيو في مركب فخم يتبعهم المدعون إلى العرس ).

باتيسا (لترانيو): سنيور لوستيو، ها هو اليوم المعين لزفاف كاترينا وبتروسيو، ومع ذلك لم نلتق حتى هذه الساعة أي نبأ عن وصول صهرنا، ماذا سيقول الناس عنا ؟ ما هذه الفضيحة التي يثيرها غياب العريس أثناء انتظار كاتب العقد لإتمام مراسم الزواج ؟ وبماذا سيتبجح لوستيو حيال العار الذي يلحق بنا.

كاترينا : أنا وحدي أتحمّل وفر هذا العار، لأنني مضطّرة، بالرغم مما يتمناه قلبي، الى القبول بشاب خال من العقل، بعيد عن الكياسة والمسايرة، بعد أن غازلني باستعجال، يتباطأ في القدوم الى عرسه. لقد قلت لك أنه مهووس نزق، يخفي السخرية المرة تحت مظاهر الصراحة القاسية. ولكي يظنه الناس ظريفاً تراه يغازل ألف امرأة ويعين لكل واحدة موعداً للاقتران بها، ويدعو الاصدقاء ويعدّ كل مقتضيات الحفلة بدون أن ينوي الزواج، هكذا يشير الناس بإصبعهم الى كاترينا قائلين : ستصبح امرأة المهووس بتروسيو، يوم يخطر بباله أن يأتي ليتزوجها.

ترانيو : صبراً يا كاترينا الطيبة، صبراً يا باتيسا الكريمة. صدقوني، ان قلت لكم ان نية بتروسيو سليمة، وأن ظروفه تمنعه عن الاعتذار، وإن بدا قليل اللياقة، فأنا أعلم أنه يدرك ما يفعل، ومع أنه يظهر غير مبالٍ، فأنا واثق بأنه رجل شريف يحترم عهوده.

كاترينا : أتمنى أن لا أكون قد عرفته ( تخرج باكية وتتبعها بيانكا وبعض المدعوين الى العرس ).

باتيسا : اذهبي يا بنتي. فأنا لا يسمنى أن ألومك على نحيبك. لأن مثل هذه الإهانة التي لا تتغتر تعيظ قديماً، فكم بالحري فتاة نزقة سامية الطموح نظيرك.

( يصل بيوندالو راكضاً )

بيوندالو : سيدي، لدي خبر هام، خير سار لم تسمع به بعد.

باتيسا : خير سار ؟ ماذا تقصد ؟

ترانيو : ما هو ؟ أوليس خبرك وصول بتروسيو ؟

باتيسا : هل وصل حقاً ؟

بيوندالو : كلا، يا سيدي.

باتيسا : ماذا تريد أن تقول إذا ؟

بيوندالو : سيصل.

باتيسا : ومتى يحضر الى هنا ؟

بيوندالو : عندما يقف أماننا ونراه بأم أعيننا.

ترانيو : تكلم أيها البلبد، تكلم. ما هو خبرك الهام ؟

بيوندالو : لقد وصل بتروسيو، وعلى رأسه قبعة جديدة، وهو يلبس سترة قديمة وسروراً رثاً مقلوباً ثلاث مرات، وجزمة كانت سابقاً كيس شمع، فردة منها بأزرار وفردة بسير، وفي وسطه خنجر أكل الدهر عليه وشرب وقد ذهب بحده الصدأ، مأخوذ من مستودع أسلحة البلدية، قبضته مخلوعة، وغمده ضائع، ومهمازه محطم وحصانه مشدود عليه سرج عتيق عفن، زمامه موصل، وهو فوق ذلك مريض محدودب الظهر كالجمال، هزيل الجثة مخدش الجلد

مشوه الشدقين، أصفر اللون، زائغ البصر، مقوس القوام، مكسور الشكيمة،  
الخ، الخ...

باتيستا : ومن يرافقه ؟

بيوندالو : خادمه، وهو على شاكلة حصانه، في رجله الواحدة جراب من قطن  
وفي رجله الأخرى جراب من صوف خشن مشدود بخيط غليظ أحمر  
وأزرق، وعلى رأسه قبة بالية، لها بدل الريشة باقة من الزهور الذابلة كأنه في  
لباسه القبيح مسخ لا يشبه أبداً أي وصيف في خدمة الأعيان.

ترانيو : لا بد من أن يكون ذوقه الفاسد قد أوحى إليه هذا الهندام الذري،  
وهو الذي لا يرتدي على الدوام إلا مثل هذه الألبسة المهلهلة.

باتيستا : أنا سعيد بأن يكون قد أتى لابساً هذه الثياب السمجة.

بيوندالو : لكنه، يا سيدي، لم يصل بعد.

باتيستا : ألم تقل أنه قادم ؟

بيوندالو : من ؟ بتروسيو ؟

باتيستا : نعم، بتروسيو.

بيوندالو : كلا، يا سيدي. لقد قلت ان حصانه آت وهو على ظهره.

باتيستا : الأمر واحد في الحالتين.

بيوندالو : كلا، أراهن على أن الرجل وحصانه اثنان لا واحد، ولا ثالث لهما.

( يعمل بتروسيو وكريبيو كلاهما مرتدين كما وصفهما بيوندالو )

بتروسيو : قل لي، أين الشبان ؟ ومن الذي بقي في المنزل ؟

باتيستا : أهلاً بك يا سيدي.

بتروسيو : اني أستطيع أن أرتدي ثياباً أفضل من هذه.

باتيستا : أنا لا أرى فيك أي مظهر غريب.

ترانيو : انما لست متأنقاً، كما كنت أتصور وأتمنى.

بتروسيو : كان علينا أن نستعجل للوصول في الوقت المعين. ولكن أين

كاترينا ؟ أين خطيبي الحبيبة ؟ وكيف حال والدها عمي ؟ اني ألاحظ على

وجوهكم، يا سادة، مسحة من الكآبة، لماذا كل هذا الجمع واجم كما لو

كان في مأنم، أو أمام مشهد مذهل، أو أحد الكواكب المذبذبة: أو إحدى العجائب الخارقة.

باتيستا : يا سيدي، أنت تعلم أن اليوم هو موعد عرسك. أولاً نأسف لتأخرك، وكنا نخشى أن لا تأتي، وما نحن أكثر حزناً لمشاهدتك كئيباً. تباً لك. اخلع عنك هذه الألبسة المخجلة نظراً إلى مستواك ودورك في فرحتنا المرتقبة.

ترانيو : وما هو السبب الوجيه الذي أبقاك هكذا بعيداً طوال هذه المدة عن عروسك، وجعلك تصل إلينا في ثياب رثة غير التي عهدناها فيك ؟  
بتروسيو : حجتي يصعب علي تبيانها، ويسوؤك سماعها. يكفي الآن أن ترى أنني جئت لأفي بوعدتي رغم بعض العراقيل القاهرة التي سأكشفيها لك في ظروف أكثر ملاءمة، وستعذرني عليها لأنها مُقنعة. ولكن أين كاترينا ؟ لقد مضى زمن طويل وأنا بعيد عنها. ها قد انقضى قبل الظهر، وعلينا أن نكون هذه الساعة في الحفلة.

ترانيو : لا تدع خطيتك تشاهدك في هذه الثياب غير اللائقة. امض إلى غرفتي وارتند بعض ملابس.

بتروسيو : لن أفعل ذلك. صدّقوني أنني أريد أن أراها وأنا هكذا.  
باتيستا : غير اني لا أعتقد بأنك تريد أن تتزوج بهذه الأسماك البالية.  
بتروسيو : إذا تم القران، أكون من أسعد السعداء. والآن لنوقف نقاشنا عند هذا الحد. هي ستفترن بشخصي لا بشيبي. ولو تمكنت من تعويض ما ستهريه فيّ بمثل سهولة تفسير ملابس الحفيرة، فإن ارتياح كاترينا يجعلني أكثر ابتهاجاً منها، ولكن أي بهلول أنا لأثرثر معكم، بينما يتوجب عليّ أولاً أن أسلم على خطيبي، وأن أتسنى لها نهاراً سعيداً، ثم أوطد علاقاتي بها بقبلة حارة.  
( يخرج بتروسيو وكريميو ويوندالو ).

ترانيو : ان له غاية من بقاءه بهذه القيافة المقذعة. فلنحاول اقناعه ان أمكن، بأن يستبدل ثيابه بما يناسب الموقف ويذهب إلى حفلة زواجه.  
باتيستا : سأتبعه لأرى نهاية المهزلة.

(خارج)

ترانيو ( للوستيو ) : ولكن، يا سيدي، يهمني أن أضيف الي حب بيانكا رضي أيتها. وللحصول عليها، كما أخبرت سيادتك، سأكلّف رجلاً، كائناً من كان، لا يهتم، لأنني سألقنه ما يجب أن يقول، ليتحلل شخصية فنستيو القادم من بيزا الي مدينتنا بادوّا، ويتعهد بتقديم مبالغ أضخم من التي وعد بها، وهكذا ستمتع بالسعادة المنشودة وستزوج بيانكا الفاتنة بموافقة والدها.

لوستيو : لو لم يكن رفيقي الأستاذ يراقب عن كثب خطوات بيانكا لفضّلت أن أتزوج سراً. وأمام الأمر الواقع، لو قاومني العالم برّمته سأحتفظ بكنزي الغالي رغم أنف الناس أجمعين.

ترانيو : سأحاول أن أصل الي غايتي رويداً رويداً، وسأغتنم الفرصة المناسبة لتحقيق أمنيّتي. فعلي أن أحتاط للأعيب المخاتل جيراميو والوالد الرقيب مينولا وهذا الموسيقي البارِع والعاشق ليسيو، كل ذلك لتأمين مصلحة معلمي لوستيو.

( يدخل كريبو ) .

ترانيو : يا سنيور جيراميو، هل تريد أن تأتي الي الحفلة ؟

جيراميو : أجل وبكل سرور كما كنت أفعل أيام تهربي من المدرسة.

ترانيو : هل عاد العريس والعروس ؟

جيراميو : أنت تسأل عن العريس الذي اعتبره أنا رجلاً خبيساً خشن الطباع. والذي ستختبره المسكينة بعد فوات الأوان.

ترانيو : هل هو يثير الأعصاب مثلها ؟ هذا مستحيل !

جيراميو : هو شيطان رجيم، بل ابليس لعين.

ترانيو : وهي امرأة خبيثة مأكرة لا مثيل لها بين ربّات الكيد والخداع.

جيراميو : هي ليست في الحقيقة سوى نعجة وديعة بلهاء بالنسبة اليه. سيبيّن لك ذلك لوستيو عندما يحضر كاتب العقد ويسألك عما اذا كنت فعلاً تريد كاترينا زوجة لك. فجوابك بنعم سيدهشه ويتركه مشدوهاً فيسقط العقد من يده على الأرض، وعندما ينحني ليلّمه سيسقط هو بدوره، فيبادر المدعوون الي رفعهما معاً منعاً للتشاؤوم من هذا الزواج العجيب.

ترانيو : وماذا تقول المسكينة حين ينهض كاتب العقد ؟

جيراميو : سترتجف وترتعش بينما هو يضرب الأرض برجله ويشتم، كما لو أراد عاقد القران أن يسحره. أخيراً بعد مراسم عديدة يشرب نخب الحاضرين كأنه نجا من كارثة جسيمة. ثم يطوق العروس بذراعيه ويطبع علي ثغرها قبلة صاخبة تردد صداها جدران القاعة، وحالما تعاین ذلك تهرب خجلاً، وأنا على يقين بأن الموكب سيتبعني إذ لن يشاهد أحد زواجاً بديلاً مثل هذا، ثم تعزف موسيقى الوداع.

( تعزف الموسيقى ويصل بتروسيو وكاترينا ويانكا وباتستا وهورتسيو وكريسيو وجميع المدعوين )

بتروسيو : سادتي وخالتي، أشكركم على ما تجشمتوه بحضوركم من عناء. أنا أعلم بأنكم تنتظرون أن تتعشوا اليوم معي، وإنكم تمنون أنفسكم بماكل لذیذة في هذا العرس، ولكن أعمالی المستعجلة، مع الأسف، تدعوني بعيداً عن هذا المكان. لذلك استأذنتكم بالذهاب.

باتستا : هل يجوز أن ترحل عنا هذا المساء ؟

بتروسيو : عليّ أن أعادركم قبل حلول الظلام، ولن تستغربوا أبداً حجتي متى اطلعتم عليها، بل سترجونني أن أمضي بدلاً من أن أبقى فيما بينكم. أشكركم علي رفقتم المشرفة، وعلي حضوركم حفلة اقراني بامرأة أعتبرها الأحلى والأفضل بين جميع النساء. تناولوا العشاء مع والدها عمي، واشربوا نخبي، والآن علي أن أذهب، فالوداع إذاً.

ترانيو : أتوسل اليك أن تمكث معنا الي ما بعد العشاء.

بتروسيو : هذا مستحيل.

جيراميو : وأنا أتوسل اليك.

بتروسيو : هذا مستحيل.

كاترينا : وأنا أيضاً أتوسل اليك.

بتروسيو : بكل ممنونية أودّ أن ألبّي طلبك.

كاترينا : أكرر توسلي اليك أن تبقي.

بتروسيو : لا أبهج عندي من قبول توسلك، انما قررت أن لا أبقى حتى إن توسلت إلي بكل ما لديك من قوة إلحاح.

كاترينا : ان كنت حقاً تحبني، لا ترد طلبي.

بتروسيو : جيراميو، هيء لي جوادي.

كريميو : أمرك مطاع، يا سيدي. هو جاهز. وقد أكل شعيره.

كاترينا : تصرف أنت كما تشاء. أما أنا فلن أرحل اليوم معك، ولا غداً ولا

قبل أن يشتهي خاطري. الباب مفتوح أمامك، يا سيدي. وهذا طريقك منفسح

قدامك ويمكنك أن تنهب الأرض نهياً ما دامت جزمته متينة. أكرر عليك

أنني لن أذهب قبل أن أشاء أنا الذهاب. يبدو لي أنك ستكون زوجاً عنيداً،

ولمست ذلك في تمسكك بهذا الرفض المتعنت.

بتروسيو : هدئي روعك يا كاتي. أرجوك أن لا تحنقي.

كاترينا : أنا حانقة. فماذا يسعك أن تفعل ؟ كن هادئاً يا أبي، واطمئن الي أنه

سيبقى هنا الي ما أشاء أنا.

جيراميو ( لباتيسنا الذي يشير اليه بتروسيو ) : لعمرى، ها هو قد بدأ يستسلم.

كاترينا : يا سادة، تعالوا تنتقل الي وليمة العرس. أعتقد أن المرأة تميل الي

الانهار إذا لم يشجعها أحد على المقاومة.

بتروسيو : هؤلاء الأفاضل يمضون الي العشاء كما طلب منهم، يا كاترينا.

أطيعوا العروس جميعكم أيها السائرون في موكبها. اذهبوا الي المأدبة وامرحوا

وكلوا واشربوا نخب عفتها، وإلا امضوا الي الجحيم. أما كاتي صديقتي

الحبيبة فسترافقني. ( لكاترينا ) هيا اخلعي عنك هذا المظهر الكتيب، ولا

تتهبي ولا تأتري، أنا أريد أن أكون سيّد المرأة التي تخصني، فكاترينا هي

ملكتي وستقاد إليّ صاغرة. هي بيتي وأثاثيري وحقلي وأهراثيري وحصاني وثوري

وحماري وكل كياني. ( يتنضي خنجراً ) وهذا سلاحني فمن يجرؤ على

الوقوف في وجهي ؟ سأضع كل من يجسر على اعتراض سبيلي في حدوده.

هنا في بادوّا يا كريميو، عليك أن تقدمنا وتفسح لنا الطريق، لأن اللصوص

يطوقونا، انقذ سيدتك ان كنت رجلاً، وأنت يا ملاكي لا تخشي مكروهاً.

فلن يمستك أحداً بسوء، يا حبيبتني كاترينا، سأكون درعك الواقني وإن جابهنا

ألوف المعتدين. ( يخرج بتروسيو مصطحباً كاترينا ويتبعهما كريميو ).

باتيسنا : هيا، دعوا هذين العروسين المسالمين وشأنهما.

جيراميو : لو لم يادر الى الذهاب، لأغربت في الضحك.  
ترانيو : بين جميع الزيجات المتهورة لم أر لهذا الزواج من شبيه.  
لوستيو ( ليانكا ) : يا سيدتي، ما رأيك بشقيقتك ؟  
ليانكا : هي متهوسة، وانسجمت مع مخبول نظيرها.  
جيراميو : أنا أؤكد ذلك. ها هوذا بتروسيو خطيب كاترينا.  
باتيستا : يا جيراني وخلاتي الأفاضل، إذا كان العروسان سيتركان فراغاً فيما  
بيننا على المائدة، فاعلموا أن المآكل اللذيذة لن تغيب عنا في هذه المأدبة.  
لوستيو، اجلس مكان العريس، وأنت يا ليانكا اجلسي مكان أختك العروس.  
ترانيو : ستجرب الفاتنة ليانكا إذاً أن تصير عروساً.  
باتيستا : هذا بديهي، يا لوستيو. هيا بنا نمضي، يا سادة.  
(بخرجون).

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

في منزل بتروسيو

( يدخل كريميو )

كريميو : تباً لجميع المشاكسات المتعبات ولجميع المستبدين المزعجين، هل من رجل بليد ثقيل يضايق الناس أكثر مني ؟ أنا أتقدمهم لأشعل النار كي يتبعوني ويتدفأوا، فلو لم أكن حقيراً تافهاً لتجلدت شفتاي على فمي ولجف لساني في حلقي ولجمد قلبي بين ضلوعي قبل أن تتأجج النار في أحشائي لتذيب جليدي، غير أنني سأندفأ وأنا أنفخ النار، ففي هذه الأيام، لا ينجو أقوى جبار من البرد والزكام، أليس كذلك يا كرتيس ؟

( يدخل كرتيس )

كرتيس : من يناديني بهذا الصوت المرتعش ؟  
كريميو : قطعة جليد، وإذا شككت بالأمر يمكنك أن تلمس يدي وجيبي، فإني أرتحف برداً من رأسي إلى أخمص قدمي، عجل وأنتني بالنار يا كرتيس.

كرتيس : هل سيأتي معلمي وزوجته، يا كريميو ؟  
كريميو : أجل، يا كرتيس. إليّ بالنار، وإياك أن تجللها بالرماد.

كرتيس : هل هي متأججة كما أشتهي.  
كريميو : كان ذلك، يا كرتيس الكريم، قبل هذا الصقيع، ولكنك تعلم أن الشتاء يروض الرجال والنساء والحيوانات والأشياء معاً، وقد روض حتى معلمي ومعلمتي الجديدة وروضني أنا أيضاً يا صاحبي كرتيس.  
كرتيس : إذهب إلى الجحيم أيها المسخ الذي لا يتعدى طوله ثلاث بوصات أنا لست حيواناً.

كريميو : أنا مسخ طوله ثلاث بوصات ؟ تباً لقرونك التي يفوق طولها القدم. أنا على الأقل أطول منها. هل تريد أن تشعل لنا النار ؟ إن لم تمتثل شكوتك إلى معلمتك، فيصيبك من قساوتها ما تستحقه من عقاب ولا سيما إذا تباطأت في إنجاز المطلوب منك.

كرتيس : أرجوك يا كريميو العزيز أن تخبرني بما يقوله الناس عني.  
كريميو : هم لا يبالون بك، يا كرتيس، مهما كانت مشاغلك، عليك إذاً أن تتمم واجباتك لتصل إلى مبتغاك، فمعلمي ومعلمتي يوشكان أن يموتا من البرد.

كرتيس : ها هي النار متأججة فليتدفأ. أرجوك يا كريميو أن تزودني بالأخبار.  
كريميو : لدي منها ما نشاء.

كرتيس : أنت تحب دائماً أن تسلى بحكايات الناس.  
كريميو : كلا، لم ينلني سوى البرد القارس. إلي بالنار إذاً. أين الطاهي ؟ هل العشاء جاهز في المنزل المزيّن بالأزهار والأشرطة والنجوم المتدلية كالعناكب ؟ هل ارتدى المدعوون ملابسهم الجديدة وجواربهم البيضاء ؟ وهل لبس أهل العروسين حلل العرس ؟ وهل اكتملت جميع الترتيبات على ما يرام ؟ وهل فرش السجاد وصفت أواني المائدة ؟

كرتيس : أجل كل شيء جاهز، فأرجوك أن تطلعي على ما وراءك من أخبار.  
كريميو : أولاً، أعلم أن حصاني منهوك القوى، وأن معلمي ومعلمتي قد سقطا أرضاً.

كرتيس : كيف ؟

كريميو : من على السرج إلى الوحل، هذه قصة طويلة.

كرتيس : ارويها لي يا كريميو الطيب.

كريميو : قُرب أذنك.

كرتيس : ها هي.

كريميو ( وهو يصفعه ) : خذ.

كرتيس : هذا شعور بالقصة لا سماعها.

كريميو : هذه الطريقة تجعل القصة محسوسة، والصفعة ليس إلا وسيلة لاجتذاب أذنك وحملك على الإصغاء، والآن أبدأ : لقد نزلنا على منحدر هائل، ولما كان معلمي على ظهر الحصان خلف معلمي...

كرتيس : كلاهما على جواد واحد ؟

كريميو : وما ضرر ذلك ؟

كرتيس : هذا يرهق الحصان.

كريميو : إذا أتابع لك القصة : لو لم تقاطعني لكنت علمت بأن الجواد سقط وأضحى هي تحت الحصان، وتلوث بالوحل، ولكنت علمت بأنها اتسخت بكاملها وإنه تركها تحت الجواد، وإنه ضربني لأن الحصان تعثر، وإنها تخطت في الوحل لإنقاذ نفسها وإنها شمتت، وإنها صلّت، هي التي لم تعرف الابتهاج في حياتها، وإنها صرخت، وإن الزمام الذي تمسكت به انقطع وإنها فقدت توازنها... وألف تفصيل آخر يستحق الذكر، وإنها ستغيب في هوة النسيان بينما أنت سيضمك القبر بكل جهلك الفاضح.

كرتيس : نعم، وهذا ما ستعترف به أنت، عندما يعود معلمي لأنه أشجع من فيكم، ولكن ما نفع قلبي هذا لك ؟ استدع نتنايل ويوسف ونقولا وفيليب ووالتر وبسكي وجميع الباقين هنا لتنظيف خيولهم وثيابهم الزرقاء أيضاً، وكل حمالات جواربهم وزياتهم لينحنوا احتراماً، وليركعوا على ركبتهم اليسرى ويحترسوا من لمس شعرة واحدة من ذيل جواد معلمي، قبل أن يقبلوا يده هل هم جاهزون ؟

كرتيس : بأجمعهم.

كريميو : استدعهم فوراً إذاً.

كرتيس ( ينادي ) : يا جماعة ! هل تسمعون ؟ يجب عليكم كلكم أن تذهبوا

الى ملاقة معلمي، ولتسلموا على معلمتي.  
 كريميو : ملاقاتها ؟ هي قادرة على المجيء وحدها.  
 كرتيس : ومن ينكر ذلك ؟  
 كريميو : أنت، على ما يظهر، تدعو الجماعة إلى استقبالها والسلام عليها.  
 كرتيس : أنا أدعو الى تقديم الاحترام اللائق بسيديتي.  
 كريميو : الاحترام ؟ وهل فقدته حتى وجب تقديمه لها ؟  
 ( يدخل عدة وصفاء )

نتايل : أهلاً وسهلاً بك يا كريميو.  
 فيليب : كيف حال كريميو ؟  
 يوسف : ما بك، يا كريميو ؟  
 نقولا : يا رفيقي كريميو !  
 نتايل : كيف حالك يا صديقي القديم ؟  
 كريميو : أهلاً بك، كيف حالك ؟ أراك هنا، يا صاح. لقد وُلت الأيام الحلوة  
 السعيدة. والآن يا شجعان، هل كل شيء جاهز ا وهل كل شيء أصبح نظيفاً ؟  
 نتايل : كل شيء جاهز، إلى أين وصل معلمنا؟  
 كريميو : هو على بعد خطوتين، وقد نزل عن جواده. لا داعي لقلقكم عليه،  
 فإني أسمع صوته يقترب.

( يدخل بتروسيو وتبعه كاترينا )  
 بتروسيو : أين هؤلاء الأغبياء ؟ ماذا أرى ؟ لا أحد على الباب يمسك بركامي  
 ويأخذ جوادي ؟ أين نتايل وكريكوار وفيليب ؟  
 جميع الوصفاء : نحن هنا يا سيدي، نحن هنا.  
 بتروسيو : وأنا هنا يا سيدي، أنا أيضاً هنا. يا رؤوس الحطب، يا ساسة الخيل  
 المعتوهين، أين أنتم ؟ لا أجد الخدمة مؤمنة هنا. لا اهتمام ولا احترام. أين الغبي  
 السخيف الذي أرسلته أنا لاستقبالي ؟  
 كريميو : ها أنا ذا يا سيدي، غيبي بقدر ما أنا مسرع لاستقبالك.  
 بتروسيو : منافق، ابن عاهرة، بغل عجوز. ألم أقل لك أن تأتي لمقابلتي في  
 الحديقة وأن تصحب هؤلاء الدجالين.

كريميو : يا سيدي، إن رداء تتنايل لم يكن جاهزاً تماماً، وحذاء جيرابيل كان مفتوقاً عند الكعب، ولم يكن أي مشعل موقداً حتى نسود قبة بطرس، وخنجر والتر بدون غمد، لم يكن مستعداً سوى آدم ورفالف وكريكوار، أما الباقون فكانوا في ثيابهم الرثة المشعثة البالية، ولكنهم مع ذلك جاؤوا كما هم للمثول بين يديك.

بتروسيو : اذهب يا خبيث، اذهب واجلب لي الحساء ( يخرج بعض الوصفاء ).

(بغني)

أين عمري الذي ضبعتَه ؟

أين الأصحاب ؟ .. اجلسي يا كاترينا. أهلاً وسهلاً بك ( يجلس ) أف أف. ( يعود الوصفاء حاملين الحساء ) عجلوا، يا كاتي الكريمة الحلوة، افرحي. يا تتنايل اخلع جزمتي من رجلي. عجل يا غبي.

(بغني)

كان المتسول في ثياب رمادية يتنزّه على الطريق ( يمد فردة جزمته إلى وصيف ليخلعها ) إلى الجحيم يا مغفل. لقد فتلت لي قدمي. خذ ( يضربه ) وتعلم أن تشد الثانية بطريقة أريح. افرحي يا كاتي. إليّ بجرعة ماء. أين كليبي تروليس ؟ أسرع أيها البليد وقل لابن عمي فردينان أن يوافيني إلى هنا. ( يخرج وصيف ). يا كاتي، يجب أن تعانقي هذا الشخص وتعرفني من هو. أن خُفتي ؟ هل سيحضر الماء ؟ ( يقدم له طست ). هيا يا كاتي اغسلي يديك. أهلاً بك في داري، حيث استقبلك بكل فرح وسرور ( يضرب وصيفاً رمي الابريق ) كيف تفعل هذا يا شقي، يا ابن العاهرة، كيف تسقطه ؟. كاترينا : أرجوك أن تصبر قليلاً عليه. هذه غلطة غير مقصودة.

بتروسيو : ابن الزانية، رأس الحطب، حمار طويل الذنب والأذنين. تعالي يا كاتي اجلسي. أنا أعرف أن شهيتك للأكل ممتازة. ( يجلسان إلى المائدة ) هل تريدان أن تتلي صلاة الشكر يا كاتي أو أتلوها أنا ؟ ما هذا ؟ هل هو لحم غنم ؟

الوصيف الأول : أجل يا سيدي.

بتروسيو : من جاء به ؟

الوصيف الأول : أنا.

بتروسيو : هو محروق مثل سائر لحومك السابقة، يا كلب، أين الطاهي القذر ؟ كيف تجاسرت على الاتيان بهذا وتقديمه لي، وأنا لا أحبه ؟ هيا، خذ هذا الصحن من أمامي مع الأقداح وسائر ما تبقى ( يقذف إلى أرض المسرح كل ما هو موجود على المائدة ) تباً لك من جلف غشاش دجال، وفوق ذلك تفغم. سأنزّل بك أشد العقاب بدون امهال.

كاترينا : أرجوك يا زوجي العزيز أن لا تفعل هكذا، لقد كان اللحم جيداً، لو رضيت به.

بتروسيو : أؤكد لك يا كاترينا أنه محروق وناشف ومحرم عليّ أن أتناول أي طعام مثله، لأنه يولد الغضب ويعث على التفرز. وبما أننا في طبيعتنا كلانا سريعاً التأثر فالأجدر بنا أن نظل صائمين وأن لا نأكل لحماً محروفاً. ألا اصبري، ففدأً يتحسن وضعنا، وهذا المساء سنتعشى مع الجماعة، تعالي أوصلك إلى غرفتنا في أول ليلة زفافنا ( يخرج بتروسيو وتتبعها كاترينا ثم كرتيس ).

نتايل ( يتقدم ) : هل رأيت يا بطرس شيئاً مماثلاً لما يجري هنا ؟  
بطرس : لقد تلتها بدعابته السمجة.

( يعود كرتيس )

كريميو : أين هو .

كرتيس : في غرفة سيدتي، وهو يفرقها بالأرشاد والافتقاع، ويسب ويشتم ويصرخ. وهي المسكينّة لا تدري كيف تتصرّف حياله ولا تكلمه من شدة وجومها وكأنها أفاقت من حلم غريب. هيا بنا نخرج، فها هو قادم.

بتروسيو ( وحده ) : هكذا بدأت حكمي بسياسة حازمة، وأملّي أن أصل إلى مبتغاي. ها هو ذا صقري قد أثاره الحرمان، وإلى أن يتمّ ترويضه، لا أرغب في اشباعه، لأن المظاهر عندئذ لن تخدعه، لدي طريقة أخرى للسيطرة على طائري المتوحش ولتعويده على الرجوع إليّ والتعرف إلى صوتي، أنا صاحبه. سابقه متيقظاً وسأعامله معاملة المتمرد الذي يأبى أن يطيع. هي لم تأكل شيئاً

ولن تأكل اليوم. في الليلة السابقة لم تنم ولن تنام هذه الليلة أيضاً، كذلك عند العشاء سأجد علة وهمية لطريقة ترتيب السرير، وسأرمي بالوسادة من هنا وباللحاف والشرشف من هناك. وفي وسط هذه الفوضى سأدعي بأن أفعل كل ذلك لأجل راحتها، بالنتيجة، ستظل طوال الليل ساهرة، وإن أغمضت جفنها سأشتم وسأتائب وسأدعها ساهرة بما أطلقه من انتقادات واعتراضات، هكذا أنك أعصاب المرأة بمظاهر الحنو، وهكذا أخضع عنفوانها وتمرداها وعنادها، ومن يعرف طرقا غيرها للإذلال والاستبداد فليعجل ويدلني عليها، فسيدي إليّ أولى معروف. ( يخرج )

## المشهد الثاني

في بادوا - وسط حديقة مجاورة لمنزل باتيستا

( يدخل ترانيو وهورتسيو )

ترانيو : هل من الممكن يا صديقي ليسيو أن تعيل ييانكا إلى لوستيو آخر ؟  
أكرر عليك يا سيدي أنها تشجعني على هذا التصرف بأنجع الطرق.  
هورتسيو : لزيادة اقتناعك بما أقول، قف جانباً وراقب كيف يلقي عليها لوستيو درسه.

( تدخل يانكا وتبعها لوستيو )

لوستيو : استفيدي من مطالعاتك يا سيدتي إلى أقصى حد.  
ييانكا : وأنت يا معلمي ماذا تقرأ ؟ أجيني أولاً على سؤالي هذا.  
لوستيو : أنا أقرأ ما تخصصت به وهو فن الحب.  
ييانكا : هل يسعك يا سيدي أن تكون أستاذاً في فنك ؟  
لوستيو : ما دمت تقبلين بأن تكوني مالكة قلبي، يا صديقتي الحلوة.

( يتعدان معاً وهما يتحدان )

هورتسيو : ما هذه المشية البطيئة ؟ أرجوك أن تقول لي ما هو رأيك أنت الذي لا تتردد في التأكيد بأن معلمتك ييانكا لا تحبّ انساناً في العالم كما تحب لوستتيو.

ترانيو : ما أشد غيرتك أيها العاشق المتقلب ! إنني أعلن لك يا لسيو أن تصرفك مدهش للغاية.

هورتسيو : كف عن خداع نفسك، أنا لست لسيو، ولا موسيقي كما توحى به هييتي، وأكره أن أحيأ طويلاً بهذا التنكر لأجل مخلوق يتحل شخصية أحد الأعيان هنا، ويتخذ له زميلاً نظير هذا المخادع. اعلم يا سيدي ان اسمي هورتسيو.

ترانيو : سنيور هورتسيو، كثيراً ما سمعت الناس يتكلمون عن مودتك الصادقة لبيانكا، وبما أنني واثق بحسن نيتك، أريد بموافقتك أن أمثّل عن ييانكا وعن حبها إلى الأبد.

هورتسيو : انظر إليهما، ولاحظ قبلتهما وهيامهما يا سنيور لوستتيو، أنني أرفع يدي وأقسم وأتعهد بكل تأكيد أن أكف عن مغازلتها وأن أنبذها لأنها لا تستحق الاعتبار الذي أبديته نحوها حتى الآن.

ترانيو : وأنا نظيرك، أقسم بدون تحفظ بأن لا أتزوجها، ولو توصلت هي إليّ، تباً لها من عبيدة شرسة، أنظر أي ميل شهواني تكن له.

هورتسيو : أريد أن يعادبها كل الناس ما عداه، أما أنا، فلنكون أكثر ثقة بوفائي لقسمي سأتزوج قبل مضي ثلاثة أيام أرملة ثرية، أجل أرملة ثرية لم تنقطع عن حبي طوال مدة تعلقي بهذه المتبجحة المتشامخة المتدللة، وعلى هذا، أودعك يا سنيور لوستتيو، فإن حنان المرأة لا جمالها هو الذي يستأثر بعواطفني، أستأذنكم بالذهاب لأنني مصمم على تنفيذ ما تعهدت بتحقيقه. ( يخرج هورتسيو ).

( يعود لوستتيو بصحبة ييانكا إلى مقدمة المسرح ).

ترانيو : يا سيدتي ييانكا، أسأل الله أن يمن عليك بكل الهناء الذي يتعناه

المحبون السعداء، لقد فاجأتك أثناء قيلولتك يا صديقتي اللطيفة، أنا وهورتسيو لم يعد لنا أية رغبة فيك.

بيانكا : أنت تمزح يا ترانيو، أحقاً لم يعد لأي منكما رغبة فيّ ؟  
ترانيو : نعم يا سيدتي.

لوستيو : ها نحن قد تخلصنا من لسيو.

ترانيو : أجل. لعمري، أنه ينوي الاقتران بأرملة غنية غازلها ليتزوجها في نفس اليوم.

بيانكا : أسعده الله.

ترانيو : وهو واثق بأنه سيتمكن من ترويضها.

بيانكا : هذا ما يدّعيه يا ترانيو.

ترانيو : أقسم بشرفي، أنه أستاذ في مدرسة المرأة المستبدة التي أخضعها.

بيانكا : ماذا تقول ؟ هل هناك مدرسة تعلّم الترويض ؟

ترانيو : أجل يا سيدتي، وبتروسيو هو الأستاذ الذي يعلم شتى الحيل لترويض مثل هذه الشرسة وللجم ثرثرة نظيرها.

( بهل يوندالو راكضاً ويأخذ لوستيو جانباً ).

يوندالو : يا سيدي، لقد راقبت طويلاً حتى تعبت، ورأيت أخيراً من التلة عجوزاً محنكاً وهو مستعد للقيام بالدور المرغوب.

ترانيو : من هو يا يوندالو ؟

يوندالو : لست أدري، يا معلمي، ان كان تاجراً أو مريباً، غير أن هدامه وتحفظه ومشيته تخلع عليه وقار الأبوة.

لوستيو : وماذا أيضاً يا ترانيو ؟

ترانيو : انه أهل للثقة ويؤمن لنا بالفعل نجاح خطتنا تجاه باتيستا مينولا، كما لو كان فنستيو الأصيل بذاته. خذ حبيبتك واطركني وحدي ( يخرج لوستيو مع بيانكا ).

( يدخل المرثي )

المرثي : حفظك الله يا سيدي.

ترانيو : وأنت أيضاً، يا سيدي. أهلاً بك. هل ينتهي سفرك هنا أم أنك راحل الى مكان أبعد ؟

المرتبّي : سفري يتوقف هنا مدة أسبوع أو أسبوعين، ثم أواصل رحلتي الى مكان أبعد، لأنني ذاهب الى روما ومن هناك الى طرابلس إذا أحياني الله.

ترانيو : أرجوك أن تخبرني من أية مدينة أنت ؟

المرتبّي : من منتوّا.

ترانيو : أنت من منتوّا، يا سيدي ؟ نجاك الله من المكوث في بادوا، أولاً تخشى على حياتك ؟

المرتبّي : لماذا أخشى على حياتي، يا سيدي أرجوك أن تتورّني لأن هذه مسألة جدية.

ترانيو : الموت يترصّ بكل شخص من سكان منتوّا، أولاً تدري ما هو السبب ؟ ان الحظر مفروض على كل سفنهم في البندقية. وأميرنا، بسبب مشادة فردية بينه وبين أميركم، قد نشر خبير هذه المشكلة في كل مكان. هذا أمر مقلق، ولو جئت قبل الآن بقليل، للمسّت هول الخطر المحقق بك.

المرتبّي : يؤسفني يا سيدي، وبخزني أن أحضر لتقديم أوراقي المحوّلة من فلورنسا إلى هنا.

ترانيو : يا سيدي، في سبيل خدمتك، سأقدم لك نصيحة لوجه الله، لكن قل لي أولاً : هل ذهبت الى بيزا قبل الآن ؟

المرتبّي : نعم، يا سيدي، ذهبت عدة مرات الى بيزا المشهورة بخطورة مواطنيها.

ترانيو : هل تعرف منهم أحداً اسمه فنستيو ؟

المرتبّي : أنا لا أعرفه، إنما سمعت بأنه تاجر يملك ثروة ضخمة لا مثيل لها.

ترانيو : هو أبي، يا سيدي، وفي الحقيقة، كم وجهاكما يتشابهان ؟

بيوندالو ( على حدة ) : تماماً كما تشبه التفاحة صدفة المحار.

ترانيو : فلإنقاذ حياتك في هذه الظروف العصيبة أنا مستعد لأن أسدي اليك معروفاً. فكّر كم حظك سعيد في شبهك بفنستيو. ستخذ اسمه وتعرف

بنفسك كأنك هو، وستحل ضيفاً علي كصديق عزيز، واجتهد أن تقوم بدورك

على أكمل وجه. هل فهمت ما اقترحه عليه يا سيدي ؟ ستبقى عندي الى أن  
تنهي أشغالك في المدينة. أرجوك أن تقبل هذا العرض الذي أمل أن يوافقك.  
العربي : بكل طيبة خاطر، وسأعتبرك على الدوام منقذ حياتي وأدين لك  
بحريتي.

توانيو : تعال إذاً معي لتنفيذ المهمة. بالمناسبة، أعلمك بأن أبي ينتظر كل يوم  
هنا، ليؤمن لي بموجب عقد قانوني، ميراثاً ساهديه لابنة باتيسا التي  
سأتزوجها. ولأجل كل هذه الاعتبارات سأشرح لك مشكلتي. فتعال معي، يا  
سيدي، لألبسك الثياب التي تليق بالمقام ( يخرجان ).

### المشهد الثالث

عند بتروسيو

( تدخل كاترينا مع كريبيو )

كريبيو : كلا، كلا. في الحقيقة أنا لن أجسر على ذلك طوال حياتي.  
كاترينا : ان قسوته عليّ تظهر بجلاء لدى كل بادرة تصدر عنه، فهل تزوجني  
ليدعني أموت جوعاً ؟ لم يكن على المتسولين الذين يطرقون باب أبي إلا أن  
يطلبوا الإحسان لكي يحصلوا عليه فوراً بسخاء، وإن مُنع عنهم، فإنهم يجدونه  
حتماً عند سواه. أما أنا فلم أعرف أبداً كيف أتوسّل، فأنا جائعة بسبب فقدان  
الطعام، وأكاد أنهار من شدة تعبتي وافتقاري الى النوم. لقد ظللت ساهرة على  
صوت الشتائم، وختاماً أعياني الصخب، وما يغيظني أكثر، هو حرمانني من  
الراحة أيضاً، وهذا كله يتم باسم الحب والإخلاص، إذ يعتقد بتروسيو، حسب  
ادعائه، بأن كثرة النوم والطعام تسبب أمراضاً فناكة تفضي إلى الموت العاجل.  
أرجوك أن تجلب لي أي طعام لأسد به جوعي، بشرط أن يكون صالحاً ومغذياً.

كريميو : ما رأيك بفخذ عجل ؟  
كاترينا : انه لذيذ. أرجوك أن تأتيني به عاجلاً.  
كريميو : أخشى أن يكون لحمه عسير الهضم، فما رأيك بشريحة غنم مشوية جيداً.

كاترينا : اني أحبها كثيراً يا كريميو. فإذهب واجلبها لي بدون تأخير.  
كريميو : أنا لا أعرف ان كانت هذه الشريحة طرية، وأخشى أن تضايقك فما رأيك بشريحة بقر عليها قليل من الخردل ؟

كاترينا : هذا طعام شهوي أودّ الحصول عليه سريعاً.  
كريميو : ولكن الخردل من التوابل الحامية جداً.

كاترينا : طيب. اجلب لي شريحة البقر بدون خردل.  
كريميو : لا، أنا لا أستطيع تقديمها معاً، سأجلب لك الخردل بدون شريحة.  
كاترينا : هيا، اجلب أي طعام تريده، المهم أن تسرع.  
كريميو : حسن، سأتيك بالخردل بدون لحم.

كاترينا ( تضر به ) : اغرب من وجهي يا لعين، هل تسخر مني ؟ أنت تريد أن تشبعني بذكر أسماء الطعام فقط، تباً لك من خبيث منافق، وبس مصيبي بك.  
هيا أغرب من وجهي يا عنوان الشؤم.

( يدخل بتروسيو حاملاً صحناً من اللحم يجعه هورتسيو )

بتروسيو : كيف حال عزيزتي كاترينا ؟ كيف حال فانتني الجذابة.

هورتسيو : كيف حالك اليوم، يا سيدتي ؟

كاترينا : على أسوأ حال.

بتروسيو : عودي الي وعيك، وانظري إليّ بابتهاج، وثقي بأنني أهتم بصالحك، وأني أعد لك طعامك وسأجلبه لك فوراً ( يضع صحناً على المائدة )، وأعتقد بأن اخلاصي هذا لك يستحق شكرك، يا كاترينا. على ما أرى أنت لا تقدرين ذلك، وأن سعي في هذا السبيل يضيع سدى ( لوصيف ) هيا خذ هذا الصحن.

كاترينا : أرجوك أن تبقه.

بتروسيو : ان أية خدمة مهما كانت زهيدة تستحق الشكر طبعاً. فعليك إذاً أن تشكريني قبل أن تلمسي هذا الصحن.  
كاترينا : أشكرك يا سيدي. ( تجلس إلى المائدة ويظل بتروسيو واقفاً ).  
هورتسيو ( يجلس أمام كاترينا ) : سنور بتروسيو، أنا ألومك على تصرفك الذي لا يستحق إلا الإنتديد، يا سيدتي كاترينا أودّ أن أظّل بصحبتك.  
بتروسيو ( بصوت خافت لكاترينا ) : كلي جميع ما هو أمامك، إذا كنت تحبيني فعلاً ( بصوت عالٍ ) أرجو أن يكون لك هذا الطعام كله صحة وعافية، كلي يا كاتي بسرعة. وبعد لحظة، يا أحلى من العسل على مهجتي، سرجع الي والدك لندشّن أجمل الثياب الحريرية والقبعات والخواتم الذهبية والقلادات والأساور والمراوح وجميع لوازم الزينة البراقة. هل فرغت من عشائك ؟ إن الخياط ينتظر أن تتعطفي وتدعيه يزين قامتك الهيفاء بما لديه من ثمين الملابس.

( يدخل أجبر الخياط ويده ثوب )

بتروسيو : تعالأيها الخياط لئرى هذا الرداء، ابسطه هنا من فضلك.  
صانع القبعات : هذه هي القبعة التي أوصيتني عليها، يا صاحب السعادة.  
بتروسيو : ما هذه ؟ انها مصنوعة في القالب كأنها وعاء من المخمل. تبا لها، هي غير مناسبة وغير متقنة، هي صغيرة كالصدفة أو قشرة الجوزة. هل ظننت أنها قبعة لطفل ؟ خذها إذاً واعطني غيرها أوسع منها.  
كاترينا : أنا لا أريد أوسع منها، هذه مصنوعة على آخر طراز، والنساء الأنيقات يلبسن مثلها تماماً.

بتروسيو : بعد أن تبرهنني لي عن عواطفك، لا بعد، ستحصلين على القبعة.  
هورتسيو ( على حدة ) : وهذا لن يكون في القريب العاجل.  
كاترينا : أعتقد بأن لي الحق في الكلام يا سيدي وسأتكلم. أنا لست طفلة. وهناك رجال أفضل منك قد تحملوا صراحتي، فإذا كنت أنت لا تحملها فما عليك إلا أن تسدّ أذنيك. سيعبر لساني عن كل ما يختلج به قلبي، ولو تحطم هذا القلب من جراء التصريح بما يضيق به، ولكي لا أعرضه إلى الانفجار، لا بد لي من التمتع بالحرية التامة كما يحلو لي.

بتروسيو : إن ما تجاهرين به حق. أما هذه القبعة فقييحة فعلاً، وأنا أفضل أن لا تحيها ولا تقبلها.

كاترينا : إن أحببت أنت هذه القبعة أو لم تحيها فأنا أريدها ومأحصل عليها ولن أرض بسواها.

بتروسيو : جاء الآن دور الثوب، هيا يا خياط، أرنا إياه. يا إلهي ! ما هذه المهزلة ! ما هذه الأكمام ؟ إنها مثل الخرج، والثوب مفصل من أعلاه إلى أسفله مثل كيس البصل، لا أناقة ولا انسجام فيه، بربك يا خياط، أسألك أن تقول لي كيف تدعو هذا الهندام.

هورتسيو ( على حدة ) : أرى أن سيدتي لن تحصل على القبعة ولا على الثوب.

الخياط : لقد أوصيتني أن أعني بالتفصيل وأجعله على طراز اليوم. بتروسيو : نعم، ولكن إذا كنت تذكر جيداً، لم أطلب منك أن تسيء الصنع وتشوّه، هيا احمل بضاعتك وانصرف. وإنما إياك أن تفرض عليّ تدجيلك هذا، فأنا لن أرضى به، ويمكنك أن تنسحب حالاً وسريعاً.

كاترينا : أنا لم أشاهد في حياتي ثوباً أحلى وأجمل وأليق وأتقن منه، ويبدو عليك أنك أردت به أن تجعل مني دمية ساحرة.

بتروسيو : هذا صحيح، كان يريد أن يجعل منك دمية ولكن قبيحة. الخياط : هي تقول إن سيادتك تريد أن تجعل منها دمية.

بتروسيو : يا لك من منافق وقح، أنت كاذب محتال، يا صرصور، يا خنفس حقير، إنني أتحداك يا مخبول. وأنا مستعد لأن أؤدبك إذا لزم الأمر، أكرر عليك إنك شوّهت هذا الثوب.

الخياط : أنت مخطيء يا صاحب السعادة، فالثوب مصنوع كما يجب، حسبما أوصيت عليه معلمي، بواسطة كريميو الذي أعطى التعليمات.

كريميو : أنا لم أعطه أية تعليمات، إنما سلمته قطعة النسيج فقط.

الخياط : ولكن كيف طلبت منه أن يتم الصنع ؟

كريميو : بالإبرة والخيط.

الخياط : ألم تطلب أن يجري التفصيل على شكل معين !

كريميو : أظن أن مقصك عالج أنسجة مختلفة في هذه الأثناء.

الخياط : نعم يا سيدي !

كريميو : إذا لا تعالجنني أنا، لقد أليست رجالاً عظماء، فلا تعاضم عليّ. أنا لا أريد أن تناقشني، ولا أن تتحداني، أكرر عليك أنني طلبت من معلمك، أن يخطط هذا الثوب لا أن يشوّهه، تياً لك من منافق.

الخياط : برهاناً على صدق كلامي، ها هو ذا نموذج التفصيل.

بتروسيو : أرني إياه.

كريميو : النموذج لا ينطبق على التعليمات.

الخياط ( يشرح ) : التفصيـلة لثوب واسع الخصر.

كريميو ( لبتروسيو ) : يا معلمي، إذا قلت أنا ان الثوب واسع الخصر، فليخطط فمي ولأضرب بالسياط حتى أموت، ولأشـق بحبل غليظ، لقد قلت إن

الثوب...

بتروسيو : أكمل.

الخياط : مستدير العنق.

كريميو : أنا لا استنكر شكل العنق.

الخياط : والأكمام عريضة.

كريميو : ولا أستنكر الأكمام.

الخياط : وهي مفصلة بدقّة.

بتروسيو : هذا هو عين الفـش.

كريميو : لقد سها عن بالك ما قلت يا سيدي، أنك أوصيت على تفصيل الأكمام أولاً ثم على شكل العنق بعد ذلك.

الخياط : إن ما أفوه به هو عين الصواب، ولو أمسكت بك في مكان ما لجعلتك لا تنكر أي شيء.

كريميو : أنا تحت أمرك، استلم إذا دفترك فوراً وخذ ذراعك وانصرف.

هورتسيو : سامحك الله يا كريميو، ان اللعبة غير متعادلة.

بتروسيو ( للخياط ) يا سيدي بكلمة مختصرة، هذا الثوب ليس لي.

كريميو ( لبتروسيو ) : الحق معك يا سيدي، هو لمعلمتي.

بتروسيو : هيا خذه؛ وضعه بتصرف معلمك.  
كريميو ( للخياط ) : يا محتال لا تحاول أن تظهر براعتك أمامي، كيف أضع  
ثوب معلمتي بتصرف معلمي !  
بتروسيو ( لكريميو ) : ما هذه الفكرة المستهجنة ا  
كريميو : الفكرة معقولة أكثر مما تتصور، ضع ثوب معلمتي بتصرف معلمي.  
بتروسيو ( بصوت خافت للخياط ) : أيها الخياط، سأدفع لك ثمن الثوب  
غداً، لا تسيء تفسير كلامي الصريح، قلت لك : امض وبلغ معلمك أطيب  
تحياتي ( يخرج الخياط وصانع القبعات ).

بتروسيو : تعالي يا كاترينا نذهب إلى والدك بهذه الملابس البسيطة اللاتقة فإن  
جيوينا لن تكون عامرة إلا متى تواضعت ثيابنا والمعنويات هي التي تنشط  
الأبدان. وكما أن الشمس ترسل أشعتها من خلال الغيوم الدكناء، هكذا  
تستشف الاستقامة عبر الملابس البسيطة. وهل الطاووس أفضل من النسر لأن  
ريشه أجمل ! وهل الثعبان أنفع من الحنكليس لأن ألوان جلده تسحر  
الأنظار !. كلا يا عزيزتي كاتي؛ أنت لا تخسرين شيئاً من صفاتك الحميدة  
في هذا الهندام المتواضع. فإن كان ذلك عاراً في نظرك، فألقي به على  
كاهلي، وكوني مرحة لأننا ذاهبون إلى وليمة فاخرة يعدها والدك لنفرح  
ونبتهج معه. ( لكريميو ) اذهب وناد جماعتي كي تخرج إلى الطريق، فنسير  
على أقدامنا مسافة قصيرة ثم نمتطي جيادنا. الآن الساعة هي السابعة، وأعتقد  
أنا سنصل تماماً في موعد العشاء.

كاترينا : صدقتي يا سيدي، ان الساعة تقارب الثمانية، وسنصل حتماً بعد  
العشاء.

بتروسيو : ستبلغ الساعة السابعة قبل أن أمتطي حصاني، أراك دائماً تناقضي  
في كل ما أقول وأفعل ( لجماعته ) اتركوني يا سادة، فاليوم لن أرافقكم  
وسأقرر اللحاق بكم حين أشاء.  
هورتسيو : تبا لهذا المغرور الذي يريد أن يتحكم بنور الشمس  
( يخرجون ).

## المشهد الرابع

بادوا - أمام منزل باتيسا

( يدخل ترانيو والمرئي بلباس فنستيو )

ترانيو : ها هوذا المنزل، يا سيدي. هل تريد أن أنادي على من فيه ؟  
المرئي : أجل. وهل يمكنني عمل غير ذلك ؟ إذا كنت لا تزال أمتع بحفاضة  
جيدة فالسنور باتيسا يسعه أن يتذكر أنه رأني قبل عشرين عاماً تقريباً في  
جينوا حيث نزلنا كلانا في فندق بيغاس.

ترانيو : هذا صحيح، أرجوك أن تتصرف كما يليق بالسلطة الأبوية.  
المرئي : اني أضمن لك ذلك. ولكن، يا سيدي، هوذا غلامك آت، ومن  
الضروري أن تؤتبه.

ترانيو : كن مطمئن البال من نحوه. يا بيوندالو، حان وقت قيامك بالواجب.  
انته، هوذا فنستيو الحقيقي الأصيل.  
بيوندالو : لا يقلق لك بال.

ترانيو : هل أدبت مهمتك حياال باتيسا ؟  
بيوندالو : لقد أخبرته بأن أباك كان في مدينة البندقية، وإنك تنتظره اليوم في  
بادوا.

ترانيو : أنت شاب فطن، خذ هذه الإكرامية. ها هو باتيسا. فكن على حذر،  
يا سيدي.

( يدخل باتيسا ولوستيو )

ترانيو : سنور باتيسا، أنا سعيد بلقائك ( للمرئي ) هذا هو الشخص الذي  
كلمتك عنه. أرجوك أن تكون أباً صالحاً، وتجعل بيانكا من نصيبي.  
المرئي : تمهل يا ولدي ( لباتيسا ) اسمح لي، يا سيدي. لقد جئت إلى بادوا  
لتحصيل ما لي من ديون، فأعلمني إنني لوستيو بأنه بينه وبين ابنتك قصة حب  
جديّة، فبالنظر إلى ما بلغني عنك من أنباء حسنة، وبالنظر إلى الحبّ الذي يكنّه

ولدي لإبتك، ولكي لا أدعه ينتظر طويلاً أمنحه رضاي الأبوي وموافقتي على هذا الزواج، وإن كنت أنت أيضاً على أتم الاستعداد والرضى مثلي لمقد الاتفاقية مستجديني يا سيدي محبداً ومباركاً هذا القران، إذ لا يجمل بي أن أناقشك كثيراً في هذا الموضوع الدقيق يا سنيور باتيستا ما دمت قد سمعت عنك أطيب الأخبار.

باتيستا : اعذرني، يا سيدي، على ما أنا مزعم أن أوضحه لك، أن صراحتك وقرارك يعجباني جيداً، صحيح أن ابنك لوستيو، الحاضر هنا يجب ابنتي وهي تحبه وكلاهما يتبادلان أسمى عواطف الود، فبالمقابل ما عليك إلا أن تمدني بأن تصرف تجاهه كأب عطوف، وأن تؤمن لابنك إرثاً كافياً فيتحقق هذا الزواج على أكمل وجه، ويزف ابنك إلى ابنتي بموافقتنا.

ترانيو : أشكرك. أين تريد أن تتم الخطوبة وأن يسجل العقد حسب رضى الطرفين ؟

باتيستا : ليس في بيتي يا لوستيو، لأنك تعلم أن للحيطان آذاناً صاغية وعندي الكثير من الخدم، ثم ان العجوز جيراميو هو دائم التيقظ، ومن المحتمل جداً أن يباغتنا أحد.

ترانيو : فإذا سيجري الزفاف في بيتي أنا. إذا لم يكن لديك من مانع يا سيدي، فهناك يمكث أبي، وسن عقد القران فيما بيننا على أحسن ما يرام، فأرسل في طلب ابنتك بواسطة الغلام الذي يرافقك، ويذهب غلامي لاستدعاء كاتب العقد، انما لعدم اعلامي بقدمك في الوقت المناسب، لن تجد عندي إلا طعاماً عادياً بدل الوليمة التي تليق بك.

باتيستا : عرضك يعجبني ( للوستيو ) يا كمييو، أسرع إلى المنزل وقل لبيانكا أن تستكمل استعداداتها، وأخبرها بما يدور هنا، وبأن والد لوستيو قد وصل من بادوا وبأنها على الأرجح ستغدو قرينة لوستيو.

لوستيو : أتمنى من كل قلبي أن تكون له عروس سواها.

ترانيو : لا تمزح وامض في سبيلك، هل تريد أن أدلك على الطريق يا سنيور باتيستا ؟ أهلاً بك، انما لن يتسنى لي أن أقدم لك كعشاء إلا لوناً واحداً من

الطعام. تفضل بالمجيء الى يزا حيث أستطيع أن أستقبلك وأقوم بواجب الحفاوة أفضل من هنا.

باتيستا : سألحق بكم ( يخرج ترانيو والمرتي وباتيستا ).

بيوندالو ( للوستيو الذهاب ) : يا كمييو.

لوستيو ( وهو عائد ) : ماذا ترغب يا بيوندالو ؟

بيوندالو : هل رأيت معلمي يغمزك بطرف عينه ويتسم لك ؟

لوستيو : ما معنى هذا يا بيوندالو ؟

بيوندالو : لا شيء لكنه تركني هنا في المؤخرة ليشرح لي دلالة هذه الإشارات.

لوستيو : ما هو مفادها ؟

بيوندالو : هو : أن باتيستا موجود في مكان أمين ويتكلم مع ابن مستعار عن ولدٍ وهمي.

لوستيو : وبعد ذلك ؟

بيوندالو : ستمضي أنت لتأتي بابتة الى العشاء.

لوستيو : ثم ماذا ؟

بيوندالو : ان كاتب العقد قادم ليكون تحت تصرفك ويتم مراسم الزفاف.

لوستيو : وما هي عاقبة كل هذه اللعبة ؟

بيوندالو : اليك ما يمكنني أن أوصيك به : بينما يكون أهل العرس منشغلين

في نص العقد الصوري، اشرح لها ما يجري هنا ثم غافل الجميع واخرج بها

الى حيث نكون مع الشهود لنذهب الى مكان آخر ونعقد لك عليها بشكل

قانوني رسمي، وإذا لم توافق على هذه الخطة الوحيدة التي تحقق لك أمينتك

فإني أنصحك أن تودع بيانكا الوداع الأخير الى الأبد ( يتعد ).

لوستيو : اسمع يا بيوندالو.

بيوندالو : لا يعني أن أبقى أكثر مما فعلت، لقد عرفت صبيّة تزوجت بعد

ظهر أحد الأيام وهي ذاهبة الى الحقل لتقطف البقدونس وتمزجه باللحم

وتحشو به أرنباً. فيمكنك أن تتزوج أنت أيضاً على هذه الطريقة يا سيدي،

وإلا أستودعك الله، فإن معلمي طلب مني أن أوافي الكاتب الذي سيعقد قرانك الحقيقي، وسنكون بانتظار وصولك مع مراقبيك ( يخرج ).  
لوستيو : أنا أرغب في تنفيذ هذه الخطة شرط أن توافق العروس عليها، لا شك في أنها ستغيب بذلك، فليتيم ما قدره الله لنا. سأقابلها وأطلب منها أن تلحق بي، والويل لكميبي إذا وافاني بدون أن تكون هي بصحبته ( يخرج ).

## المشهد الخامس

### في الطريق

( يدخل بتروسيو وكاترينا وهورتسيو )

بتروسيو : الى الأمام. برتكم الى الأمام. ولنواصل طريقنا الى بيت أبي. يا إلهي، ما أجمل هذا القمر الساطع في كبد السماء !  
كاترينا : أين القمر ؟ هذه هي الشمس المشرقة، إذ لم يبقَ من أثر لضوء القمر في هذه الساعة.

بتروسيو : أنا أقول ان القمر هو الذي يسطع هكذا بنوره البهي.

كاترينا : لا بل هي الشمس التي تسطع.

بتروسيو : لعمرى، أنا لا فرق عندي إن كان القمر أو أي كوكب آخر هو الذي يرسل نوره أثناء مواصلي السير للوصول الى بيت أبيك، هيا أعيدوا لنا جياندا، اني لا ألقى إلا المشاكسة دائماً.

هورتسيو ( بصوت خافت لكاترينا ) : أبلغيني ما يقوله هو، وإلا لن نذهب أبداً.

كاترينا : أستحلفكم بأعز ما لديكم أن تتابعوا سيركم، وبما أننا قطعنا شوطاً بعيداً فلا فرق عندي أنا أيضاً إن أضاء القمر أو أنارت الشمس، سَومها كما

يحلو لكم، وإذا شئتم أن تدعوها سراجاً، لا بأس عندي، شرط أن أرى دربي.  
بتروسيو : أنا أؤكد أنه القمر.

كاترينا : وأنا أقول ذلك.

بتروسيو : إذا أنت تكذبين. فهذه هي الشمس.

كاترينا : تبارك الله بشمسه هذه النيرة. عندما تؤكد انها الشمس، تكون الشمس حقاً، وستقلب قمراً على هواك، وإذا كان هذا ما تشاء، فأنا كاترينا أريد الشيء ذاته تماماً، على الدوام.

هورتسيو : يا بتروسيو، أكمل طريقك فالبرية ملك يديك.

بتروسيو : الى الأمام، الى الأمام. وهكذا تتسارع الأمور في تقدمها بدون أن تتعرض لخطر الاصطدام بأية عقبة، ولكن تمهل. من الآتي إلى هنا ؟

( يدخل فنستيو بناب السفر )

بتروسيو ( لفنستيو ) : نهارك سيعد أيتها السيدة الظريفة، إلى أين أنت ذاهبة ؟ قولي لي يا كاترينا الحلوة، قولي لي بصراحة هل رأيت امرأة بهذه النظارة ؟ ما هذه البشرة الناعمة البيضاء ؟ وما هذا الورد في وجنتيها ؟ وهل في كبد السماء ماستان تلمعان بمثل بريق عينيها في محياها الملائكي ؟ أيتها الحسناء الحبيبة، مرة أخرى أتمنى لك نهاراً سعيداً. عانقها يا عزيزتي كاترينا أكراماً لجمالها.

هورتسيو : انه سيسبب الجنون لهذا الرجل الذي يصرّ على أن يعتبره امرأة.  
كاترينا : أيتها الصبية العذراء الشبيهة ببرعم الورد، الى أين أنت ذاهبة ؟ أين تسكنين ؟ ما أسعد الأهل الذين أنجبوا ابنة بمثل جمالك ! وما أسعد الرجل الذي يمنّ عليه حظه الميمون بحسناة نظيرك تكون له أحن رفيقة في السرير ا تربته هنا هو عجوز مجعّد الوجه ذابل العينين، وليس صبية عذراء، كما تنوهمين.

كاترينا : كوالدي المتقدم في السن، سامح انخداع نظري الذي يهرته الشمس

المتوهجة حتى بت أرى كل شيء بلون أخضر زاهٍ. الآن فهمت أنك شيخ وقور، أرجوك أن تصفح عن خطأي الفاضح.

بتروسيو : أجل. العفو يا جدّي العجوز، قل لنا أي طريق تريد أن تسلك حتى نعم برفقتك، ان كان سيلك هو سيلنا.

فنتسيو : يا سيدي الكريم، وأنت يا سيدتي الجميلة الجليلة، الحميدة الخصال أنا أدعى فنتسيو، وأقطن مدينة بيزا، وأنا ذاهب الى بادوا لأرى ولدي الذي فارقه منذ زمن طويل.

بتروسيو : ما اسمه ؟

فنتسيو : لوستسيو، يا سيدي.

بتروسيو : صدقة سعيدة، ولا سيما لولدك. أعلم جيداً يا صاح، أن الشرع وكذلك هبة عمرك يسمحان لي بأن أدعوك أباي المحبوب. إن شقيقة زوجتي، أخت هذه السيدة الكريمة، المائلة أمامك، تزوج ابنك في هذه اللحظة. فلا تتعجب ولا تستغرب، هي طيبة السمعة، وافرة البائنة شريفة المنبت موهوبة تتمتع بأخلاق عالية وتستحق أن تصبح قرينة أنبل الذوات، هلما نتعاقق أيها الشيخ الوقور فنتسيو، ولنتابع معاً طريقنا إلى ولدك الكريم الذي سيتهج حتماً بلفائك.

فنتسيو : هل هذا صحيح ؟ أو أنك تلهي بي أثناء سفرك كالهارب من الهم فتهزأ بمن تصادفه على دربك من الناس المسالمين ؟  
هورتسيو : معاذ الله. أوكد لك أيها الشيخ الجليل بأن هذه هي الحقيقة الأكيدة.

بتروسيو : تعال معنا إذاً لنثبت لك صحة الواقع، اننا نلاحظ أن خيرتك السابقة جعلتك حذراً. ( يخرج بتروسيو ويتبعه كاترينا ثم فنتسيو ).

هورتسيو : بكل تأكيد يا بتروسيو، هذا يشجعني، وها أنا مسرع إلى أرملي مهما كانت خشنا الطباع، فقد علمتني أنت أن أكون حازماً. ( يخرج ).

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

في بادوا — أمام بيت لوستيو

( جيراميو يتسنى في مقدمة المسرح. يصل من صدر الطرف الآخر بيوندالو وبيانكا بدون أن يراهم جيراميو )

بيوندالو : تمهل وتنقل بخطوات خفيفة لأن كاتب العقد ينتظر.

لوستيو : أكاد أظير فرحاً يا بيوندالو، ان لم يكن أحد بحاجة إليك في البيت، دعنا نفرق هنا.

بيوندالو : كلا، أريد أن أكون على يقين من تحقيق زواجك، ثم أعود الى معلمي على عجل ( يخرجان ).

جيراميو : أنا أتساءل كيف لم يصل كمييو بعد.

( يدخل تروسو تبعه كاترينا وفنستيو وورايهم جماعتهم )

تروسو ( لفنستيو ) : هاك الباب، يا سيدي. فهذا منزل لوستيو، أما بيت أبي فهو أبعد قليلاً، بجانب الساحة العامة، وعليّ أن أمضي الى هناك، وأن أتركك هنا يا سيدي.

فنستيو : أملّي أن لا ترفض شرب كأس معي قبل ذهابك. أعتقد اني استطيع

أن أؤمن لك هنا استقبلاً لائقاً، وأنا واثق بأننا سنتناول أطعمة لذيذة. ( يترك الباب ).

جيراميو : هم منشغلون في الداخل. فالأولى أن تطرق الباب بقوة. ( يترك فنستيو طرقات متكررة ).

المرتبّي : من يترك الباب هكذا كأنه يريد أن يحطمه ؟

فنستيو : هل السنيور لوستيو في بيته، يا سيدي ؟

المرتبّي : أجل هو في بيته يا سيدي، ولكن، من يودّ أن يكلمه ؟

فنستيو : كيف تستقبل رجلاً يأتيه بمئة أو مئتي دينار لأجل مسألة تافهة ؟  
المرتبّي : احتفظ بدنانيرك المئة لنفسك. فلن يحتاج إليها ما دمت أنا في الوجود.

بتروسيو ( لفنستيو ) : أتذكر أنني كنت أقول لك أن ابنك محبوب للغاية في بادوّا ؟ هل سمعت يا سيدي ؟ ( للمرتبّي ) فلنكني نضع حداً لهذا الحديث غير المجدي، أرجوك أن تبلغ السنيور لوستيو أن أباه وصل من بيزا، وإنه ينتظره في الباب ليكلّمه.

المرتبّي : هذا غير صحيح، لأن والده الآتي من بيزا هو الذي ينظر اليك من هذه النافذة.

فنستيو : آت والده ؟

المرتبّي : نعم يا سيدي. إذا صدق قول والدته.

بتروسيو ( لفنستيو ) : ما معنى كل هذا، يا سادتي ؟ ان انتحال اسم الغير هو عين الغش والخداع.

المرتبّي : اقتضوا على هذا الدجال الذي أتهمه بأنه، بانتحاله إسمي، يريد أن ينصب على أحد أهالي هذه المدينة ( يعود بيوندالو ).

بيوندالو : لقد رأيتهما معاً قبل أن يصلا إلى هنا. سُدّ الله خطاهما إلى محجّة الصواب. ولكن ماذا أرى ؟ معلّم الشيخ فنستيو ؟ لقد هلكت وآل مصري إلى العدم.

فنستيو ( يلمح بيوندالو ) : تعال إلى هنا يا وجه النحاس.

بيوندالو : بمكنتي أن أفترض ما أشاء.

فمستيو : اقرب يا محتال، أونسييتي ؟  
 بيوندالو : أنساك أنا ؟ أبدأ يا سيدي، لا يسعني أن أنساك طوال عمري.  
 فمستيو : كيف، يا وجه الشؤم، لم تر أبدأ فمستيو والد معلمك ؟  
 بيوندالو : أجل، هذا معلمي الشيخ المحترم ها هوذا هنا يطل من النافذة.  
 فمستيو ( وهو يضربه ) : حقاً ؟  
 بيوندالو : النجدة، النجدة ! متهوس هائج ينوي أن يقتلني ( يهرب ).  
 العربي : النجدة، يا بني النجدة ! يا سنور باتيستا ( يتراجع عن النافذة ).  
 بتروسيو : أرجوك يا كاترينا، أن تقفي معي جانباً لئلا نرى خاتمة هذه المهزلة  
 ( ينسحبون ).

( يظهر العربي وبجبهه باتيستا وترائبه وعدة رصفا )

ترانيو : من أنت يا سيدي حتى تجرؤ وتضرب الناس ؟  
 فمستيو : أتسأل من أنا ؟ بل من أنت يا سيدي ؟ آه ! يا إلهي ارحمني ! يا  
 لخراب بيتي ! بينما أنا أقتصد في نفقاتي، أرى ابني وخادمه يبددون ثروتني  
 برمتها.

ترانيو : ماذا تقول ؟

باتيستا : هل هذا الرجل مجنون !

ترانيو : يا سيدي، يبدو عليك إنك شيخ وقور وجدير بالاحترام، ولكن  
 كلامك يشبه الهذيان. ماذا يهلك من كل هذا ؟ إن كنت أملك لآليء أو  
 ذهباً، فالفضل يعود إلى والدي الذي يزودني بما يتيح لي اقتناء ما أشتهي.  
 فمستيو : والدك ! آه منك أيها الشقي، هو صانع أشرعة في بركامو.

باتيستا : أنت على ضلال يا سيدي، على ضلال ظاهر، أرجوك أن تقول لي  
 هل تعرف اسمه ؟

فمستيو : تسألني عن اسمه، كما لو كنت لا أعرفه، أنا ربيته منذ نعومة  
 أظفاره، اسمه ترانيو.

العربي : تباً لك من حمار خامل، إن اسمه لوستنيو، وهو ابني الوحيد،  
 وورث أملاكه، أنا السنور فمستيو.

فستيو : لوستيو اغتال معلمه واتحل اسمه ؟ امكو به، أستحلفكم بكل  
عزير لديكم. ولدي ولدي. قل لي يا دجال، أين ولدي لوستيو ؟  
ترانيو : نادوا الحارس.

( يدخل وصف بجمه حارس )

خذوا هذا المحتال اللعين إلى السجن، يا باتيستا أرجوك أن تسمى  
لاحضاره.

فستيو : تأخذونني إلى السجن أنا ؟

جيراميو : قف أيها الحارس، لن يذهب هذا الرجل إلى السجن.  
باتيستا : لا داعي لتدخلك، يا سنور جيراميو، أنا أؤكد أنه سيذهب إلى  
السجن.

جيراميو : احذر يا سنور باتيستا أن تكون مخدوعاً في هذه القضية. أنا أحلف  
بأن هذا هو فستيو الحقيقي الأصيل ( يشير الى فستيو ).

المريي : أقسم يميناً مغلظة بأنك لا تجسر.

جيراميو : كلا، أنا لا أجسر أن أقسم.

ترانيو : إذا يجمل بك أن تعترف بأنني لست لوستيو.

جيراميو : وإذا فعلت، أقر بأنك السنور لوستيو.

باتيستا : اذهب أيها المهرج الى السجن فوراً.

فستيو : أهكذا يقابل الغرباء عندكم بأسوأ معاملة ؟ بس هذا الدور البغيض ا  
( يعود بيوندالو، بصحة لوستيو ومعه يانكا )

بيوندالو : لقد هلكنا، ها هو ذا، أنبذوه ولا تؤيدوه، فقد خيب أملنا جميعاً.

لوستيو ( ينطرح عند أقدام فستيو ) : سامحني يا والدي الكريم.

فستيو : ابني الحبيب، أنت إذا حي. ( يهرب بيوندالو وترانيو والمريي ).

يانكا ( تركع أمام باتيستا ) : سامحني يا أباه.

يانكا : ما هو ذنبك ا أين لوستيو.

لوستيو : أنا لوستيو ابن فستيو الحقيقي، وقد تزوجت ابنتك، بينما من  
انتحل اسمي كان يخدعك.

جيراميو : هذه مؤامرة جازت علينا كلنا.

فمستيو : أين المحتال ترانيو الذي تجاسر وخذعني.

باتيسا ( ليانكا ) : أصدقيني، أوليس هذا كميو ؟

بيانكا : أجل، لقد تحول كميو إلى لوستيو.

لوستيو : هو الحب الذي حمل هؤلاء على اللجوء الى هذه الحيلة، إن حبي

ليانكا دفعني إلى تغيير شخصيتي، وحدا بي إلى جعل ترانيو يتحلل اسمي في

المدينة. وأخيراً أنا سعيد ببلوغ مرادي وتحقيق أمنيتي الغالية. وما فعله

كريميو، أنا طلبته منه. فسامحه يا ابي العزيز اكراماً لي.

فمستيو : سأحطم رأس الغبي الذي أراد أن يزجني في السجن.

باتيسا ( للوستيو ) : ولكن قل لي يا سيدي، هل كنت تنوي أن تتزوج ابنتي

بدون الحصول على موافقتي ؟

فمستيو : معاذ الله، ثق يا باتيسا بأنني أصر على نيل رضاك، فلا تحقن، إنما

لن أتراجع عن الانتقام من هذا الخداع.

باتيسا : وأنا سأكتشف تفاصيل هذه اللعبة ( يتبع فمستيو ).

لوستيو : لا تكوني هكذا شاحبة اللون يا بيانكا، فوالدك لن يفضب أبداً

( يدخل لوستيو تبعه بيانكا إلى البيت ).

جيراميو : لقد خاب أمني وخسرت كل شيء، ما عدا مكاني في الوليمة.

( يدخل الى بيت لوستيو ).

( يعود بتروسيو ومعه كاترينا إلى مقدمة المسرح ).

كاترينا : تعال يا زوجي الحبيب لتتبعهم ونطلع على حل هذه الأحجية.

بتروسيو : أنا موافق يا كاتي، فقبليني أولاً.

كاترينا : أفني منتصف الشارع !

بتروسيو : وهل تستحين بي ؟

كاترينا : معاذ الله، يا عزيزي أن أستحي من ثقيلك.

بتروسيو : إذاً لعد إلى بيتنا ( لوصيف ) هيا نذهب يا غبي.

كاترينا : كلا، سأمنحك قبلة. فأرجوك أن تبقى هنا يا عزيزي ( تقبله )

بتروسيو : ألا تجدين القبلة لذيدة يا فاتنتي كاتي ؟ خير لي أن أحصل عليها

متأخرة من أن لا أحصل عليها أبداً، وها قد حان أوانها. ( يدخلان الى بيت

لوستيو ).

## المشهد الثاني

### قاعة طعام في بيت لوستيو، وعلى المائدة حلويات

( يدخل بايتا وفستيو وجيراميو والمربي ولوستيو ويانكا وبتروسيو، وكاترينا وهورتنسيو والأرملة التي تزوجها، وترانيو ويوندالو وكريميو وسواهم من الخدم ).

لوستيو : أخيراً، بعد خلافنا الطويل، ها نحن على أتم الوفاق. ولقد حان أوان الهزء بالمخاطرة التي ذللناها والمخاوف التي تخطيناها بعد انتهاء معركتنا الحامية يا حلوتي يانكا، هنتي والدي، كما أهشك أنا. وبأخي بتروسيو وأختي كاترينا، وأنت يا هورتنسيو إنعم بقرب أرملة اللطيفة. قبلوا بعضكم بعضاً، أنا أرحب بكم جميعاً في بيتي. وهذه الحلوى تفتح شهيتنا قبل المأدبة الفاخرة التي نشترك فيها، أرجوكم أن تجلسوا إلى المائدة هذه المرة لتحدثوا وأنتم تأكلون ( يجلس الجميع ).

بتروسيو : ما أروع هذه الوليمة. فلنأكل فقط، أجل لنأكل بدون نقاش.  
بايتا : إن مدينة بادوا تشتهر بكل هذه الحلويات، يا ابني بتروسيو.

بتروسيو : وهل في بادوا غير الحلوة ؟

هورتنسيو : أود أن يكون كلامنا صادقاً.

بتروسيو : أعتقد بأن هورتنسيو يخاف أرملة ؟

الأرملة : وهل أنا مخيفة ؟

بتروسيو : أنتِ كلك لطف وذوق، إنما اختيارك يبدو مشبوهاً، أقصد أن هورتنسيو يحسب لك ألف حساب.

الأرملة : من طاش صوابه يظن أن الدنيا تدور به.

بتروسيو : ماذا تقصدين بقولك يا سيدتي ؟

كاترينا : هكذا، بفضلته أتمكن من الفهم والأدراك.

بتروسيو : تهمين بفضلي أنا ؟ ما رأي هورتنسيو بذلك ؟

هورتنسيو : أرملة تفيد بأنها تعني ما تعني.

بتروسيو : تفسيرك يدل على براعة، فقَبِّله على فصاحته أيتها الأرملة المرحمة.  
كاترينا : تقولين أن من طاش صوابه يظن أن الدنيا تدور به، فأرجوك أن  
تفسري لي ما تقصدينه بهذه العبارة.

الأرملة : إن زوجك الذي بليَ بامرأة صعبة المراس يقيس بشقائه ما عاناه  
زوجي من أحزان مريرة، وعليكِ أن تحذري بماذا أفكر.  
كاترينا : أجد تفكيرك سقيماً.

الأرملة : هذا صحيح كنت أفكر فيك.

كاترينا : أنا إذاً، حسب قولك، مسكينة بائسة.

بتروسيو : تباً لكائي.

هورتسيو : بل تباً لأرملتي.

بتروسيو : أراهن بمئة دينار على أن كاتي ستفحمها.

هورتسيو : هذا هو رأيي أيضاً.

بتروسيو : هذا كلام رجل مخلص جريء. جاء دورك يا بني ( يشرب نخب  
هورتسيو ).

باتيسا : وما هو رأي جيراميو بهذا الهجوم الفكري !

جيراميو : هم يجأرون عالياً يا سيدي لكي لا يسمع أحد صوتاً غير صوتهم.  
بيانكا : إن صاحب الذهن اليقظ يدرك أن المرء لكي يجأر لا بد له من أن  
يكون ذا قرنين.

فستيو : عجباً يا سيدتي المخطوبة. هل أيقظك هذا الحوار.

بيانكا : أجل، ولكنه لا يقلقني. لذلك سأعود إلى النوم.

بتروسيو : أمن أجل هذا ؟ كلا. بما أنك غامرت سأرميك بسهامي.

بيانكا : هل تظنني عصفوراً، سأغير مأواي. وحينئذ ترشقني بنبالك، كما نشاء  
بدون أن تصبيني. تحياتي للجميع. ( تخرج بيانكا وكاترينا والأرملة ).

بتروسيو : شكراً على تنيهك. سنور ترانيو، هاك العصفور الذي قصدت أن  
ترميه. وأنا أشرب نخب جميع القناصين الفاشلين.

ترانيو : يا سيدي، لوستيو أطلقني نظير كلب الصيد الذي يركض وراء  
الطريدة فيلتقطها ويقدمها لصاحبه.

بتروسيو : تشييه مناسب، لكنه مبتذل كاللدودة الحقيرة.  
ترانيو : أحسنت صنعاً يا سيدي بأن تصطاد بنفسك. إنما يقال مع ذلك أن  
الغزال الهارب ينهك قوى من يلاحقه.  
باتيسا : وا أسفاه يا بتروسيو؛ أصبح ترانيو يستهدفك الآن.  
لوستيو : شكراً على هذه المداعبة يا ترانيو.  
هورتسيو : أعترف، أعترف بأنه أصابك في الصميم.  
بتروسيو : أقرّ بأنه ألحق بي خدشاً طفيفاً، ولكن بما أن الخدش أصابني في  
الواقع، فإني أراهن بعشرة مقابل واحد على أنه أصابكما أنتما الاثنين أيضاً.  
باتيسا : هذا إذا تكلمنا جدياً، يا بني بتروسيو. أظنك حصلت على أعند امرأة  
في الدنيا.

بتروسيو : هذا غير صحيح، وهاك حجتني. ليطلب كل واحد أمراً من زوجته،  
فإن من تكون امرأته أطوع من سواها وتلبي طلبه كما يجب يربح الرهان الذي  
سأدفعه.

هورتسيو : أنا موافق. ولكن ما هو الرهان ؟  
لوستيو : عشرون ريالاً.

بتروسيو : عشرون ريالاً؛ هذا ما أغامر به على صفري أو كلبني. إنما على  
امرأتي سأربح عشرين مرة أكثر منه.

لوستيو : فلنجعله مائة ريال.

هورتسيو : أنا موافق.

بتروسيو : تمت الصفقة إذاً.

لوستيو : أنا طبعاً. اذهب يا بيوندالو، وقل لمعلمتك أن تأتي إلي هنا.

بيوندالو : أنا ذاهب. ( يخرج ).

باتيسا ( للوستيو ) : يا صهري العزيز، أنا مغك خمسين في المئة، بأن يانكا  
ستأتي.

لوستيو : أنا لا أريد شريكاً، فإني أتمم كل شيء وحدي.

( يرجع بيوندالو )

لوستيو : ما وراءك من الأخبار ؟

بيوندالو : يا سيدي، تقول معلمتي أنها مشغولة، وإنها لا تستطيع المجيء.

بتروسيو : كيف، هي مشغولة، لا تستطيع المجيء ؟ هل هذا جواب ؟

جيراميو : نعم هو جواب مهذب. ادعو الله يا سيدي لكي تحفك زوجتك بجواب أسوأ.

بتروسيو : كنت آمل أن يكون ردّها إيجابياً.

هورتسيو : يا صديقي بيوندالو، اذهب وتوسّل إلى زوجتي كي توافيني حالاً.

( يخرج بيوندالو ).

بتروسيو : أواه ! أتوسّل إليها ؟ لا بد لها من أن تجيء.

هورتسيو : أخشى يا سيدي مهما فعلت أنت، أن لا تستجيب الي توسّلك.

( يرجع بيوندالو )

هورتسيو : أين زوجتي ؟

بيوندالو : أنها تقول لك أن تلازم الهدوء. فهي لا تريد أن تأتي اليك بل

تسألك أن تذهب أنت لمقابلتها.

بتروسيو : وهل يوجد أسوأ من هذا الردّ ؟ هي لا تريد أن تأتي، وهذا فظيع

غير معقول ولا مقبول. أيها الغبي جيراميو، اذهب الي زوجتي وبلغها أنني

أمرها بالمجيء إليّ حالاً. ( يخرج جيراميو ).

هورتسيو : أنا أعرف جوابها سلفاً.

بتروسيو : ما هو ؟

هورتسيو : أنها لا تريد أن تأتي.

بتروسيو : يا لسوء حظي ! هل هذا ردّها النهائي ؟

( تدخل كاترينا )

باتيسا : ها هي ذا كاترينا.

كاترينا : ماذا تريد مني حتى أرسلت في طلبي ؟

بتروسيو : أين شقيقتك ؟ وأين زوجة بتروسيو ؟

كاترينا : هما تتحدثان في القاعة جالستين بقرب النار.

بتروسيو : اذهبي واجلبيهما معاً. وإذا رفضتا الحضور معك، ارسليهما كل

واحدة الى زوجها ولو بالقوة. اخرجني وعودي بهما سريعاً. ( تخرج كاترينا ).

لوستيو : إذا تكلمت عن العجائب، اعتبر هذه واحدة منها. وبماذا يمكن أن يتنبأ هذا العبقري ؟

بتروسيو : هذا النبأ يشير بالسلامة والمحبة والحياة الرغيدة والتصرفات اللائقة والتفوق المشكور، وبكلمة يدعو إلى البهجة والارتياح.

باتيسا : ليكن الهناء مشتركاً بيننا يا بتروسيو الكريم. أنت ربحت الرهان. وأنا أودُّ أن أزيد لمن خسر عشرين ألف ريال كبائنة إضافية، أجدني مديناً بها لابنتي المتطورة التي تغيّرت كثيراً الى درجة أنها أصبحت امرأة أخرى.

بتروسيو : أنا أريد أن أقبض رهاني. وفي الوقت ذاته أقدم لك برهانا ساطعاً على طاعتها وعلى فضيلتها الحديثة المهد.

لوستيو : ها هذا تعود برفقة زوجتك تختال عجباً بأنوثتها الساحرة. كاترينا، هذه القبعة لا تلائمك. فنبأ لها من خرقه مشعثة ! اطرحيها أرضاً عند قدميك. ( تنزع كاترينا قبعتها وترميها أرضاً ).

الأرملة : رباه ! هل قدر لي أن يسحقني الحزن يوم اضطررتني الظروف الى الاستسلام متذلة.

ييانكا : تبا لك. كيف تكافئين الطاعة العمياء هكذا ؟

لوستيو : أنا أودُّ أن تكون طاعتك مثالية كهذه يا ييانكا الوديدة. فقد كلفني نبذك الطاعة مئة ريال : ولا سيما بعد العشاء.

ييانكا : أنت مغفل. كيف تراهن على طاعتي !

بتروسيو : أنا أطلب منك أن تسألني هؤلاء النساء المتمردات، ما هي واجبات المرأة نحو زوجها ؟

الأرملة : كفاكم سخرية بنا أيها الرجال. نحن لا نقبل أن نتلقّى أي درس منكم.

بتروسيو ( يشير الى الأرملة ) : تكلمي من فضلك، ووجهي قولك إليها أولاً.

الأرملة : لن تنال شيئاً.

بروسيو : أكرر طلبى : وجهي قولك إليها أولاً.

كاترينا : تبأ لك أيتها الأرملة. ابدلي عبوسك بقليل من البشاشة، ولا ترشقيني بهذه النظرات الساخطة المزرية التي تجرح فؤاد مولاك وملكك وولتي نعمتك. ان مظهرك الكئيب يذوي جمالك، كما يجفف الجليد العشب الأخضر، ويشوه سمعتك كما تلتف العاصفة أجمل البراعم. فمهما كنت عطشى لن تتنازلي الى بل شفتيك بنقطة ماء. لا تنسي أن زوجك هو مولاك وحياتك وحارسك ومليكك وولتي أمرك الذي يهتم بك وبحاجاتك، والذي يفرض الأشغال الشاقة على جسمك وروحك أينما كنت، ويسهر عليك أثناء النهار حين تهبّ العاصفة وأثناء الليل عندما يشتدّ البرد، بينما أنت تغطين في النوم دافئة في سريرك بكل طمأنينة وأمان. هو لا يرجو منك أية مكافأة غير الوفاء وابتسام تفرك وسرعة الطاعة التي تعتبر دفعة صغيرة على حساب دينه الوافر المتوجب عليك. إن الطاعة المفروضة على الرعية تجاه الحاكم هي عادلة نظير الطاعة المتحتمة على كل امرأة نحو زوجها. وعندما تكون الزوجة عنيدة خشنة الطباع مشاكسة مزعجة لا تطيع أوامر رجلها المشروعة تعد متسردة عاصية تجاه مولاها الأمين، وخائنة بحقه لا تكن له أي حبّ أو تقدير. أنا أخجل من رؤية المرأة الخسيسة التي تشنّ الحرب على من يجب أن تدعو له بالأمان والسلامة، جاثية على ركبتها. كما أخجل من التي تطالب بالسلطة والتفوق والتحكّم بمن يجب عليها أن تخدمه وتحبه وتطيعه. لماذا يا ترى نلاحظ أن جسم حواء نحيل ضعيف غير مهياً للتعب والمشاكل في هذه الدنيا، إن لم يكن للإناحة لذوقها وعواطفها الرقيقة أن تنسجم مع طبيعتها اللطيفة الطيبة الناعمة لأجل رفاهية رجلها الذي تحبه. تبأ لي من حشرة حقيرة ماكرة. لقد ظننت أنني تحلّيت بحبوية خيرة وقلب طموح وحجة مقنعة، ربما لمقارعة الكلام بالكلام وللمحاوررة والمناقشة. أما الآن فألاحظ أن رمحي ليس إلا قصبه مرضوضة، وإن قوتني ضعف، وضعفي لا يوصف وإنني في الواقع دون ما أظاهر به من الجبروت. فلأكن إذاً أقل كبرياء لأنها لا تفيديني، ولأضع ثقتي بمقدرة زوجي الذي ما عليه من الآن وصاعداً إلا أن يطلب لأبيه ويسأل

لأستجيب وبرهاناً على طاعتي واستلامي، ها هي يدي جاهزة أمدها اليه  
قائمة إذا كان هذا يرضيه.

بتروسيو : هيا أيتها الفتاة الحبيبة كاتي، تعالي وعانقيني.  
لوستيو : هنيئاً لك. لقد فزت أخيراً يا صديقي العزيز. وأصبحت لك الكلمة  
الأخيرة.

فستيو : ما أعذب الانقياد للرجل بوداعة وإيمان !  
لوستيو : وما أسمى استبداد الزوجة بعجرفة وتمرد !  
بتروسيو : هلمي يا كاتي الي السرير. ها نحن ثلاثة رجال متزوجين انما  
شخصان فقط، أنا وأنت، نسى لنا الانسجام التام. ( للوستيو ) ومع أني قد  
ربحت الرهان، أراك باقتراكك ببيانكا قد غنمت الكثير الكثير ( لبيانكا )  
بصفتك فائزة مثلي، أتمنى لك ليلة سعيدة. ( يخرج بتروسيو وتبعه كاترينا ).  
هورتسيو : أجل أيها الرابع الكبير، أكمل طريقك بعد أن روّضت أعنف  
الشرسات.

لوستيو : اسمح لي أن أعرب لك عن دهشتي من استسلامها إليك ومن  
نجاحك في ترويضها غير المأمول. ( يخرجان ).

﴿ تَمَّت ﴾



# العبرة في النهاية

تعريب

أ. ر. مشاطي



## أشخاص المسرحية

ملك فرنسا  
دوق فلورنسا  
برتران: كونت روسييون  
لافو: سيد عجوز  
بارول: صديق برتران.  
المهرج  
سادة فرنسيون في خدمة دوق فلورنسا.  
وكيل الصرف.  
غلام.  
رجال حاشية.  
ضباط  
جنود  
كونتيس روسييون: والدة برتران.  
هيلانة: مرافقة الكونتيس.  
ارملة عجوز من فلورنسا  
ديانا: ابنة الأرملة  
فيولنتا: { صديقتا الارملة.  
قريانا: }  
تجري الأحداث تارة في فرنسا وطوراً في توسكانا.

## الفصل الاول

### المشهد الاول

في قصر كونت روسيون.

(يدخل برتران وكوتيس روسيون وهيلانة ولانو. جميعهم يرتدون ثياب الحداد.)

الكوتيس : بمفارقتي ولدي الحبيب ادفن زوجاً عزيزاً ثانياً.  
برتران : وانا برحيلي يا سيدتي الوالدة، ابكي مجدداً موت ابي، غير اني مضطر الى الخضوع لأوامر السيد الجليل الذي أجدني من اتباعه وتحت رعايته.  
لافو : ستلاقيين في الملك زوجاً يا سيدتي، وانت يا سيدي ستجد اباً احاط الجميع دوماً بافضاله، ولا بد من ان يحفظ لكما ايضاً كل عطف وتقدير يجدر بكما ان لا تحرما نفسيكما منهما.

الكوتيس : هل من أمل في شفاء الملك؟  
لافو : لقد صرف اطباءه يا سيدتي، بعد أن استفدت علاجاتهم كل امل في استرداد صحته ولو على المدى الطويل.

الكوتيس : (تشير الى هيلانة) كان لهذه السيدة الشابة والد يحزنني ذكر اسمه لأنه اتصف بالشهامة والعلم الذي كان يضيفي طول العمر على الطبيعة البشرية ويعد الموت عن الناس. ولو كان على قيد الحياة، انا واثقة بأنه كان شفى الملك من مرضه العضال.

لافو : ما هو اسم الشخص الذي تتكلمين عنه يا سيدتي؟  
الكوتيس : كان يدعى جيرار دي نربون، وكان رجلاً شهيراً في مهته كطبيب  
يا مولاي.

لافو : اجل، في الحقيقة يا سيدتي، كان رجلاً متفوقاً: لان الملك تحدث  
عنه في وقت قريب باعجاب وأسف شديد على غيابه نظراً الى مهارته.  
وكم تمنى ان يكون حياً لأنه موثق بان العلم يتغلب على المرض.  
برتران : ما هي العلة التي يشكو منها الملك يا مولاي؟  
لافو : يشكو من جفاف في العروق يا سيدي.  
برتران : هذه اول مرة اسمع فيها بهذا المرض.

لافو : المسألة ليست كثيرة التعقيد. هل هذه السيدة ابنة جيرار دي نربون؟  
الكوتيس : أجل، ابنته الوحيدة يا مولاي. وقد اوكل امرها اليّ. وانا لي  
وطيد الأمل بأن تكون عند حسن ظني بتربيتها الممتازة، اذ ورثت خصالاً  
تزيد صفاتها الحميدة روعة، وتضيف الى مواهبها العديدة علو النفس وطيبة  
القلب. لأن المواهب اذا لم تقترن بالفضيلة تحول الى نقائص مخزية. بينما  
اذا زينت البراءة تزيدها وفاء ونبيل اخلاق.

لافو : ثناؤك يا سيدتي يستدر دموع عرفانها بالجميل.  
الكوتيس : هذا الماء المالح هو اول ما يمكن الفتاة ان تمزج به المديح  
الذي تلقاه. لأن ذكرى والدها لا تفارق ذهنها، فيستبدّ بها الحزن وبسبب  
لها شحوب خديها ويسرق منها زهو حياتها. كفى يا هيلانة، هيا نذهب.  
يدو عليك انك تستسلمين للكآبة بعكس ما ينبغي عليك.  
هيلانة : اذا ظهرت على وجهي علامات الكدر فهذا يعني انه يعصر قلبي  
عصراً.

لافو : صدقيني، ان الحزن المعتدل دين علينا نحو الاموات، بينما الحزن  
الشديد هو عدو الأحياء.  
هيلانة : اذا قارم الاحياء آلامهم بتصميم، لا يلبث تفاقمها ان يقضي عليهم  
بسرعة.

لافو : كيف يجب ان نفهم ذلك؟

برتران : انا أتمس صلواتك، يا سيدتي.

الكوثيس : أباركك، يا برتران، واتمنى ان تكون خير خلف لايك بفضائك وافعالك وسلوكك في الحياة. لا بد لأصلك من ان يوازي علو اخلاقك، ولطية قلبك من ان تعادل رفيع محتدك. أحب كل الناس يا ولدي، ولا تتق إلا بالخبة منهم دون ان تسبب ضرراً لأحد تملح لمجابهة عدوك بالتحذير لا بالعنف، واترك خصمك دوماً تحت رحمة مقتضيات مصالحك. دع الناس تأخذ عليك السكوت ولا تفسح لهم مجال لومك على كثرة الكلام. إلتمس من السماء ان تمطرك بنعمها وأن تجود عليك ببركاتها. الوداع. (للافو) هذا مولى حديث العهد فأرجو أن تزوده بنصائحك الصالحة.

لافو : يمكنك ان تتكل على اصدق اخلاصي له.

الكوثيس : بركة السماء تشملك، يا برتران، الوداع.

(تخرج)

برتران : (لهيلانة) اتمنى لك ان تتحقق جميع آمالك واحلامك. وان تكوني تعزية امي سيدتك التي آمل ان تحيطها بأحسن العناية والراعية.

لافو : وداعاً ايها السيدة الجميلة. لا تنسي ان تمجدي ذكري والدك.

(يخرج برتران ولافو).

هيلانة : (وحدها) لو اقتصر الامر على ذلك فقط لما فكرت بأبي الذي تليق به احراً دموعي إجلالاً لذكراه العزيرة. كيف كانا لست ادري تماماً لانني اكاد انسى صورته لان مخيلتي لم تحفظ إلا رسم برتران. لا ليس لوجودي من ميرر اذا ابتعد عني برتران. يحمل بي ان اعشق نجماً متلاًناً ولا افكر بالاتزان به لأنه ارفع مني نسباً بما لا يقاس. واذا وصلت الي انواره فأحس بانها اشاعات بعيدة لا يصعب علي الارتقاء الي اجوائها. وما هو املي بحبه يتقلب عذاباً أليماً. لان التعبة التي تطمح الي مشاركة الاسد في حياته محكوم عليها بالموت المحتم مختنقة بهوم هواها. كانت ابهج امانتي ان اشاهده في كل ساعة بقربي، وإن جرحني سيوف لحظه الفاتن، ومهما حزت في قلبي خصال شعره الذهبي وكوناني شوقي الي التمتع برؤية قسما وجهه الصبوح. اما الآن وقد غاب عن نظري، فان حسرتي

تكاد تخفني ولهفتي عليه تخترق كالسهم صدري المتقبض. بالله عليكم،  
اين هو؟ ارشدوني الى مكانه.

(بدخل بارول)

هذا رجل من حاشيته، أحبه لأجله رغم اني اعرف جيداً انه كاذب حقير  
وغبي لثيم بكل معنى الكلمة وجبان خسيس. انما نقائصه هذه تلائم وضعه  
الى حد جعلها مقبولة. لان الفضيلة غريبة عن طبعه الفولاذي وإن ارتجف  
عطفه في وجه الرياح الشمالية الجليدية اذ غالباً ما يفوز غير المستحقين  
بامانيهم رغم حماقتهم وبلادتهم.

بارول : حماك الله ايها الملكة الرائعة.

هيلانة : وانت ايضاً ايها الملك الوقور.

بارول : هل انا ملك؟

هيلانة : وهل انا ملكة؟

بارول : اراك تتألمين ربما بمسألة البتولية.

هيلانة : أجل، كما تفكر انت بامور الجندية. دعني اطرح عليك سؤالاً:  
يقال ان الرجل عدو البتولية. فكيف نستطيع ان نحتمي منه نحن النساء.  
بارول : ابعدي عن دربه.

هيلانة : لكنه لا يكف عن مهاجمتنا. ومهما كانت المرأة جريئة وشجاعة  
في الدفاع عن نفسها تظل بتوليتها ضعيفة.

بارول : هذا غير صحيح، نظير ما ينسب الى الرجل انه متى وجد نفسه  
امامها يحتال عليها لينال منها وطره.

هيلانة : اطلب من السماء ان تحمي بتوليتنا من كل هجوم وانهار. أوليس  
هناك من طرق عسكرية لوقايتنا من الرجال والفوز عليهم؟

بارول : حين تغلب البتولية على امرها تخور عزيمة الرجل. انما عندما تفتح  
الثغرة التي تحدثها المرأة امامه، لا يلبث ان يعود الى الحصار والانتصار.  
ما دام لا سبيل في دولة الطبيعة البشرية لحماية البتولية، وما دام زوالها  
يمهد الى ازدهار الثروة الانسانية. ولن تُخلق اية عذراء اذا لم تنتزع هذه  
البتولية اولاً، والنسيج الذي تتكوّن منه الانوثة يشكل افضل حمى للعناري.

اذ حين تزول البتولية يعرض عنها بعشرة من العذارى بينما المحافظة عليها خسارة فادحة لا يعقبها اي كسب. صدقيني، هذه معركة بارعة تقتضي دراية ومهارة.

هيلانة : اود ان اترت قليلاً ولو اضطررت الى قضاء العمر كله عذراء. بارول : لا مجال للتوقف طويلاً عند هذه النقطة لانها تخالف ناموس طبيعة البشر. مع العلم ان الاصرار على دوام البتولية اهانة لا تغتفر موجهة الى والدتك بالذات. اذ ليس اصعب من الموت كعذراء. اما البتولية التي تنتهك فلا بد من دفنها على الطرقات العامة بعيداً عن كل احترام وتكريم لانها تكون متهمة بارتكاب جناية يائسة بحق الطبيعة، ما دامت البتولية تولد الدود نظير الجبنة التي تؤكل مع ذلك حتى آخرها، وتستهلك هكذا بسبب المبالغة في اشباع النهم. من جهة اخرى نرى البتولية كتيبة متمجرة باطلة مفعمة بالكبرياء غارقة في احقر المعاصي ولو حمتها جميع الاسلحة. لا تتمسكي بها، لانها بعد عشرة اعوام تتضاءل عصمتها، وهذا ربح لا يستهان به يضاف الى رأس المال الذي يظل على حاله. فما عليك الا ان تجري حظك.

هيلانة : ما العمل، يا مولاي، لكي أجد بها حسب تلميحك؟

بارول : لعمرى، لا سبيل الى خيار أولى من الذي قرّ رأيك عليه. اذ لا بد من اختيار يدعمه التفضيل. فهذه سلعة تفقد رونقها اذا ظلت محفوظة في مستودعها. وكلما زاد الحرص عليها كلما نقصت قيمتها. فما عليك إلا ان تمنحها من يقدرها ويرغب في الحصول عليها. لان البتولية تبدو كالعاشق العجوز الذي يلبس ما لا يليق بعمره، بينما حبيته ترفل في اجمل حللها التي ان طال بها الزمن بطل زيتها نظير الليمونة التي ترمى بعد عصرها أو حين يدركها الذبول والعفن. فما اجمل الفواكه النضرة وما اقبحها عندما تفقد رونقها، وما اشبهها بالبتولية المسنة التي بمرور الزمن وبدون تذوقها تصبح دميعة المظهر كريهة الطعم لا تصلح عندئذ إلا للرمي في سلة النفايات.

فما رأيك بذلك؟

هيلانة : انا لا ارغب الآن في التفریط ببتوليتي. هناك في البلاط يسعى سيدك ان يتتقي بين الف من صاحباته من تصبح اماً وصديقة ويدعوها عصفوره

الجميل وقائده وعدوه ودليله وملاكه وملكنه ومرشدته وخائنته وسبيبه... زكاه ياءه  
وحقارته ووضاعته المتجبرة ولحنه النشاز وانسجامه الرخيم. هناك الف اسم  
واسم جذاب مشوق يترنم به اله الحب الأعمى كوييد. حينئذ يصبح...  
لا ادري ماذا يصبح... كان الله في عونك. فالبلاط مدرسة مفيدة تزود الرجل  
بالخبرة والهمة.

بارول : قل لي، من اية فئة من الرجال هو؟  
هيلانة : هو رجل اود له كل خير. لكن الشر...  
بارول : اين الشر؟

هيلانة : ارجو ان لا تبلور امانيك، حتى لا تتيح لنا الظروف نحن المسكينات  
ان نكيل لأخصامنا ما يشعرهم بفعالية سلبتنا، ونعبر عما يخامرنا من افكار  
لا تستحق اي تقدير.

(يدخل احد الفلام)

الفلام : يا سيدي بارول، مولاي يستدعيك.

(يخرج الفلام).  
بارول : وداعاً يا هيلانة الرقيقة. اذا لم تختي ذاكرتي، سأفكر فيك عندما  
اكون في البلاط.

هيلانة : يا سيدي بارول، انت تحت رعاية اي برج عطوف ولدت؟  
بارول : انا ولدت تحت رعاية برج إله الحرب.  
هيلانة : هذا ما توقعته لك.

بارول : لماذا؟

هيلانة : لان الحرب قد انهك قواك، ولا بد من ان تكون تابعاً لهذا البرج.  
بارول : في تحكّمه وسيطرته.

هيلانة : بل بالحري في حركته الرجعية.

بارول : ماذا يدعوك الى هذا الظن؟

هيلانة : مهارتك في التراجع.

بارول : للاستفادة من كل فرصة.

هيلانة : عندما نهرب يكون هذا لصالحنا، لا سيما اذا وجدنا سلامتنا في

التخوف والحذر. على كل حال، هذا المزيج من الشجاعة والفرع الذي  
تشر به هو فضيلة مجتحة ستخدمك زمناً طويلاً.  
بارول : انا الآن مثقل بالمشاغل، ولا يعني ان اردّ عليك بقارص الكلام،  
فأعود عاشقاً مكتملاً، اذ ذاك تطمس دروسي كل علومك مهما استوعبت  
من نصائح خبير مثلي، وفهمت توجيهاتي. وإلا اضعت عمرك سدى في  
وجود عقيم، وأطاح بك جهلك ورمالك في شر المهالك. الوداع. عندما  
يتسنى لك وقت فراغ، عليك ان تتصرعي وتتهلي. واذا لم تحصلي على  
مرادك، تذكرني اصدقاءك وحاولي ان تلاقيني بينهم زوجاً صالحاً تبادلينه نفس  
شعوره. وداعاً

(يخرج)

هيلانة : غالباً ما نحوي في اعماقنا الدواء الذي نلتمسه من السماء لشفاء  
علتنا. فالمصير الذي يخبئه لنا القدر يتركنا احراراً في اختيار مهنتنا. ولا  
تتأخر مشاريعنا إلا عندما نظل حيارى جامدين بدون حراك. لعمرى، ما  
هي القدرة التي ترفع حبي هكذا عالياً، وتتيح لي ان اشبع نظري من بهاء  
طلعة حبيبي؟ كثيراً ما نرى ابعاد الاشخاص عن المخطر، نظير اهل الهوى،  
يضمهم الشوق في عناق منسجم أصيل. فالامور الرائعة مستحيلة في منظار  
العرف العام على من يهاب الصعاب ويتصور الامر البعيد المنال لا سبيل  
للمرء الى الوصول اليه، مهما طال وجال. فمن هي التي بعد كل هذه الجهود  
لاثبات اهليتها، لم تنجح في ارضاء حبيبيها! اما مرض الملك فقد يصعب  
في مشروعى على ما ارجوه له من شفاء عاجل، انما تصميمي لا رجوع  
عنه ابداً وانا واثقة كل الثقة بان التوفيق سيكون حليفي.

(يخرج)

## المشهد الثاني

### في باريس داخل القصر الملكي.

(تسمع موسيقى. يدخل ملك فرنسا بيده رسائل ويتبعه سادة ووجهاء في خدمته).

الملك : ها هم اهالي فلورنسا واهالي سيانا قد حاربو بإمكانيات متساوية، ولا يزالون يشنون الى الآن حرباً ضروساً.

السيد الاول : هذا ما يتداوله الناس في قول، يا مولاي.

الملك : (وهو غير بعيد عن الواقع) ها قد بلغنا تهيئة هذا النبا في رسالة من ابن عمي النمساوي الذي يبنهني الى قرب التماس اهالي فلورنسا منا العون السريع. وهذا الصديق العزيز يليب طلباتهم وعلى ما يبدو ينتظر منا الرفض.

السيد الاول : لقد خبرت يا صاحب الجلالة مراراً اخلاصه وحكمته. وهذا يستحق من قلبك كل تقدير.

الملك : اجل، استجاب طلبي وسلمهم اسلحة. بينما رفضت فلورنسا قبلاً ان تقدم لك طلبك. على كل حال بين وجهائنا من يود أن يخدم في توسكانا. وهم يستطيعون ان يمحازوا الى اية جهة ترضي اهواءهم.

السيد الثاني : من هنا، علينا ان نستخلص درساً يستفيد منه نبلأؤنا الذين يماطلون في استغلال الرغبات والظروف.

الملك : من القادم إلينا؟ (يدخل برتران ولافو وبارول).

السيد الاول : يا مولاي الكريم، هوذا برتران الشاب كونت روسيون.

الملك : (لبرتران) ايها الفتى انت تشبه اباك كل الشبه. فطبيعته الحرّة واخلاصه النزيه قد انتقلا الى شخصك بالوراثة. وأملّي ان تستمدّ منه ايضاً جميع صفاته الحميدة. اهلاً بك في باريس.

برتران : اقدم لك جزيل شكري وولائي، يا مولاي.

الملك : ليتني املك تمام عافيتي كما كنت في عهد ابيك الذي ربطني

به رفقة السلاح في ربيع عمرنا. وكنا في تلك الأيام اشجع الفرسان لا نهاب المنايا. لكن الشيخوخة داهمتني وانهكت عزيمتي. كم يسرني التحدث عن والدك! لاننا عندما كنا في عز صبا كان جميع رجال البلاط يحسدونا ويمازحونا وكنا لا نتورع عن التكيك بدورنا. وكان والدك الشهم لا يفوته شيء من المروءة والمجد، لا سيما حين يتحداه احد المغرورين. فثبت جدارته وتفوقه ويناقش عند اللزوم، ويلجأ الى سيفه اذا اقتضى الامر. وكان لشدة كرمه يحسن معاملة رجاله ويكرمهم ويفتخر بهم ولا يترك مجالاً لأي انتقاد او تطاول. هكذا كان ابوك وكما كنت انا، مثلاً للشرف، فربحنا ثقة الجميع وصدقاتهم الخالصة. ولم يجزؤ احد حتى الآن على الخروج على هذا المنهج الخير.

برتوان : يا مولاي، ارى ان ذكره مطبوعة في ذهن سيادتك اكثر مما هي على صفحات التاريخ. وثناءك على بطولته لا يقل عما تتمتع به جلالتك من هبة ووقار.

الملك : انا آسف لفرقتنا، كما كان من عادته ان يقول، كأن صوته لا يزال يرن في اذني. ولم يكن يلقي كلامه جزافاً بل يتلفظ به بطريقة تجعل وقعه مأنوساً على الاذن حيث يرسخ وينمو ويثمر. وكم مرة سمعته يقول: اود أن أموت لاني لا احب ان اكون مصباحاً خالياً من الزيت لا اضيء للاجيال التي خبا ذكاؤها ولم تعد آمالها تتعدى اناقة الملابس وبهجة المظاهر التي تتبدد قبل ان يتغير زي الثياب. هكذا كانت امانيه وآمالي انا ايضاً. لكنني الآن، وقد ثقلت على كاهلي السنون، لم اعد اجني لا شمعاً ولا عسلاً من الازهار لخليتي، وأن لي ان ارحل لأفسح المجال لغيري من العاملين. السيد الثاني : انت محبوب يا مولاي، وحتى اخصامك سيتحسرون على غيابك بعد العمر الطويل.

الملك : انا اعرف اني لا املأ مكاني. ارجوك ايها الكونت ان تقول لي منذ كم سنة مات طيب والدك، وهو في أوج الشهرة؟

برتوان : منذ ستة اشهر يا مولاي.

الملك : لو كان على قيد الحياة لحاولت الاستفادة من خبرته. ارجوك ان

تمسك بيدي. اما معظم اطبائي فألاحظ انهم يستنفدون صحتي بتجريب  
علاجاتهم في جسمي المرهق، ومن الآن وصاعداً يستطيعون ان يحاولوا  
ويجربوا كما يشاؤون. اهلاً بك ايها الكونت، فانت بمقام ولدي.  
برتران : أشكر جلالتك على هذه الثقة الغالية.  
(بخرجان. وتصدح الموسيقى).

### المشهد الثالث

في قصر كونت روسيون.

تدخل الكونتيس ووكيل الصرف والمهراج.

الكونتيس : الآن كلي آذان صاغية لسماحك. ماذا قلت عن هذه السيدة الصبيّة؟  
وكيل الصرف : اود ان تذكرني دائماً يا سيدي، ما اسديت لك من خدمات  
جلية، وان تضيفها في سجلي الى اعمالتي السابقة. لاننا بيدنا كثيراً ما نجرح  
كبرياءنا ونسودّ صفحة سلوكنا.

الكونتيس : (تلفت الى المهراج) ماذا يصنع هذا اللعين هنا؟ اذهب ايها  
الغبي لأن ما قدّم بحقك من الشكاوى لا تصدق ولا تشرف. وانا ادري  
الناس بصفاتك وبأفعالك التي لا ترفع الرأس نظراً الى تصرفاتك الدنيئة.  
المهراج : انت تعرفين جيداً يا سيدي، اني رجل بائس مسكين.  
الكونتيس : لا اجهل ذلك.

المهراج : ليس اذاً من صالحني يا سيدي كما هو معلوم، ان اكون فقيراً  
مع ان اغلب الأثرياء لا ينعمون بحال افضل من حالي. انما ان سمحت  
يا صاحبة السمّ سنسعي انا والمدعو ايزابو الى تحقيق امانينا.  
الكونتيس : يسعك اذاً ان تصبح متسوِّلاً.

**المهرج :** اجل، فقط لأتمس اذنك في معالجة هذه القضية.

**الكوتيس :** اية قضية؟

**المهرج :** قضيتي وقضية ايزابو. فالخدمة ليست وراثه، وانا على يقين بانى لن انال ابداً رضى الله قبل ان انجب اولاداً لأن الاطفال بركة كما يقال.

**الكوتيس :** اخبرني، ما الداعي الى زواجك؟

**المهرج :** جسمي يفرضه علي يا سيدتي. فانا انقاد الى جسدي، وعلى المرء ان يسير الى حيث يجره ابليس.

**الكوتيس :** هل هذه هي كل اسبابك يا صديقي؟

**المهرج :** في الحقيقة يا سيدتي، لدي اسباب اخرى تقوية.

**الكوتيس :** هل من الممكن ان نعرفها؟

**المهرج :** كنت مثقلاً بالذنوب يا سيدتي، نظيرك ونظير جميع الناس المخلوقين من لحم ودم، وانا اود الزواج لأتوب.

**الكوتيس :** الزواج لا الشر.

**المهرج :** انا لا اصدقاء لي، وآمل ان اعوض عن هذا النقص بزوجة صالحة.

**الكوتيس :** امرك غريب، لأن هؤلاء الاصدقاء هم بالبحري اعداء.

**المهرج :** انت تحكمين على الناس بدون تبصر في كنه الامور يا مولاتي.

تقي بان هؤلاء من اعز الاصدقاء المحبين، ولانهم اغيياء يفعلون ما يرضيني

من الاعمال. فمن يحرث ارضي يوفر التعب على بهائمي ويدعني اجني

غلتني واذا خانني احد منهم استغله كأنه دابتي. ومن يسلي زوجتي يوفر

علي عناء ارضائها. ومن يؤمن لي كل هذه الحاجات يحبني ويكن لي صداقة

خالصة. وهكذا من يعانق امرأتي يثبت انه من اغلى الاصحاب. ولو وقع

الناس بما هم حاصلون عليه لما بقي من خوف في حقل الزواج. في الحقيقة

ارى الشاب المرح يشرب والمتدين المتمزمت يختلف عن سائر الانقياء

المتشابهين. ما داموا يستطيعون ان يشبكو قرونهم بقرون سائر اوعال القطيع.

**الكوتيس :** لن تطلع عن النيمة وسيظل لسانك لاذعاً كالسوط، يا لعين.

**المهرج :** انا لست نبياً يا سيدتي، انما أذيع الحقيقة من اقصر السبل (يتمم):

دأبي ترديد انشودة

على كل لسان مسرودة  
لان الزواج قسمة ونصيب  
وحسد الناس امر عجيب.

الكونتيس : اخرج من هنا يا سيدي. اودّ ان اقول لك في الحال كلمتين.  
وكيل الصرف : اتريدين يا سيدتي ان تطلبي منه استدعاء هيلانة، لاني اريد  
أن اكلّمك عنها؟

الكونتيس : يا مغفل قل لمرافقتي هيلانة ان تأتي، لأنني اريد ان اتحدث اليها.  
المهرج : من تقصدين بهذا الاسم يا سيدتي

ذات الوجه الصبوح موضوع مودتي؟

كان إسمها سبباً في حرب طروادة

اذ احبها الفتى باريس بلا هوادة

وكانت فرحة الملك بريام

بما اصدره لاجلها من أحكام

اذ قدّر فيها الكرم والحنان

منذ أطلّ عليها حبيبها الولهان

وهي الصبية الصالحة بين عشرة

تطيب بجوار حسنها العشرة.

الكونتيس : ماذا تقول يا غبي؟ انت تشوّه الانشودة. اهي حقاً صالحة بين  
عشرات النساء.

المهرج : بقولي هذا انا بالعكس ارفع شأن المغنية لانها فعلاً افضل الفتيات.

وانا اتمنى نظيرها لجميع الشبان. اما انا فلن اتذمر إن حصلت علي واحدة

مثلها، إن كان الامر منوطاً بي. فواحدة من عشرة إن كانت حقاً صالحة

يفخر وجودها اي رجل بالسعادة والهناء. لأنها كالشهاب تمر ممرعة في

سمائه، وان اهتزت الأرض لانوثتها يكون نصيبها افضل الهبات. اذ من السهل

على الرجل ان يقتلع قلبه من مكانه لكي يحظى بامرأة فاضلة تسعد ايامه.

الكونتيس : الا تريد ان تخرج يا مغفل، وان تنفذ حالاً ما أمرتك به؟

المهرج : مشيئة الله ان يطيع الرجل اوامر زوجته بدون ان يرتكب اي شر.

فالشرف عندي وان لم اكن مترمناً يأبى عليّ ان آتي اي محظور. فهي تليس ثوب التواضع الاسود وتخفي قلباً عطوفاً نقياً ناصع البياض. انا ذاهب لأنادي هيلانة كما ترغيبين.

(يخرج المهرج).

الكوتيس : انا مصغية.

وكيل الصرف : انا اعرف يا سيدتي انك تحبين كثيراً مراقبتك هيلانة. الكوتيس : اجل، لأن والدها اوصاني بها كوديعة غالية. ولو لم تكن موضوع هذه التوصية لكانت حازت مع ذلك على ما تستحقه من محبة ورعاية لان الجميع، نظراً الى كرم اخلاقها مستعدون لمنحها اكثر مما تطلب بسخاء ودون تحفظ.

وكيل الصرف : مكثت بقربها يا سيدتي منذ لحظة، مدة اطول مما هي تمني. وسمعتها تخاطب نفسها بهذه اللهجة بدون ان تظن طبعاً اني اسمعها تردد لنفسها هذه الافكار الغريبة بصوت عالٍ، وفهمت بصورة غير مباشرة انها تحب ولدك، اذ قالت : « شاء حظي ان يجعل بيني وبينه هذه الفوارق العائلية، والحب لا يخضع للنظام ولا يعترف بالنفوذ والجاه والمال ولا يتفاوت المستوى بين المحبين. فديانا ليست خيرة العذارى، لأنها فوجئت واستسلمت بدون شرط ». هذا ما كانت تقوله بمرارة اليمّة وبشكل لم يسبق لعذراء ان باحت به امامي. فظننت من واجبي ان اعلمك بالامر سريعاً لدرء اي خطر او شر يمكن ان يطرأ وانت راغبة في الاطلاع على ما يدور في خلدتها. الكوتيس : تصرفك لا اشرف منه. احفظ هذا في قلبك فان ظنونا عديدة كانت تساورني وكنت أتأرجح بين الشك واليقين. ارجوك ان تكتم هذا السر في اعماق صدرك، وانا اشكرك على غيرتك وشهامتك. ستحدث في هذه القضية عن قريب. (يخرج وكيل الصرف). هكذا كان حالي عندما كنت صبيرة. وهذا امر طبيعي لان الشكوك لا يفصل عن ورود الشباب في فورة العنقوان، بل هو ميزة الطبيعة الحقّة المتحكمة بالهيام والشوق المتبادل المتجاوب بين حنايا الضلوع. ها هي تذكارات ماضي حياتي تعيد الى ذهني

نفس المشاهد والاحطاء، وهي ليست وفقاً عليّ وحدي. فان نظراتها النათية تنبئ بما يعصف في قلبها من وجد وحنين.

(تدخل هيلانة)

هيلانة : ماذا تريدان يا مولاتي؟

الكوتيس : انت تعلمين يا هيلانة اني احبك كوالدتك.

هيلانة : اجل يا سيدتي الكريمة.

الكوتيس : بل انا بمقام امك. ولماذا لا اكون كوالدتك؟ لاحظت عليك بعض الارتعاش عندما كلمتك في هذا الموضوع، كأن افعل لدغتك. فلماذا تجعلك لفظة الام ترتجفين هكذا؟ اكرر عليك اني اعزك مثل امك واعتبرك كأنك ابنتي وقطعة من كبدي. وما اكثر الحالات التي يكون فيها الريب اغلى من الولد الشرعي، وإن كان من صلب غريب. انت لم تسببي لي آلام مخاض الامومة وسهر الليالي، مع ذلك اكرن لك حنو الالدة. سامحني الله. هل من داع لاي تحفظ بين الام وابنتها؟ ماذا يستدر دموعك هكذا؟ ولحظك شبيه بالترجس الزاهي الالوان. ايزعجك ان اعدك كابنتي؟

هيلانة : لكنني في الواقع لست ابنتك.

الكوتيس : انا اعتبر نفسي كوالدتك.

هيلانة : ارجوك يا سيدتي، ان لا تنسي ان كونت روسيون لا يمكن ان يكون اخي. فانا من اصل وضيع وهو عريق النسب. اهلي ليموا نبلاء، بينما جميع ذويه من الاشراف. هو سيدي العزيز، وانا خادمتة المطيعة سأظل امينة على عهده، دون ان يكون شقيقي.

الكوتيس : ولا ان اكون انا امك.

هيلانة : انت بمقام والدتي يا سيدتي، انما لا سمح الله ان يكون سيدي ابنك شقيقي. ولا ان تكن انت امي الحقيقية. ولو كنت حقاً والدتنا نحن الاثنين، لما كانت سعادتني اعظم، تماماً كما لو كنت انا اخته. ليت هناك وسيلة لان اكون ابنتك بدون ان يكون هو اخي.

الكوتيس : هذا ممكن فقط، يا هيلانة، اذا اصبحت كنتي. اسأل الله ان لا يبعد عنك قبول هذه الفكرة. فاسماء البنات والامهات لن يؤثر على مستواك.

اولا تزال وجنتاك شاحبتين لقد خامرتني الظنون حول مودتك، وفهمت الآن سر ميلك الى العزلة والتأمل واكتشفت مصدر دموعك السخية. وايقنت بانك بدون شك تهوين ولدي وهذا ما يدفعك الى اخفاء شعورك وتمويه هذا الواقع، ونكران ما تضمرينه له من حب عميق. فاصدقني الحقيقة بدون تكتم. ها هي خدودك تعلن هذا الحب الذي اراه بكل وضوح في حركاتك وفي تعابيرك. لان الحياء وحده يمنع لسانك عن البوح بسرّك الجلي. تكلمي، قلولي لي ان هذا صحيح. ولا تخفي عني انك تحبينه، بل اكدي لي اني غير مخطئة في هذا الموضوع. على كل حال اطلب منك ان تبيني لي رغبتك وانا اتعهد لك بان اساعدك على نيل مرامك.

هيلانة : سامحيني يا سيدتي الكريمة.

الكونتيس : هل حقاً تحبين ولدي؟

هيلانة : ارجوك ان تسامحيني، يا سيدتي النبيلة.

الكونتيس : هل تحبين ابني؟

هيلانة : الا تحبينه انت، يا سيدتي؟

الكونتيس : لا توريني في كلامك. ان حبي له لا يضاويه اي حب على وجه الارض لاني امه. هيا انيني عن شغف قلبك لان اضطرابك يشير الى تعلقك به.

هيلانة : (وهي تجثر) لا يسعني إلا ان اعترف هنا راحة امامك وامام السماء بانني احب ابنك. كان اهلي فقراء، لكنهم شرفاء. وهكذا حبي له شريف. فلا تحنفي، فإن حبي لابنك لن يسفر عن اي شر. وانا لا اللاحقه لأستولي عليه ولن ارضى به زوجاً قبل ان استحق محبته. ربما انا احب عبثاً وأمل بما قد لا يتحقق يوماً. هذا لا يهم فاني سائبر على محبته مهما كابدت من قلق وتضحية في سبيله. فانا كالهندي الذي يعبد الشمس في ديانته الخاطئة، ويلتمس ان ترسل اليه اشعتها التي لا يراها إلا حين تضيء عليه. ارجو يا سيدتي الكريمة ان لا تعكسي حبي حقداً عليّ لان شعوري يلتقي بعاطفتك نحو من اهوى. وانت ذاتك يا من يؤكد عطف شيخوختك الجلييلة فضيلة شباي، اذا احسست بان قلبي يضطرم بمثل هذه الشعلة المقدسة تكونين

قد لمست في آن واحد صفاء رغبتني وحنو اشواقني. فالالهة ديانا كانت هي ايضاً عاشقة. اتوسل اليك ان ترحمي ضعفي الذي لا يقوى على منعي من بث مودتي الشخص الذي انا واثقة بانه صعب المنال بالنسبة اليّ نظير من يبحث عن حل احجية عسير حلها.

الكوتيس : او لم تتكلمي بصراحة منذ ايام قليلة عن رغبتك في الذهاب الى باريس؟

هيلانة : نعم يا سيدتي.

الكوتيس : لماذا تريدن الذهاب الى باريس؟ قللي لي الحقيقة.

هيلانة : اقسم بالنعمة التي توليتها اياي اني سأبوح لك بها. انت تعرفين ان والدي ترك لي واوصاني بوصفات عجيبة مجرّبة استخلصها من مطالعته واختباراته في الحياة. وألح علي قبل ان يموت بان احتفظ بسر كتاباته هذه مهما كلفني الامر، نظراً الى قيمتها وفعاليتها التي تفوق بالحقيقة ما يتوقعه العاقل من هذه الرموز. وتضم من جملة العلاجات دواء لا يخطيء لمعالجة الامراض المستعصية نظير علة الملك التي نفّض الاطباء ايديهم من شفائها. الكوتيس : هل هذا هو السبب الحقيقي لذهابك الى باريس؟ تكلمي.

هيلانة : مولاي ابنك هو الذي حملني على التفكير بذلك. لان الاطباء والملك نفسه أقلعوا عن المحاولات العقيمة المكررة بدون جدوى.

الكوتيس : لكن يا هيلانة اذا عرضت على الملك مساعدتك هذه، هل يقبل بها يا ترى؟ واية ثقة يوحى اليه اقتراح صبية جاهلة، مثلك بينما مجموع الاطباء قد نفدت حيلهم وتركوه بين انياب الخطر الذي يتهده؟

هيلانة : هذا الشعور بتملكني ويفوق علم ابي الذي برع في مهنته وأوصاني بهذه الوصفة العجيبة وكلي امل بان تفضي الى النتيجة المتوخاة يا سيدتي. فارجوك ان تسمحني لي بالقيام بهذه المحاولة وانا اتعهد بتكريس حياتي لشفاء جلالته في هذه الحال الحرجة.

الكوتيس : هل تؤمنين بفعاليتها؟

هيلانة : انا واثقة من النجاح واضمنه يا سيدتي.

الكوتيس : فاذا اكرر لك يا هيلانة خالص مودتي واستعدادي لمساعدتك

على تنفيذ خططك واحمك على الذهاب بأقصى السرعة كي تسعي لدى  
المسؤولين في البلاط لعمل ما يلزم. وأنا سأبقى هنا ألتمس لك بركة الله  
وتوفيقه. فاذهبي منذ فجر الغد وكوني على يقين بانني ادعم محاولتك من  
كل قلبي راجية لك النجاح وللملك الشفاء العاجل.

(تخرجان).

## الفصل الثاني

### المشهد الاول في باريس داخل القصر الملكي

(تصدح الموسيقى. يدخل الملك ويتبعه عدد كبير من السادة الشبان ذاهبين الى الحرب في فلورنسا، ثم يدخل برتران وبارول وبعض الخدم).

الملك : وداعاً ايها السادة الفتيان. لا تغفلوا عن أصول الحرب. وداعاً. ولا تنسوا نصيحتي بل استفيدوا منه بقدر استطاعتكم.  
السيد الاول : املي يا مولاي، ان نعود مظفرين، وان نجدك يا صاحب الجلالة بكامل صحتك.

الملك : لا، لا. هذا مستحيل. مع ذلك، لا اريد أن اعترف بان قلبي لن يشفى من العلة التي تلتف حياتي. الوداع ايها السادة الشبان. إن عشت او مت، ارجو ان تكونوا ابناء فرنسا البررة الكرماء، وان تنزلوا بايطاليا الفاسقة ما تستحقه من عقاب وويلات لانها كانت سبب انحطاط الامبراطورية الرومانية. وانتم لا تلتمسون المجد التماساً بل ترفضونه فرضاً. وعندما يعود اشجع الكشافة عليكم ان تحصلوا انتم على ما تبحثون عنه من شهرة وسمعة طيبة. مرة أخرى اقول لكم الوداع.

السيد الثاني : تمنى لك الصحة التامة، يا صاحب الجلالة.

الملك : لا تتقروا بفتيات ايطاليا، بل تجنّبوهن لأنهن يدّعين اننا نحن الفرنسيين لا يسعنا ان نرفض لهن طلباً. فحذار من أن يأسرنكم بما يعرضه عليكم من خدمات.

السيدان معاً : قلوبنا لن تحيد عن نصائحك.  
الملك : وداعاً (لأحد السادة) ارجوك ان تساعدني (يتمدد الملك على سريره للاستراحة).

السيد الأول : (لبرتران) يا سيدي العزيز، لا يجمل بي ان اتركك هكذا ورائي.  
بارول : ليس الذنب ذنبه، بل ذنب الشرارة...  
السيد الثاني : ما هذه الصبغة الرائعة.

بارول : انا مسرور جداً بمشاهدتي هؤلاء المحاربين.  
برتران : انا باقى بانتظار صدور الأوامر، ولا يستطيع احد ان يحجزني بقوله:  
سيأتي دورك في السنة القادمة لأنك صغير السن ايها الفتى.

بارول : اذا كان قلبك يفريك بالمغامرة فانسحب بشجاعة.  
برتران : علي ان ألزم مكاني هنا. فانا محكوم عليّ ان اسير على البلاط  
المالس الى ان لا يبقى من مجد باهر في اشهار هيف متشوق الى القتال.  
انا افضل ان انسحب.

السيد الاول : وهذا سيكون فراراً شريفاً.  
بارول : لا تتردد في اللجوء اليه، ايها الكونت.  
السيد الثاني : هيا، سأكون شريكك. الوداع.

برتران : انا متمسك بالبقاء معك، وفراقك سهم اليم يخترق قوايدي.  
السيد الاول : (لبارول) وداعاً ايها الهمام.  
السيد الثاني : كلامك رقيق، يا سيدي بارول.

بارول : ايها الأبطال النبلاء، جميعنا اخوة في السلاح، وسيوفنا براقه بئارة.  
ستجدون في فيلق جماعة « سيني » قائداً يدعى سبوريو، جرحه سمة حزينة  
على خده الايسر، احدته في وجهه حد سيفي المرهف. قل له اني لا ازال  
على قيد الحياة، واني اخبرتكم بهذا الحادث الطريف.  
السيد الثاني : طبعاً ايها الزعيم النبيل.

بارول : كونوا اعز اولاد اله الحرب وبرهنوا على جدارتكم وشجاعتكم  
(يخرج السادة. لبرتران) ماذا تودّ ان تفعل؟

برتران : انا باقٍ هنا. لان الملك...

بارول : لا بد من ان تخصّ هؤلاء النبلاء بحفاوة بالغة. لانك لزمّت جواً  
من الوداع بارد جداً. الرجاء ان تظهر لهم حرارة اكثر، ما داموا لا يعرفون  
اللهجة اللطيفة، بل يتصرفون ويتكلمون حسب التيار السائد. وعندما يضبط  
الشیطان وقع مسيرتهم، لا يترددون في الجري ورائه. الحق بهم وودعهم  
باحسن العبارات.

برتران : اجل، سأتابع تعليماتك.

بارول : لا تنسّ أنهم رفاق طيبون، وعلى ما يبدو، هم رجال سلاح مزودين  
بسيوف مرهفة الحد.

(يخرج برتران وبارول)

(يدخل لافو ويرتمي على اقدام الملك)

لافو : سامحني يا مولاي، وغضّ الطرف عن رسالتي.

الملك : نعم بشرط ان تنهض.

لافو : (ينهض) انت ترى الان رجلا دفع سلفا ثمن العفو عنه. اريد يا  
مولاي ان اركع امامك لطلب السماح مني فتمنحني اياه فوراً.

الملك : انا اريد ذلك ايضاً. لكن بعد ان أثني على إخلاصك. عندئذ تطلب  
العفو.

لافو : ضربتك جاءت الي جانب الهدف، يا مولاي الجليل. ها هوذا سؤالی:

هل تريد ان تبراّ ممّا تشكوه من علة؟

الملك : كلا.

لافو : انت تريد ان تأكل عنباً يا مولاي كما يفعل الثعلب. مع ذلك هذه  
حجج رائعة تتذرع بها عينا ان كنت حقاً تريد الوصول الي مبتغاك. شاهدت  
اليوم طبيياً بارعاً يعث الروح في الحجر، ويحرك جمود الصخر الأصم  
ويرقص الحزاني على اطرب الانغام. فلمسة منه تكفي لتقييم الميت من قبره.  
ماذا اقول؟ تكفي لجعل الجاهل يبادر الي القلم ويخط أروع رسائل الغرام.

الملك : تكلم.

لافو : هو طبيب ماهر يا مولاي، بل طيبة بارعة. فهل تريد أن تستقبلها؟ اقم لك بشرفي، ان تفكيري سليم بعيد عن المزاح. وأؤكد لك اني حدثت المرأة التي ادعشتني بانوثتها وصبابها ومشروعها وحكمتها وتصميمها. فلمت ذاتي على ضعف اندفاعي. هل تريد ان تراها يا مولاي؟ انها ترغب في مقابلتك لتعرض عليك خطتها في المعالجة. اجل اضحك واهزأ بي كما يحلو لك.

الملك : أدخل، يا عزيزي لافو، هذه الدرّة الفريدة لكي اتمكن من مشاطرتك اعجابك وازالة دهشتي.  
لافو : طبعاً سأعرف رأيك عند انتهاء هذه الزيارة.

(يخرج)

الملك : من طبعه ان يطيل المقدمات بدون الوصول الى نتيجة حاسمة.  
(يدخل لافو ومعه هيلانة)

لافو : هيا ادخلي.

الملك : ارى الاستعجال يحملك على اجنحة المغامرة.  
لافو : هيا ادخلي بغير وجل، فجلالته بانتظارك وابسطي له ما لديك من عرض. تبدو عليك سحنة المغامرين. انما جلالة الملك لا يخشى امثالك ابداً. انا واثق بحسن نيتك، ولا يقلقني ان تركتكما منفردين. الى اللقاء.  
(يخرج)

الملك : ماذا تريد مني ايها الحساء!  
هيلانة : انا يا مولاي ابنة جيران دي نربون الذي كان بارعاً في مهنته كطبيب.  
الملك : اجل، عرفته.

هيلانة : لن اشيد اذاً بمزاياه، ما دمت تذكره. هذا يكفي بينما هو على فراش النزاع سلمني عدة وصفات، منها واحدة هي ثمرة خبرته الطويلة وعمله الناجح في اختباره الواسعة، وقد اوصاني بالاحتفاظ بها بعناية نظير عين ناكة أعلى من عيني الاثنين. وهكذا فعلت. واليوم حين علمت بان جلالتك مصاب بعارض مشؤوم، مداواته ممكنة بهذا العلاج الفعال الذي تركه لي

والذي رحمه الله، جئت اقدمه مع صدق اخلاصي وخضوعي " واضع.  
الملك : اشكرك ايها الفتاة. انما لا يسعني ان اؤمن بمثل هذا الشفاء، حينما  
قطع منه الأمل ابرع اطبائنا مجتمعين، وقر رأيهم على ان فنهم رغم كل  
الجهود عاجز عن شفاء حالتي المرضية المستعصية. لا بد لي من ان اتخطى  
هذا الحكم واتجاوز ثقتي بهم وألجأ الى علاجك ولو كان فيه بعض المخاطرة  
ضارباً بحرصي عرض الحائط لأغفل الحكمة التي عرفت بها واقبل معالجاتي  
بهذا الدواء غير المعقول في علة أعتبرها لا تقبل الشفاء حسب تأكيد الاطباء.  
هيلانة : انا لا اريد ان افرض عليك خدماتي بل التمس بتواضع من كرمك  
الملكي ان تشملني برضاك. ويكفيني كمكافأة على اتعابي ان اقوم بواجبي  
نحو جلالتك.

الملك : لا يسعني ان امنحك اقل من ذلك، اذا لم ارد أن اكون من ناكري  
الجميل. وبما انك شئت ان تسعفتني، فاقبلي اذاً خالص شكري. انا اعرف  
جيداً مقدار احترامك اياي واعلم اي خطر اواجه بدون ان اقوى على درته.  
هيلانة : اي ضرر في تجربة ما استطيع عمله بعد إخفاق كل علاج؟ ان  
من يقوم بالاعمال العظيمة، غالباً ما يحققها باسبب السبل والوسائل. هكذا  
يرينا الكتاب المقدس مفعول حكمة الاطفال عندما يعجز الحكماء كما لو  
كانوا اولاداً قاصرين. فالأنهر الكبيرة تغذيها الينابيع والجدول الصغيرة، والبحار  
الواسعة تستقي مياهها من مجموع الانهار التي لا توازيها ضخامة. وغالباً  
ما تخطيء النبوءة الهدف وان حفلت بأجمل الوعود. وحياناً تبلغ الغاية  
رغم ضعف الآمال وانهارها الى حضيض القنوط.

الملك : علي ان لا اصغي اليك. وداعاً ايها الفتاة الأمانة. اخشى ان لا يثمر  
جهدك بالفائدة المرجوة التي يترتب علي ان اكاثلك لقاءها؟ لان العروض  
غير المقبولة لا اجر لها سوى الشكر.

هيلانة : ارجوك ان لا تضع استحقاق المرء سدى. اذ لا احد يعرف كل  
شيء مثلي انا، لاني احكم على الامور حسب ظواهرها، واطن ان الادعاء  
من طرفي لا يعادل اشتراك السماء في اعمال البشر. ارجوك يا مولاي ان  
توافق على اجراء محاولتي ولا تتكل على عملي بل على قدرة الله. انا لست

دجالة اتعاطى ما لا سبيل الى انجازه، لكي اعلم، وانا على اتم اليقين، ان  
وصفتي ليست عاجزة وان دءك غير مستعصي الشفاء.

الملك : هل انت هكذا واثقة من النتيجة؟ كم من الوقت يقضي علاجي  
حتى استرد عافيتي؟

هيلانة : بعون الله، آمل ان تغيب الشمس مرتين، وقبل ان يطفىء الناس  
مصايحهم مرتين، ان يزول من جسمك كل ما يزعجك من سقم فتعود  
اليك صحتك وتتعافى كما كنت في الماضي وتتخلص نهائياً من كل مرض.  
الملك : بماذا تضمنين فعالية عرضك هذا، وعلام تستدين في قناعتك هكذا  
ايتها الفتاة؟

هيلانة : لا على امل في غير موضعه، ولا على فضيلة وقحة تتدرع بها  
عاهرة فاجرة تغمغم اناشيد بذيفة مشبوهة.. انا اقبل، اذا اخفقت، ان يتلوث  
شرف بتوليتي، وان تنزل بي اقصى العقوبات وتختتم ايامي باشنع العذابات  
الملك : يخيل الي ان وحياً سماوياً يتكلم بلسانك واسمع نبرته المجلجلة  
بصوتك اللطيف. وأظن ان ما يرفضه العرف كأنه غير قابل التحقيق، يستبدل  
بتدبير آخر نجاحه ممكن. حياتك جوهرة ثمينة لان كل الخيرات التي يسعنا  
ان نفتيها في هذه الدنيا اراها مجتمعة في شخصك الكريم: من شباب  
وجمال وحكمة وشجاعة وفضيلة وكل المواهب السعيدة التي تؤدي الى  
الهناء في ربيع العمر. فلكي تغامرې انت بجميع هذه القيم لا بد من ان  
تعتمدي اما على علم واسع أو على يأس رهيب. ايتها الطيبة الفتاة اريد  
ان اجرب العلاج الذي تأتيني به والذي سيوديك الى المهالك اذا انا فارقت  
الحياة.

هيلانة : إن تجاوزت المهلة المحددة، وفشلت في تحقيق ما اصبو اليه،  
ليحصدني منجل الموت مصحوبة باللعنات لاني استحق هذه النهاية. وان  
لم يتم الشفاء يكون الاعدام حتماً جزائى. لكن اذا ابرأتك فبماذا تعدني؟  
الملك : اطلبي ما تشائين.

هيلانة : هل تلمي فعلاً طلبي؟

الملك : بدون اي شك. اقسام بصولجاني وبأملي في الجنة.

هيلانة : اذا ستمنحني بارادتك الملكية زوجاً خاضعاً لسلطانك، سأدلك عليه. لانني لا اجسر على التفكير باختياره من الاسرة الملكية الفرنسية. ما دام اسمي الوضيع الاصل لا ينتمي الى اي منبت رفيع الشأن. فانا اريد احد اتباعك وأجرؤ على التماسه منك نظراً الى مقدرتك على تلبية رجائي حسب وعدك.

الملك : هذه يدي تعاهدك. فاذا اتممت ما تقترحينه عليّ سأحقق رغبتك حالاً فما بقي إلا ان تعيّن الوقت. لانني قررت ان اكون المريض الخاضع لعلاجك وانا متكمل على الله وعلى مهارتك. كان علي ان اطرح عليك اسئلة اخرى. انما ثقني بك باتت لا تتطلب سوى ان اعرف من اين اتيت ومن اوصلك الى هنا. مع ذلك هذا غير هام. اهلاً بك دون اي سؤال آخر. هلموا الى مساعدتي. من يوجد هنا؟ ان كنت ايتها الفتاة بمستوى المسؤولية التي تأخذينها على عاتقك، فان مكافأتي ستعادل معروفك.  
(تصدق الموسيقى ويخرج الجميع).

## المشهد الثاني

### في قصر كونت روسيون

(تدخل الكونتيس والمهراج).

الكونتيس : هيا يا سيدي، أود أن اختبر مدى حسن تصرفك.  
المهراج : انا انصرف كرجل يتغذى مثل الاغنياء وقد تربى كالفقراء. المهم ان ادخل البلاط الملكي لان هذا من اغلى امنياتي.  
الكونتيس : الى البلاط الملكي فقط؟ وماذا تريد غيره؟ ألا تعتبر أن في الدنيا سواه. أتريد فقط أن تدخل البلاط؟  
المهراج : في الحقيقة يا سيدي. اذا من الله علي انسان ببعض المواهب

والمفاهيم، يمكنه ان يستفيد منها في البلاط بسهولة. فهناك اذا لم يعرف المرء كيف يحني رأسه ويخلع قبعته او يقبل يد سيدة او يلفظ بعض الكلمات اللائقة في حينها لا يكون لديه يد أو شفة او قبة، وفي الواقع لا يكون اهلاً لدخول اي بلاط. انما انا لذي على الدوام جواب لكل سؤال ابهر به سامعي.

**الكوتيس :** لعمري كلامك هذا لا غبار عليه ويصلح جواباً على كل سؤال المهرج : هو نظير مقعد الحلاق، على قياس جميع المؤخرات العريضة فيها والمستديرة والمربعة والمحدودية، اجل على قياس جميع الناس.

**الكوتيس :** هل حقاً جوابك يصلح كردّ على كل الاسئلة؟  
**المهرج :** نظير البندقية في يد الجندي، الدينار في يد المرابي، وخاتم الخطوبة في يد العاشق الولهان، وكأس الخمرة في يد المدمن على الشرب، والعاهرة الفاجرة بين ذراعي فاسق متهتك، وشفتي الخادمة الحسنة على ثغر سيدها الشاب الايق، وبكلمة نظير الطعام الشهوي امام الجائع الشره.

**الكوتيس :** نعم، نعم. تفسيراتك تنطبق على جميع الاستفهامات.  
**المهرج :** من الدوق الى ايسط حارس، ثلاثم كل الاشخاص وجميع الحالات.  
**الكوتيس :** لا بد من ان يكون جوابك هائلاً ليناسب كل الأسئلة.

**المهرج :** هذه حقيقة اكيدة في نظر العالم الذي يدرك ويقدر الامر واضح جلي. ما عليك الا ان تسألني وعلي انا ان اجيب. فانا خبير ولساني زلق لا يعيه اي موضوع.

**الكوتيس :** كم اود ان ارجع الى صباي لو استطعت اليه سيلاً. لا بد من ان يكون طلبي غريباً. انما جوابك يرضي عليه. بعض القبول. بالله عليك اجبني، هل انت حقاً خبير.

**المهرج :** لعمري هذا سؤال وجيه اطرحي علي الف سؤال ايضاً وانا مستعد للإجابة عليها كلها.

**الكوتيس :** انا يا صاحبي، صديقة مخلصة واعطف عليك.

**المهرج :** يا الهي يا الهي. كفى كفى، لا تخرجي نفسك.

الكوتيس : اعتقد يا سيدي بانك غير قادر على الاكل من هذا الطعام الدسم العسير الهضم على معدتك.

المهرج : يا الهي! جرييني يا سيدتي، ولا تترددي.

الكوتيس : لقد ذقت طعم السوط منذ برهة يا صاح، على ما اظن.

المهرج : يا الهي، يا الهي! قلت لك، لا تترددي.

الكوتيس : تقول، يا الهي، لا تترددي، عندما اكلتك عن السياط التي نزلت على جسمك كالبرد. في الحقيقة هذا امتحان ناجح. هل ترد بمثل هذه الجرأة عندما تتلقى الضربات.

المهرج : لا، ابدأ. لأن أمني بالله غير محدود. اعتقد بان الامور تخدم طويلاً لكن ليس دائماً.

الكوتيس : وقتي ضيق في الحقيقة ولا يسعني ان اطيل مزاحي هكذا مع مهورس مثلك.

المهرج : يا الهي. ها هي تشد الوثاق.

الكوتيس : كفى يا هذا. اذهب الآن الى عملك. (تعطيه ورقة) وسلم هذه الى هيلانة واستعجلها في الجواب حالاً. اوصي اهلي وولدي بها ولا تبال.

المهرج : توصية حارة، يا سيدتي.

الكوتيس : هذه مهمة صعبة عليك. هل تفهمني؟

المهرج : لكنها مثمرة كثيراً وسأقوم بها فوراً.

الكوتيس : عد سريعاً.

(يخرج كل منهما من جهة مخالفة).

### المشهد الثالث

في القصر الملكي بباريس وسط قاعة العرش

(يدخل برتران ولافو وبارول)

لافو : يقال ان عصر المعجزات ولى، ولدنيا فلاسفة يؤكدون ببساطة اموراً خارقة الطبيعة لا تقبل التأويل. وهذا ما يجعلنا نعتبر اعجب القضايا كمواضيع صيانية حين نلجأ الى ادعاء العلم بدلاً من ان نفر بجهلها المرعب.  
بارول : اجل هذه اندر اعجوبة تحدث في عصرنا الحاضر.

برتران : هذا صحيح.

لافو : بعد ان هجرنا اهل الفن.

بارول : هذا ما اقوله عن اشهر العلماء نظير كاليان وبارلساز.

لافو : مع انهم من اشهر العلماء واجدرهم.

بارول : هذا تماماً ما اقوله انا ايضاً.

لافو : ومن قال خلاف ما ذكرت.

بارول : اجل هذا ما اؤكدك بالذات.

لافو : لكن هذا يبعث على اليأس.

بارول : بالضبط كما اريد ان اقول.

لافو : اعني ان هذا جديد في الكون.

بارول : طبعاً اذا اردت برهاناً على ذلك ما عليك إلا ان تقرأه في... بربك

ما اسم هذا الكتاب؟

لافو : « شرح القوة السماوية على سطح الكرة الأرضية ».

بارول : هذا بالضبط ما اعنيه.

لافو : لعمرى، ولىّ العهد نفسه ليس انشط من ناحية...

بارول : امر غريب جداً. الكلمة وجيزة، لكن علينا ان نعود اليها على الدوام.

وليس سوى العقول الفاسدة لا تعترف بأن...

لافو : حتى سلطة السماء ذاتها.

بارول : اجل هذا ما اقوله.

لافو : وفي أسوأ الاحتمالات...

بارول : آخر المسؤولين يظهر رغبة سامية متزايدة بان علينا، فوق قدرة الملك ان...

لافو : نعلن اعترافاً شاملاً.

بارول : هذا بالضبط ما كنت انوي قوله. كلماتك جواهر ثمينة. ها هوذا الملك.

(يدخل الملك ومعه هيلانة وبعض الخدم)

لافو : مهما كنت منناً، اقسام بشرفي باني أحب الصبايا بحرارة ومودة طالما في فمي اسنان. لكن الا يجوز ان يراقص غيري؟

بارول : بدمتك أليست هذه هيلانة؟

لافو : اجل هي بعينها.

الملك : ارسلوا في طلب جميع رجال العاشية (يخرج احد الخدم. لهيلانة) ايها المحسنة الكريمة اجلسي بقرب مريضك، وييدك الناعمة التي تعيد اليّ نشاطي الذي همجرتني، أوكد لك ما وعدتك به. والآن كلميني واعلميني من الذي وقع عليه اختيارك كزوج؟

(يدخل سادة عديدون ويصطفون امام العرش بينما لانو وبارول

ينسحبان الى صدر المسرح ليفسح المجال للباقيين).

الملك : ايها الفتاة الحلوة، اجيلي حول الملك انظارك الفاحصة في هؤلاء الشبان النبلاء العازبين الذين يدينون لي بالطاعة والولاء. فلي عليهم سلطة مطلقة وفضل ابوي. اختاري بحرية، لان هذا اصبح من حقلك، بينما هم لا يجوز لهم ان يرفضوا اي طلب.

هيلانة : ما احلى ان تتيح فرص الحب منح كل منكم حبية فاضلة ما عدا واحد فقط. لافو (من صدر المسرح لبارول) اتنازل عن حصاني بسرجه ولجامه، واحلق لحيتي واقلع اسناني اذا كان حظي اقل من هؤلاء الشبان. الملك : (لهيلانة) افحصهم جيداً، فجميعهم من اصل نبيل.

هيلانة : ارى، يا مولاي، ان الله ردّ لجلالتك كامل صحتك.

الجميع : اشعر بذلك، واشركه تعالى على هذه النعمة الغالية.

هيلانة : انا عذراء بسيطة، وكل ثروتي كما اعلن، هي بتوليتي. فاذا شئت يا صاحب الجلالة، انا على اتم الاستعداد للقبول بحكمك. مع ان الاحمرار عندما يعلو وجنتي يهمس في اذني: انا اصيغ خديك خجلاً ممن ستختارينه. فاذا كان نصيبك الرفض سيسود الشحوب القاتل محياك، ولن اظهر بعدئذ ابداً على وجنتيك.

الملك : هيا اختاري، واعلمي جيداً ان من يرفض حبك يرفض مودتي انا بالذات.

هيلانة : الآن يا ديانا، اهرب من هيكلك الى الحب الملكي، هذا الاله الطاغى الذي يكاد يرهق انفاسي (لاول سيد) هل انت مستعد يا سيدي ان تسمع طلبي؟  
السيد الاول : وان آتبه ايضاً.

هيلانة : اشكرك يا سيدي، لم يعد لدي ما اضيفه (تلفت الى السيد الثاني) لافو : افضل ان اجرّب حظي في اختيارها، على ان اغامر بحياتي برمى زهر اللعاب.

هيلانة : (للسيد الثاني) يا سيدي، الفخر الذي يرق في عينيك الجميلتين، حتى قبل ان اتكلم، قد اثناني عن عزمي، بما تضمه من جواب غير مشجع. اتمنى ان يرفع الحب عشرين مرة الى اعلى، تلك العاطفة المتواضعة التي تنطوي عليه امتي.

السيد الثاني : انا لا ارجو اكثر من ذلك، اذا كنت انت راضية.

هيلانة : ألمي ان تقبل رجائي، فانا التمس من الحب الكبير ان يحقق حلمي. لذا استأذّنك بالانصراف

لافو : (من صدر المسرح، لبارول) هل رفضها الجميع؟ لو كانوا ابناي لأمرت بجلدهم بالسياط، وارسلتهم الى التري الممتد ليجعل منهم خصيانا.

هيلانة : (للسيد الثالث) لا تفرح اذا تناولت يدك. انا اقدرك كثيراً ولا اريد

اذيتك. اسأل الله ان يحقق رغباتك وارجو لك عروساً افضل مني اذا شئت ان تتزوج.

لافو : (في صدر المسرح) هؤلاء الفتيان قلوبهم من جليد، اذ لم يقبل احد منهم بها. لا شك في انهم جميعاً لقطاء معقدين وليسوا اولاداً شرعيين هيلانة : (للسيد الرابع) انت صغير السن ونبيل جداً، ولا ترضى بان يكون لك ولد من لحمي ودمي.

السيد الرابع : انا لا افكر هكذا اينها الصبية الرائعة.

لافو : (يشير الى برتران) لا يزال في العنقود كم حبة عنب. اعتقد بان والد هذا الشاب كان يشرب الخمرة. واذا لم يكن الابن خماراً فانا اكون فتى في الرابعة عشرة من سني لانني اعرفه جيداً.

هيلانة : (لبرتران) لا أجرؤ على القول اني اختارك. لكنني اقبل بان اخدمك طوال عمري، واخضع لسלטتك المطلقة. هذا هو الرجل الذي اريده.

الملك : هيا ايها الفتى برتران، خذها فهي زوجتك.

برتران : زوجتي انا يا مولاي؟ التمس من جلاتك ان تأذن لي باختيار من تستلطفها عيناى.

الملك : أولاً تعرف يا برتران، عظم الخدمة الجليلة التي أسدتها اليّ هذه الصبية؟

برتران : اجل يا مولاي الكريم، انما لا اعلم لماذا يجب علي ان اقترن بها. الملك : أولاً تعرف انها ابرأتني وخلصتني من براثن آلامى المرححة، وانتشلتني من أشدق الموت.

برتران : لأنها نهضتكم من فراش المرض، يا مولاي، يتحتم عليّ ان اقع انا. اني اعرفها جيداً، لأنها تثقت على نفقة ابي. اتريد ابنة طبيب فقير أن تصبح زوجتي؟ لن اسمح لأية شقية مثلها ان تهبط بي الى مستواها. الملك : انا مستعد لان امنحها اللقب الذي يجعلها من مقامك. امر غريب ان نعتبر دماءنا مختلفة باللون والسرعة والحرارة عن غيرها وهي عند هدرها متشابهة لا تمييز فيما بينها إلا بالفوارق التي نقيمها نحن احياناً. ان كنت تأنف من الاقتران بهذه الفتاة لمجرد كونها ابنة طبيب فقير، فانت مخطيء

اذ ترددي بالفضيلة، التي تحليها بسبب اسم غير عريق. لا تصرف هكذا. فعندما تكون الاعمال مشكورة وان جاءت من مستوى متواضع، ترفع صاحبها الى اعلى المراتب. لان الخصال الحميدة تعلني شأن من اتصف بها. والخير يكرم دوماً صاحبه كائناً من كان، كما ان الشر يذل فاعله وان كان من أنبل النبلاء. هي صيبة عاقلة وجميلة. وهذا ما اورثته اياها الطبيعة ويعتبر خير حلية وشرف لها. انما لا يحتفظ إلا برواسب الشرف والاخلاق ومن يدعي بانه سليل المجد ولا يشبه اباه الكريم فالنيل منه براء. اعمالنا هي التي تصنعنا لا امجاد اجدادنا. اما لفظة شرف فهي كلمة لا يتم معناها إلا اذا نحن برهناً على استحقاقنا مدلولها. هي شارة كاذبة نجدها على أضرحة الكثيرين ممن خدعوا البشر بمظاهرمهم، وهم غير اهل لان تضم رفاتهم حفنة التراب الذي جيلوا منه. ماذا اقول لك؟ اذا كانت العفة تعجبك في هذه العذراء فانا قادر على جعلها تليق بك لأن فضيلتها وشخصيتها اكبر باثنتي تأتيك بها. ما دامت الالقاب والثروات عرضة لعوادي الزمان. هذا ما اقدمه لك وألح عليك بان تقبل به.

بورتران : لا يسعني ان احبها. ولست مستعداً لبذل اي مجهود في هذا السبيل.  
الملك : انا واثق بانك ستندم اذا لم توافق على تلبية طلبي.  
هيلانة : يكفيني يا مولاي ان اكون سعيدة بشفائك، ولا اريد ان أفكر بغير ذلك.

الملك : أصبحت هيبتي في الميدان، ولكي انقذها علي ان اسعى بكل قواي لتلبية رغبتك. هيا خذي يدها ايها الفتى المستهتر بمثل هذه المواهب النادرة. انت تتجاسر على احتقار عظمي بوقاحة ولا تقيم وزناً لنصيحتي التزيهية. انت تتجاهل اني عندما اضع ثقلني في كفة الميزان تخف امجاد اسرتك كثيراً حيال ما انوي ان اخلعه عليها من تقدير وهبات، وما اتحف به عرسها من رفعة وجاه. فاضغط على تشامخك وازدراثك وأخضع ارادتك لمشيتي التي لا تبغي سوى غمرك بالخير والبركة. لا تصغ الي غرور كبرياتك بل انظر الي مصلحتك وما يملبه عليك واجبك في خدمة سلطنتي الواسعة، وإلا حجت عنك رعابتي وعرضت مستقبلك وشبابك لمساوىء انت في غنى

عنها، تزجك فيها قلة خبرتك في الحياة وعمامة بصيرتك الحمقاء. لان غضبي سيحرمك من عدلي ومن عطفي. هيا تكلم وقل لي حلالاً ما هو قرارك النهائي؟

بوتران : اعذرني يا مولاي، لا يمكنني إلا ان ازعن لوجهة نظرك. لاني اعرف مدى الشرف والاكرام الذي تستطيع ان تحوله عني اذا خرجت عن طاعتك يا صاحب الجلالة. فان نبل محتدي يأبى عليّ ان اتفياً بكنف رعابتك وحمابتك.

الملك : تناول يدها اذاً، واعلن لها قبولك بها زوجة. وانا اعدّها بثروة ولقب بمستوى مرتبتك.

بوتران : ها انا امثل وآخذ يدها.

الملك : ما اسعدك لانك قدّرت اخيراً ما اريده انا مليكك لك من الجاه والرفعة. هذا العهد الذي ولد الآن سأكرسه هذه الليلة في حفلة فاخرة. اما وليمة العرس فتقام حين يحضر الغائبون من الاهل. فان احببتها برهنت على انك فعلاً توقرنى وتودّتي، والا اعتبرت ذلك منك استهتاراً وتمرداً مبطناً ونفاقاً بفيضاً.

(يخرج الملك وبوتران وهيلانة والسادة والخدم).

لافو : (لبارول) اسمع يا سيدي هذه الكلمة.

بارول : ماذا تريد يا سيدي.

لافو : حسناً فعل مولاك بانسحابه.

بارول : انسحاب مولاي؟

لافو : أجل هل أتحدث بلغة غير مفهومة؟

بارول : بل بلغة قاسية لا يمكن سماعه بدون اراقة الدماء. تقول مولاي؟

لافو : وهل انت تساوي كونت روسيون؟

بارول : عن اي كونت تتكلم؟ عن جميع الكونتات؟ عن اي رجل كان؟

لافو : عن اي شخص لقيه كونت. وهل رفيق الكونت من طينة اخرى.

بارول : انت متقدم في السن يا سيدي، وهذا يكفي لتصنيف أقوالك.

لافو : أؤكد لك ايها المخادع، اني ملقب برجل وهذا لن تحصل عليه  
مهما تقدمت انت في العمر.

بارول : ان لم اجرؤ على عمل اي شيء عفواً، لن افعله ابداً.

لافو : اثناء لقائي بك على المائدة مرتين ظننت انك فتى عاقل. وقد رتبت  
تفاصيل رحلتك بجدارة مشكورة حملتني على اعتبار سفيتك من الوزن الثقيل.  
والآن اهتديت اليك. فاذا فقدتك يعز علي الامر لأنك تميل الي الشجاعة  
وعليك ان تعيد الكرة في اية لحظة ولن يأسف احد على غيابك.

بارول : ولو لم تكن في نظري من ذوي الصفات الحميدة القديمة.

لافو : لا تستسلم الي الغضب لئلا تجرفك اهاوؤك، وتصبح مثل دجاجة  
مبلولة... اياك ان تستسلم ايضاً الي الحسد والغدر. وداعاً. انا لست بحاجة  
لان افصح لك قلبي على مصراعيه. فانا ارى... اعطني يدك.

بارول : كلامي في محله، انت تستحق اكثر من ذلك. انا لم افعل ما يستوجب  
تأنيبك يا سيدي.

لافو : اجل وستشرب ما اصبه عليك من لوم حتى الثمالة. لاني غير مستعد  
للراجع قيد شعرة عن موقعي.

بارول : هذا درس قاس لي.

لافو : استفد منه اذا. وان شئت ان تحكّم عقلك، امامك طريق وعر طويل  
عليك ان تجتازه. اما ان شاهدت نفسك يوماً مغلوباً على امرك فيجب  
ان تعلم ان عنادك أوصلك الي هذا المأزق. اود ان اعرفك معرفة اوفى  
وان ادرس طباعك بصورة افضل كي يتسنى لي ان اقول عند الحاجة: « هذا  
رجل اعرف بواطنه كما يجب ».

بارول : انت تغيظني بطريقة غير مباشرة.

لافو : كنت اود ان يكون عذاب الجحيم من نصيبك وان افرضه عليك  
الي الابد. لكن لم يعد لي من قوة، لذا اتركك بما تسمح لي شيخوختي  
من السرعة.

(يخرج)

بارول : انت لك ولد يعكس عنك هذه الالهانة الوقحة ايها العجوز المستهتر.

إصبر قليلاً إذ لا سبيل إلى تحقير الأشخاص الممنين. اقم بحياتي باني  
سأؤنبه حالما اصادفه في اول فرصة مهما كان مقامه رفيعاً، ولن ارحم  
شيخوخته. اجل سأؤبىه حالما اصادفه.

(بدخل لاثو).

لافو : يا محتال، سيدك قد تزوج واصبح لك سيدة جديدة، فهل بلغك  
هذا النبأ ام لا؟

بارول : التمس من سيادتك ان تجنبي هذه الامانة. فالكونت هو سيدي  
الصغير العزيز، ومولاي الكبير هو الذي اخدمه هناك في العلاء.

لافو : من تقصد؟ الله سبحانه وتعالى؟

بارول : اجل، يا سيدي.

لافو : استغفر ربك بل سيدك هو الشيطان بعينه. لماذا تشبك ذراعيك هكذا  
على صدرك؟ هل يفعل احد من الخدم هكذا؟ عليك ان تحشر قسمك  
الكاذب حيث يوجد أنفك. بشرفي، لو كنت اصغر سناً لما تأخرت عن  
ضربك. يخيل لي ان وجودك هنا فضيحة سافلة، على كل الناس ان يردلوها.  
واعتقد بأنك خلقت لتكون اضحوكة الجميع.

بارول : هذه المعاملة قاسية جداً ولا استحقها يا مولاي.

لافو : ما هذا الكلام؟ لقد كان نصيبك الضرب في ايطاليا لانك اختلعت  
رمانة. انت متشرد ولست مسافراً شريفاً. انت ترافق السادة وصفوة الناس  
الكرمء الذين لا تساويهم في المقام، لذلك تستحق كل كلمة لوم وعتاب  
وتستوجب اعتبارك دجالاً. ها انا اغادرك

(يخرج)

(بدخل برتران)

بارول : جيد جداً. هكذا تسير الامور على ما يرام. دعنا نتغافل عن المسألة  
بعض الوقت.

برتران : هل حكم عليّ بحمل الهموم الى الابد؟

بارول : ماذا دهاك يا عزيزي؟

بوتران : مهما اقسمت من ايمان في هذه الساعة امام الجميع، لن اقبلها كزوجة.

بارول : ماذا تقول، يا صديقي.

بوتران : لقد زفوني قسراً يا عزيزي بارول. انا ذاهب الى الحرب في توسكانا، ولن اقبل بها مطلقاً كزوجة.

بارول : اني لا احبّد بقاءك في فرنسا التي لا تمتحق التضحية هيا الى الحرب. بوتران : هذه رسائل من والدتي ولا ادري ما هو مضمونها. لانني لم اقرأها بعد. بارول : يجمل بك ان تطلع عليها. هيا الى الحرب، يا ولدي. من يبقى في بيته ليعانق زوجته الشرعية ويصرف بين ذراعيها نسخ رجولته بدلاً من ان يساند ابطال الحرب الشجعان يدفن شرفه في التبن. وفي معظم انحاء فرنسا نعيش كالبهائم كما لو كنا في اسطبل. اوليس الأولى بنا اذاً ان نمضي الى الحرب؟

بوتران : اجل، هذا واجب. سأرسل زوجتي المزعومة الى بيتنا وسأنتيء امي بكرهي لهذه الفتاة التي تسببت في هربي. سأكتب الى الملك ما لم اجرؤ على مصارحته به لان هذه الهبة التي قدمها لي ستحملني على الالتحاق بحملة ايطاليا لمحاربة العديد من النبلاء. اذ بت ارى في الحرب هدوءاً لا يقاس بما تثيره داخل بيتي هذه المرأة البغيضة من قلق واضطراب.

بارول : هل سيدوم هوسك هذا؟ هل انت واثق مما تقول؟

بوتران : تعال معي الى غرفتي لتزويدي بنصائحك. اريد أن ارسلها في الحال. وغداً نذهب، انا الى الحرب، وانت الى عزلتك الكئيبة.

بارول : هذه فكرة رائعة اقدرها كثيراً. فهي نظير الموسيقى الشجية، وقمها ساحر وعميق الاثر. الشاب المتزوج لا يسهه ان يكون إلا رجلاً تيمساً تنخر الحسرة قلبه. فالى الامام اذاً. سأتحلى عنه بشجاعة، هيا. الملك اغاظلك بهذا التصرف ولا حيلة لك ازاءه سوى الصمت اذ لا سبيل الى تغيير حرف من هذا الحال.

(بخرجان)

## المشهد الرابع في مكان آخر من القصر.

(تدخل هيلانة وهي يدعا رسالة ثم يدخل المهرج)

هيلانة : والدتي تخاطبني بحنان. ارجو ان تكون بخير.  
المهرج : هي ليست على ما يرام. انما صحتها جيدة. وهي مسرورة انما  
ليست سعيدة كما قلت. هي بالف خير ولا ينقصها شيء في الدنيا. لكنها  
مع ذلك ليست على ما يرام.

هيلانة : ان كانت بالف خير، فماذا يحول دون ان تكون سعيدة؟  
المهرج : في الحقيقة هي بالف خير ولا ينقصها سوى امرين.  
هيلانة : الاول انها ليست بالجنة حيث يشاء الله ان يسكنها قريباً، والآخر  
انها لا تزال على الارض حيث يريد الله ان يقيها لينقلها الى جواره عما قريب.  
(يدخل بارول)

بارول : حلت عليك البركة، يا سيدتي الطيبة القلب.  
هيلانة : انا واثقة يا سيدي بانك تمنى لي كل خير وهناء.  
بارول : اتمنى حقاً ان تزيد افراحك وتدوم الى ما شاء الله (للمهرج) أهذا  
انت يا مغفل؟ كيف حال سيدتي العجوز؟  
المهرج : آمل ان ترسم تجاعيد وجهها على محياك، وان انال انا دراهمها  
كما أشتهي.

بارول : انا لم انبس بينت شفة.  
المهرج : لمعري، انت لست اعقل مما اظن، لان لسان المرء غالباً ما يرمي  
بصاحبه في المهالك. يجمل بك ان لا تلفظ حرفاً ولا تأتي عملاً ولا  
تعرف شيئاً ولا تملك درهماً، حيثذ بصفاتك المذكورة لن تساوي شروى  
نقير.

بارول : الى الورا، ايها المحتال الدجال.

المهرج : كان الأولى بك يا مولاي ان تقول لي اني دجال اواجه دجالاً،  
لكنك بالصواب نطقت يا مولاي.

بارول : هيا انت مجنون موتور. وقد اكتشفك على حقيقتك.  
المهرج : او لم تكتشفني في شخصك، يا مولاي؟ او لم يكلفك احد  
بالبحث عني؟ فالبحت لن يضيع سدى، واذ يوصلك الى اكتشاف جنونك  
المطبق المتغلغل الى اعماقك سيفرح جميع الناس وتتضاعف سخرياتهم  
وضحكاتهم.

بارول : انت مغفل منقطع النظر حقاً، وهوسك لا يدع مجالاً للشك، وفوق  
ذلك تريد الرحيل هذا المساء يا سيدي، لان قضية هامة تستدعيها. هناك  
واجبات جسيمة ودواعي حب لا يُقاوم تقتضي حضورها لإتمامها. وهذا  
امر لا يجهلُه احد مع ان الامتناع القسري يضطرها الى التأجيل، فصبراً.  
في هذه الاثناء لا بد من ان تجتمع العناصر الفعالة لمعالجة الوضع بنقعه  
طويلاً في خلاصة التبصر وحسن التبيد لبلوغ الفرج اخيراً ونيل الارب.  
هيلانة : وماذا يريد ايضاً؟

بارول : ان تستأذني الملك حالاً بالانصراف، وان تظهرني هذا الرحيل المباغت  
كانه عمل شخصي نابع من محض ارادتك، وان تضي عليه مسحة مقنعة  
تستطيها للتذرع بها.

هيلانة : بماذا يأمر فوق ذلك؟

بارول : بعد ان تستأذني الملك بالانصراف، ان تنتظري تعليماته اللاحقة.

هيلانة : على كل حال انا رهن اشارته.

بارول : هذا ما اوصيك به

هيلانة : ارجوك. (للمهرج) تعال معي يا مغفل.

(بمخرجان)

## المشهد الخامس في مكان آخر من القصر

(يدخل لافو وبرتزان)

لافو : آمل ان لا تنظر سيادتك اليه كجندي بسيط.  
برتزان : كما تريد يا مولاي، بل كجندي عالي الهمة وافر الخبرة.  
لافو : انت تصدق ذلك استناداً الى تصريحاته.  
برتزان : والى شهادات اخرى لا سبيل الي دحضها.  
لافو : اذاً اكون مخطئاً اذا ظننت هذا الصقر نسرأ.  
برتزان : أؤكد لك يا مولاي انه رجل ذو علم واسع وكفاءة ضئيلة.  
لافو : اذاً انا مقصر بحق علمه ومتجاوز بحق قيمته، وحالتي خطيرة بقدر ما يرشقه به ضميره من توبيخ. ها هوذا آت. ارجوك ان تصالحنا لاني أروم صداقته.

(يدخل بارول).

بارول : (لبرتزان بصوت خافت) سيتم كل شيء كما يجب.  
لافو : هل يمكنك ان تعلمني يا سيدي، من هو خياطك؟  
بارول : ماذا قلت، يا سيدي؟  
لافو : انا اعرفه جيداً. اجل يا سيدي. هو بالطبع عامل ماهر وخياط بارع.  
برتزان : (لبارول بصوت خافت) هل ابصرت الملك؟  
بارول : نعم.

برتزان : هل هي راحلة هذا المساء؟

بارول : كما تشاء سيادتك.

برتزان : كتبت رسائلي واقفلت بالمفتاح على ما لدي من اشياء ثمينه، وأصدرت اوامري لاعداد الجياد. وهذا المساء حين احصل على العروس انهى المسألة قبل ان ابدأ...

لافو : هذا ما يفعله المسافر الشريف عند تأهبه للرحيل. انما من يكون  
ثلاثاً قصته كذباً ويذكر حقيقة معروفة لتمرير الف عبارة نافهة، هذا يستحق  
ان يُسمع كلامه مرة وان يُضرب ثلاث مرات بسبب ثقافته نفاقه. (لبارول  
حفظك الله ايها القائد الهام).

برتران : (لبارول) هل من نفور بينك وبين هذا السيد، يا مولاي.  
بارول : لست ادري ماذا يتحتم علي ان افعل لانال الحظوة في عيني هذا  
السيد.

لافو : لقد توصلت الى امتلاك قلبه بخبرتك وهمتك نظير سمر الملك الذي  
زلت قدمه وسقط في صحن الحلوى. فانصحك ان تهرول مسرعاً لكي  
لا يسألك كيف وقعت فيه.

برتران : (للافو) ربما لم تقدره حق قدره، يا مولاي.  
لافو : هذا ما يحدث لي دائماً عندما افاجئه وهو يصلي. الوداع يا سيدي.  
صدقتي، ليس في هذه القشرة الرقيقة من لوزة. ان شخصية هذا الرجل  
في ثيابه، فلا تتكل عليه في اية عملية خطيرة النتائج. ولقد جربت سواه  
وعرفت مقدار طبعه. (لبارول) الوداع، يا سيدي، تكلمت عنك بأفضل مما  
تستحق الآن وفي المستقبل. لا بد لنا من ان نقابل الشر بالخير.

(يخرج)

بارول : اقم لك ان عقل هذا السيد غير مكتمل.

برتران : على ما اظن.

بارول : كيف تقول هذا؟ ألا تعرفه؟

برتران : اجل اعرفه جيداً. وهو حائز على رضى الجميع. ها هي السلسلة  
التي تقيدني.

(تدخل ميلانة)

ميلانة : كما اوصيتي يا سيدي كلمت الملك، وحصلت على اذنه بالرحيل  
فوراً. انما هو يريد محادثتك.

برتران : انا طوع بنانه. يجب عليك يا ميلانة ان لا تستغربي سلوكي الذي  
يدو لك بعيداً عن ظروفني وكما تقتضيه مهمني والعمل المقدس المفروض

عليّ. انا لم اكن مهياً لمثل هذا الحدث الهام. لذا ترينني هكذا مضطرباً، لان المسألة تدعوني الى ان ارجوك للعودة حالاً الى مقرك. فأوجدني لنفسك قبل غيرك حجة هذا الالتماس. لان عذري لا يبدو اولي مما هو في الواقع. والامور التي تستدعيني هي أعجل مما تظهر لأول وهلة لا سيما لك انت التي تعرفينها (يسلمها ورقة) هذه لوالدتي. سيمضي يومان قبل ان اشاهدك من جديد، لذا اتركك تتصرفين بحكمتك.

هيلانة : كل ما يسعني هو اني خادمتك الامينة التي تكنّ لك كل احترام.  
بوتران : هيا، هيا. كفي عن هذا التجيل  
هيلانة : لن انقطع عن سد الفراغ بينما انا لا احد يسعفني وقد خانني الحظ ولم أعد قادرة على مواصلة السعي.

بوتران : اتركي هذا. فانا مستعجل جداً. الى اللقاء. إمضي سريعاً.  
هيلانة : ارجوك يا مولاي ان تعذرني.

بوتران : ماذا ترين ان تقولي.

هيلانة : انا لا استحق الكنز الذي حصلت عليه، ولا اجرؤ على القول هذا لي مع انه في الواقع يخصني. وانا مستعدة لان أخطف حياءً وبملء الرضى، ما جعله القانون من نصيبي.

بوتران : ماذا تقصدين؟

هيلانة : امراً ما، بل بالأحرى لا شيء في الحقيقة. لا اريد ان اعلمك يا سيدي بما تصبو نفسي اليه. انما الغرباء والاعداء وحدهم يفترون ببلون ان يتعاقوا.

بوتران : لا تتأخري. ارجوك ان تعجّلي في الرحيل. هيا الى حصانك. اسرعي.  
هيلانة : لن اخالف امرك ابداً يا مولاي الكريم.

بوتران : (لبارول) اين سائر رجالي يا سيدي؟ (لهيلانة) الوداع (تخرج هيلانة) اذهبي. هيا عودي الى بيتي. اما انا فلن ارجع اليه ابداً طالما استطعت ان اشهر سيفي او اسمع قرع طبلتي. الى الامام، الى الهرب.

بارول : تشجع. عافاك المولى

(مخرجان)

## الفصل الثالث

### المشهد الاول

في فلورنسا داخل قصر الدوق.

(تصاح الموسيقى. يدخل دوق فلورنسا مع حاشيته ثم اثنان من السادة الفرنسيين وعدد من المراقبين).

الدوق : هكذا سمعت الآن نقطة فنقطة اسباب هذه الحرب الاساسية في مختلف مناقشاتنا وقد أسالت ولا تزال تسيل نهراً من الدماء.  
السيد الاول : هذه الحرب تبدو لسيادتك ظالمة وفتاكة يشنها العدو علينا بضراوة.

الدوق : لذلك انا مدهوش جداً ان يوصد ابن عمنا ملك فرنسا قلبه دون اغائتنا في قضيتنا هذه العادلة.

السيد الثاني : يا مولاي الكريم، لا يسعني ان اعين المعطيات البديثة كرجل غير مطلع على ما يستدعي النصائح الضرورية في مثل هذه الاحوال الغامضة. انا لا استطيع ان اصارحك بما يجول في فكري، لاني وجدت نفسي في هذا المأزق الغارق في الفوضى وقد خابت جميع آمالي.

الدوق : دعوا الملك يتصرف على هواه.

السيد الثاني : لكنني واثق بان نخبة من شبابنا الذين ضايقهم الجمود سيتوصلون يوماً الى العثور هنا على الدواء اللازم لمعالجة هذا الوضع المتردي.

الدوق : اهلاً بهم وسأحيطهم بكل الاكرام الذي يمكنني ان اخصهم به.  
انتم تعرفون مراكزكم. وحالما يسقط بعض القادة المتقدمون ستستفيدون  
انتم في شغل مواقعهم. فألى الغد، ايها الشجعان، في السهل ملتقى البطولة  
والانتصار.

(تصدح المرسبي وبخروجون).

## المشهد الثاني

### في قصر كونت روسيون

(تدخل الكونتيس والمهرج).

الكونتيس : كل شيء تمّ كما اريد، ما عدا مجيئه معها الي هنا.

المهرج : بشرفي، ارى سيدي الشاب هذه الايام شديد الكآبة.

الكونتيس : ارجوك ان تفسّر لي كيف عرفت ذلك؟

المهرج : مثلاً، هو ينظر الي حذائه ويدمدم، ويحكّم سترته ويدمدم، يطرح  
سؤالاً ثم يدمدم، ينظف اسنانه ويدمدم. وانا اعرف رجلاً بهذا المزاج الغريب  
باع قصره الرائع لقاء اغنية.

الكونتيس : (تفتح الورقة المطوية) لنتظر ماذا يكتب لي ومتى يريد ان يأتي إلينا.

المهرج : انا لم اعد اميل الي ايزابو منذ ان جئت الي هنا. لان جماعتنا  
وايزابو في الريف لا يوازنون جماعتكم في البلاط. وإله الحب في نظري  
قد فقد عقله، فبدأت اهوى بدون حماس نظير رجل عجوز يتضاعف تعلقه  
بالمال.

الكونتيس : ماذا ارى هنا؟

المهرج : ما تقع عليه عيناك.

(يخرج)

الكوتيس : (تقرأ) « أرسل لك كثة أنقذت حياة الملك وأتلقت حياتي. تزوجتها لكنني لم امتلكها، وأقسمت على ان لا اقدم على ذلك ما دمت حياً. سترين بانني هربت. لذا افضل ان اطلعت انا بنفسي على الامر قبل ان ينقله الناس اليك ما يحلو لهم. واذا كانت الدنيا واسعة كما يقال سأترك مسافة شاسعة بيني وبينها.

بكل محبة واحترام، ولدك التemis »

برتران

لقد اخطأت ايها الطائش بفرارك من افضال الملك الكريم، وبجلب غضبه على رأسك، وبكره فتاة فضيلة كسبت احتقار الامبراطور.

(بدخل المهرج)

المهرج : يا سيدتي، بأي نأ حزين أتتنا سيدتي الصبية والفارسان اللذان رافقاها؟

الكوتيس : ما الخير؟

المهرج : على كل حال، لا يخلو النأ من تعزية، فابنك لن يُقتل على ما اعتقد. الكوتيس : وماذا ينقذه من القتل يا ترى؟

المهرج : لن يُقتل يا سيدتي، اذا ظل هارباً كما علمت. فهكذا لن يعرض نفسه لخطر الحرب على اثر تبعر صفوف المقاتلين، على كل الحال سيهلك عدد كبير من الرجال، وهكذا لن تتم ولادات كثيرة. ها هم بعض القادمين، قد اتوا ليخبروك بما ترغين من التفاصيل. ان من جهتي، اعلم فقط ان ولدك قد هرب.

(يخرج)

(تدخل هيلانة ووجهان)

الوجه الاول : (للكوتيس) حفظك الله يا سيدتي.

هيلانة : يبدو، يا سيدتي، ان مولاي ذهب نهائياً.

الوجه الثاني : لا تقولي ذلك.

الكوتيس : اعتصمي بالصبر. عذرا يا سادة. واجهت مراراً تعاقب الافراح

والاتراح حتى لم تعد هذه ولا تلك تفزعني لأول وهلة. ارجوك ان تقول لي اين ولدي؟

الوجه الثاني : مضى يا سيدتي ليخدم دوق فلورنسا. وقد صادفاه في الطريق. نحن آتون من تلك الجهات، وبعد تسليم بعض رسائل عاجلة لرجال البلاط سنعود بدون تأخير.

هيلانة : ألقى نظرة على هذه الرسالة، يا سيدتي. (تقرأ) « عندما تستلمين الخاتم الذي اضعه في اصبعي والذي لن يفارقه ابداً، وعندما تُريني ولداً انجبته من احشائك واكون انا اباه، حينئذ يمكنك ان تعتبرني زوجك. لكن حتى ذلك الحين لن اكون رجلك ابداً ». هذا حكم رهيب جائر.

الكوتيس : هل جئت بهذه الرسالة، يا سيدتي، من قبل ولدي؟  
الوجه الاول : نعم يا سيدتي، ونظراً الى مضمونها العجيب، آسف على ما تجشمته من مصاعب في سيلها.

الكوتيس : ارجوك يا هيلانة العزيزة ان تشجعي، لانك باحتكارك جميع الآلام لنفسك تحرمينني من نصفها. لقد كان ابني، لكنني انكرت الآن انتمائه اليّ. فانت من الآن وصاعداً ابتي الوحيدة. اظن انه ذهب الى فلورنسا!

الوجه الثاني : نعم يا سيدتي.  
الكوتيس : لينخرط في سلك الجندية.  
الوجه الثاني : صدقيني، هذه رغبته السامية، وسيحيطه الدوق بكل الاحرام الذي يستحقه مستواه.

الكوتيس : هل انتما راجعان الى هناك؟  
الوجه الاول : اجل يا سيدتي، على جناح العجلة في اول عربة سريعة.  
هيلانة : (تقرأ) « الى ان لا يعود لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا اي شيء »  
هذا قول في غاية المرارة.

الكوتيس : هل هذا مذكور في الرسالة؟  
هيلانة : نعم يا سيدتي.

الوجه الاول : هذه ليست سوى فورة غضب لن يطاوعه قلبه على استمرارها.  
الكوتيس : يقول: ان فرنسا لن تعني له شيئاً الى ان لا يبقى له زوجة.

ان كان في الدنيا مخلوق افضل من ابني، فهي حتماً هذه الصبية الممتازة التي تستحق زوجاً يخدمه عشرون احمق مثل ولدي، ويحبونها في كل حين كسيدتهم الكريمة. من كان برفقته عندما رأيته؟  
الوجه الاول : خادم فقط ووجه عرفته فيما مضى.  
الكونتيس : هو حتماً السيد بارول، اليس كذلك؟  
الوجه الاول : اجل يا سيدتي، هو نفسه.  
الكونتيس : وهو شخص غبي سافل، يورط ابني في حماقات لا شأن له فيها.  
الوجه الاول : بالفعل يا سيدتي الجليلة، هذا الفتى غارق في القبايح والمعاصي وينحتم عليه ان يقلع عن صحبته.  
الكونتيس : اهلاً بكما، يا سيدي. ارجوك عندما تقابل ولدي ان تعلمه بان السيف لا يسترد الشرف المفقود. وعلاوة على ذلك، ارجوك ايضاً ان تسلمه الرسالة التي ساعطيك اياها.  
الوجه الثاني : نحن رهن اشارتك في هذ المهمة يا سيدتي، وفي كل مهمة تكلفتنا بها في سبيل قضية جديدة مثلها.  
الكونتيس : اشكر لطفكما، وارجو ان ارد لكما هذه الخدمة الكبيرة. هل تريدان ان ترافقاني؟

(تخرج الكونتيس ويهما الوجهان)

هيلانة : (وحدها) « الى ان لا يبقى لي من زوجة، لن تعني لي فرنسا اي شيء ». فرنسا لن تعني له اي شيء الى ان لا يبقى له من زوجة. لن تبقى لك زوجة يا روسيون في فرنسا. فاستردّ اذاً جميع حقوقك. لاني طردتك من بلدك وعرضتكَ لمخاطر حرب لا هوادة فيها، لاني اُبعدتكَ عن مرح البلاط حيث كنت قبلة انظار احلى العيون لتصبح هدف السيوف القذرة. ايها الرصاص الاعمي الطائر بعنف على اجنحة اللهب ضلّ طريقك ووضِع في الفضاء. اغلق وراءك الهواء الذي يشقه ازيرك بدون انقطاع ولا تسمّ سيدي بسوء. الرجل الذي سيطلق عليه النار، انا عينته للتربص به، والرجل الذي سيصوب سلاحه الى صدره المقامر، انا الحقيرة حرضته على

ذلك. واذا لم أتسبب في قتله اكون قد عجلت موته. فالولى بي ان اتعرض  
للأسد المفترس حين يزأر تحت وطأة الجوع كي يمزقني بانابه لاني استحق  
جميع مصائب العالم دفعة واحدة. لا، لا يجب ان تعود الى بيتك يا روسيون.  
غادرة هذه الحرب حيث الجرح يمكن ان يقضي على اي انسان. اريد  
ان أرحل، لان حضوري هنا يبعدك عن اهلك. وهل يسعني ان امكث؟  
كلا ثم كلا؛ عندما يهب الريح على هذا البيت آتياً. من الفردوس، عندما  
تسعنا الملائكة اريد ان ارحل، لتوصل اليك النسمة الكيية نبأ هربي وتعزي  
قلبك الحزين. اقترب ايها الليل، وغب ايها النهار لاني اود ان انسل ملتفة  
بأساي كالسارقة واختفي في أحلك الظلمات الفاحمة.

(نخرج)

### المشهد الثالث

#### في معسكر امام فلورنسا

(تصاح الموسيقى. يدخل دوق فلورنسا وبرتران وسادة وضباط وجنود وغيرهم).

الدوق : (لبرتران) انت قائد فرساننا، وركن هام يدعم آماننا، ونحن مستعدون  
لتلبية وعود طالعك الميمون.  
برتران : هذا عبء ثقل على كاهلي، على كل حال، نسعى لمساندتك  
في امجادك حتى النفس الاخير.  
الدوق : الى الامام اذاً. وكل املي ان يحالف الحظ سيوفنا ويقودنا الى  
النصر المجيد. إلبث في مستوى افكاري، وسترى في صديق محبيك وعدو  
مبغضيك.

## المشهد الرابع

### في قصر كونت روسيون

(تدخل الكونتيس ووكيل الصرف).

الكونتيس : يا للأسف، لماذا تعهدت بإبصال هذه الرسالة اليّ؟ ألم تتوقع ما اسفر عنه محتواها؟ وهي ما كتبت الا لهذه الغاية. اعد قراءتها.  
وكيل الصرف : انا ذاهبة لزيارة احد المعابد، لان ولعاً جسوراً قد مهّد لي ارتكاب خطأ جسيم يدعوني الى التكفير عنه بسيري حافية القدمين على الأرض الباردة. اكتبني اليّ حتى عندما يترك ابنك مهنة حمل السلاح، ويعود اليك سيداً عزيزاً بأقرب وقت. أمني له السعادة تحت سقف بيتك وفي كنف رعايتك: بينما انا في بعدي عنه اقدس اسمه بخشوع وهيام. اطلبي منه ان يسامحتني على ما سببته له من متاعب. فقد قررت الانسحاب نهائياً من حياته مهما واجهت من مخاطر وتحملت من عذاب. هو طيب القلب وانا لاجل تحريره من ارتباطه بي بوثاق الزواج، لن احجم عن الارتماء في احضان الموت .

الكونتيس : كم من الألم والشفاء يكمن في هذا التصريح المتصاعد من قلب جريح. انت يا بني لم تظهر في حياتك قلة تفكير إلا عندما حملتها على الرحيل هكذا. لو كنت تحدثت اليها لاقتعتها بالعلول عن مشروعها الاليم لكنها لم تترك لي مجالاً لابقائها عندي كما اتمنى.

وكيل الصرف : اعذريني يا سيدتي، كان علي ان اسلمك رسالته قبل هبوط الليل حتى يتسنى لنا العثور عليها. لكنها كتبت ان كل محاولة تذهب سدى.  
الكونتيس : اي ملاك سيشارك هذا الزواج العاق؟ لن ينجح الا بفضل صلوات هيلانة. فأسأل الله ان يستجيب دعائها وان يسامحه على ضلاله ولا ينزل به ما يستحقه من عقاب صارم. اكتب، اكتب يا رينالدو، الى هذا الزوج الغبي الذي لا يستحق هذه المرأة المثالية، ويبيّن له ان ما قاله بحقها سخيف

غير معقول، وانه ادمى فؤادي بتصرفه الارعن. اجل، ارجوك ان تبرز، له شناعة ما اقدم اليه من طيش. عجل في تسليمه هذه الرسالة، لانه عندما يعلم برحيلها، قد يبادر الى الرجوع اليّ، وآمل ان تعود هي ايضاً حالما تدري بالامر لان حبها له عميق اصيل. ومهما كان عزيزاً عليّ، لست قادرة على عدم تقدير عواطفها في هذا المجال. ارجوك ان تعجل في ايصال هذه الرسالة اليه، لان قلبي مثقل بالهموم، والاعوام قد اضنت بنيتي وازعفت همتي. ولم اعد اتحمل ذرف الدموع السخينة وسهر الليالي، ولا يدفعني الى هذه المبادرة إلا قلقي على مصير الاثنين معاً.

## المشهد الخامس

### عند اسوار فلورنسا

(يسمع وقع مسيرة عسكرية بعيدة. تدخل ارملة عجوز من فلورنسا ثم ديانا وقبولتا ومريانا وبعض الأشخاص).

الأرملة : هيا تعالوا، اذا اقترب هؤلاء الجنود من المدينة نخسر جمال الطبيعة الذي نتمتع به.

ديانا : يقال ان الكونت الفرنسي قد ادى لنا خدمات جليلة.

الأرملة : هناك اشاعة انه اسر قائداً من الأعداء، وانه يديه قتل شقيق الدوق المتمرد. لقد اضاعوا جهودنا بسلوكهم طريقاً مخالفاً. أنصتوا، ألا يمكن التعرف عليهم من اصوات ابواقهم؟

مريانا : هيا بنا نرجع الى بيونا مكتفين بالقصة التي سمعناها. صديقيني يا ديانا، واحذري هذا الكونت الفرنسي. لأن، شرف العذراء هو ميزتها البارزة وهو ليس اربناً يعوّض ويكتسب مثل الفضيلة.

الأرملة : اخبرت جارتني كيف اراد أحد الوجهاء من مراقبيك ان يستملك.  
مريانا : انا اعرف هذا اللعين. قتله الطاعون. هو محتال يدعى بارول، متأمر  
دساس يعمل لحساب الكونت. احذريهم يا ديانا لأن وعدهم وعهودهم  
وهدياهم ليست سوى مظاهر دعارة تستر باسماء اخرى للتمويه. وقد ذهبت  
فتيات عديدات ضحايا غوايتهم ومكرهم. والبلية العظمى هي ان البتولة العريقة  
لا يسمعها ان تمنع ضحايا جدداً من ان تلصق بالديق الذي يهدّدهن، وانا  
في غنى على ما اعتقد، عن قول المزيد بهذا المعنى. انما النعمة التي تملكينها  
ستحفظك من كل شر، اذا لم تعرضي لخطر سوى خسارة وداعتك.  
ديانا : لا داعي للخوف عليّ.

(تدخل هيلانة منكرة وملثمة بشال)

الأرملة : ارجو ذلك من كل قلبي. ها هي المثلثة بالشال تقترب منا. وانا  
واتقة بأنها ترغب في السكن عندي، لأن كثيرات يرغبن في ذلك. دعيني  
استجوبها. (لهيلانة) حفظك الله يا سيدتي، الى اين انت ذاهبة؟

هيلانة : الى المعبد. قللي لي، من فضلك، اين بيت الزائرون.

الأرملة : في نزل الصلاح القريب من هنا، في جوار باب المدينة.

هيلانة : وهل يؤدي اليه هذا الدرب الذي نراه امامنا؟

الأرملة : اجل. (تسمع مشية عسكرية بعيدة) اسمعي، ها هم الجنود قادمون  
الينا. فاذا شئت ان تنتظري مرورهم ايتها الزائرة التقية، رافقتك الى هناك.

إذ إنني، لحسن حظك، اعرف صاحبة النزل المذكور.

هيلانة : هل انت صاحبه؟

الأرملة : اذا لم يزعجك ذلك.

هيلانة : شكراً. سأنتظرك.

الأرملة : هل انت قادمة من فرنسا؟

هيلانة : اجل يا سيدتي.

الأرملة : ستشاهدين هنا احد ابناء بلدك، وقد ادّى لنا خدمات جليلة.

هيلانة : ارجوك ان تقولي لي ما اسمه؟

ديانا : كونت روسيون. هل تعرفينه؟

هيلانة : بسماع ذكره فقط كأحد النبلاء الشبان، لكنني لم ابصره ابداً.  
ديانا : مهما كان الأمر، هو فتى مشكور السلوك، هرب من فرنسا على ما يقال لأن الملك ارغمه على الزواج. هل تصدقين مثل هذا الخبر الغريب؟  
هيلانة : نعم، بالطبع. هذه هي الحقيقة الناصعة، لأنني اعرف زوجته.  
ديانا : وفي خدمة الكونت وجيه بصفها باقبح التعوت.  
هيلانة : ما اسمه، من فضلك؟

ديانا : السيد بارول.

هيلانة : انا من رأيه، لأنها اذا قورنت بالكونت الكبير النفس، لا يوجد فيها ما يستحق الذكر، مع اني لم اسمع احداً ينفي ما تصصف به من فضيلة فائقة.

ديانا : يا للأسف يا سيدتي، ارى ان زواج امرأة يرجل لا يحبها هي عبودية لا تطاق.

الأرملة : لهفي عليها، اينما ذهبت ستكون كسيرة القلب (تشير الى ديانا) هذه الفتاة تستطيع ان تقوم حيالها بدور فعال، اذا شاءت.

هيلانة : ماذا تقولين؟ هل تظنين ان الكونت العاشق يتمناها كغنيمة غير شرعية.  
الأرملة : اجل، لأنه لجأ الى من يتمكنون من اغرائها، لتجود عليهم بمتعة يرجونها من فتاة مثلها. لكنها علمت بمآربهم فرفضت كل عروضهم حفاظاً على عفتها.

(يدخل حملة طبول وهم يقرعونها، وحملة اعلام خفاقة وفرقة من الجيش الفلورنسي بينهم برتران وبارول).

مريانا : حفظها الله من كل اذى.

الأرملة : ها قد وصل الجنود. فهذا هو انطونيو ابن الدوق البكر، وذاك هو اسكالوس.

هيلانة : اجده شاباً رائعاً.

ديانا : لكنه مع الأسف غير شريف (تشير الى بارول). وهذا من يجره الى الفساد. لو كنت زوجة هذا الخسيس لدست له السم بدون تردد.

هيلانة : اياً منهما تعينين؟

ديانا : هذا القرد الملفوف رأسه بالشال. لكن، لماذا هو هكذا حزين؟  
هيلانة : ربما بسبب جرح تلقاه اثناء المعركة.  
بارول : وربما فقد طبله.  
مريانا : لا بدّ من ان يكون مستاءً من أمر ما. انظريه كيف لاحظنا.  
الأرملة : تبّاً لك.

(تحي احتراماً لبارول)

مريانا : (للأرملة) تبّاً لما تيديه من اعتبار حيال هذا الفاسق الدنيء.  
(يخرج برتران وبارول مع الجنود).  
الأرملة : لقد مرّ الجنود. تعالي ايها الزائرة لأدلك على نزلك. هناك اربعة  
او خمسة تائبين قد نذروا ان يزوروا المعبد متبركين، وهم الآن هنا.  
هيلانة : اشكرك بكل تواضع. (تشير الى مريانا وديانا) اذا كانت هذه الحيزبون  
وهذه الصبية الفاتنة مستعشيان الليلة معنا، فانا اتكفّل بجميع النفقات  
والتشريعات. ولكي أفي بما يتوجب علي بصورة افضل، ازوّد هذه العذراء  
الشابة ببعض نصائحي الصائبة.  
مريانا وديانا : نقبل دعوتك بطيبة خاطر.

## المشهد السادس في المعسكر الفلورنسي.

(يدخل برتران والثان من السادة الفرنسيين).

السيد الأول : هيا يا سيدي العزيز، اختبره ودعه يتصرف على هواه.  
السيد الثاني : اذا كنت سيادتك لا ترى فيه انساناً جباناً، فلن يسعك ان  
تقدرني حق قدري.

السيد الأول : اقسم بحياتي يا مولاي، ان هذه قشطة صافية.  
برتران : اتظنتي مغشوشاً به الى هذا الحد.

السيد الأول : صدقتي يا سيدي، اني اقول لك ما اعرفه مباشرة وبكل صراحة،  
كأنني اخاطب اخي بالذات. هذا محتال جبان ومنافق لا يشق له غبار لا  
ينقطع عن الكذب والخداع ولا يتحلى باية مزية مشكورة تستحق ما يحيطه  
به سيدك من رعاية.

السيد الثاني : من الأفضل ان تعرفه وإلاً، اذا تكلمت عن صفات لا يتحلى  
بها. هو أتى بما هو افظع، وانت اوليته ثقتك، فاستغلَّك ثم تخلى عنك  
وانت في امس الحاجة اليه.

السيد الثاني : اوليس ذلك أولى من ان ندعه يذهب للبحث عن طبله في  
مهمة يعتد امامكم بالقيام بها بدون امهال.

السيد الأول : انا اترأس فرقة من الفلورنسيين، واتعهد بأن اباغته على حين  
غرة. لذلك سأتكلم على من هم اهل للثقة وكلي ايمان بانه لن يرى فيهم  
اي عداء. فثوقه ونعصب عينيه بطريقة يظن معها انه انتقل الى معسكر العدو  
ساعة نقوده الى خيامنا، بينما سيادتك تشرف على استجوابه. فاذا كان انقاذ  
حياته بداعي الخوف يؤكد لك انه لن يخونك او يوح بما يعرفه عنا من  
معلومات سرية، وهو يقسم على صحة مضمونها، لا تحمل كلامي على  
محمل الجد ولا تثق بحكمي عليه.

السيد الثاني : دعه يأتي بطيله وهو يدعي ان لديه خطة عجيبة، فنضحك عليه. وحالما ترى سيادتك عظم شجاعته ومن اي معدن هو الذي يظن نفسه انه من الذهب الخالص، اذا لم تعامله كعبي مغفل يكون تقديرك اياه في غير محله ولا يوجد لعلته دواء. ها هوذا.

(بدخل بارول).

السيد الأول : (ليرتران بصوت خافت) دعنا نضحك قليلاً، ولا تعترض على مقصده. فليذهب على كل حال لجلب طيله.

برتران : (لبارول) يظهر، يا سيدي، ان هذا الطبل عزيز جداً على قلبك. السيد الثاني : لا تفكر بالأمر كثيراً، فالمسألة لا تعدو كونها مسألة طبل ليس الا.

بارول : مسألة طبل ضاع هكذا، وبها لها من قضية جوهرية شغلت محمل الفرسان غالبية جنودنا.

السيد الثاني : القائد الذي كان يقود المعركة غير مُلام ابدأ على فقدان هذا الطبل الذي يُعدّ كارثة حربية، لم يكن يقصر نفسه ليستطيع تحاشيها لو كان في موقف هذا القائد.

برتران : ليس لنا ان نشككي من نجاحنا. صحيح أن خسارة هذا الطبل لا تشرفنا، انما لا سبيل الي الاستحصال عليه ثانية.

بارول : بل كان هذا ممكناً.

برتران : كان ذلك مستطاعاً. لكنه اضحى الآن مستحيلاً.

بارول : لا، لا. هذا لا يزال ممكناً. اذا لم يكن اصحاب الأعمال الباهرة مشكورين على فضلهم إلا نادراً، ساسترد هذا الطبل بطريقة عجيبة واحاول اعادته الي مكانه بسرعة على الأقل، مهما كلف ذلك من جهد وعناء. اجل سأقوم بهذه التجربة كانجاز نبيل. واذا نجحت فيها سيسرك الدوق ويكافئك بصورة مرضية لاثقة توازي براعة مسعاك.

بارول : اقسام لك اني سأنفذ ذلك على اكمل وجه.

برتران : لكن لن يبقى لك وقت للنوم.

بارول : سأباشر العمل منذ هذا المساء. وسأبدأ منذ هذه اللحظة بتدبير

وسائل العمل وشحن كفاءتي لإكمال استعداداتي للفوز. وحول...سيف الليل  
لا بد من ان تبلغك اخباري السارة.

برتران : هل يعني اعلام سيادته برحلتك الجريئة؟

بارول : انا اجهل ما هو مدى نجاحي، يا مولاي، انما اعاهدك على ماثرتي  
ومحاولتي بدون كلل للوصول الى ما نصبو اليه.

برتران : انا اعرف علو همتك، واقدر مهارتك وشجاعتك. فالى اللقاء.  
بارول : انا لا احب كثرة الكلام.

(بخرج).

السيد الأول : ليس من يحب الماء اكثر من السمك. او لا يكون هذا  
الفتى مقداماً عندما يتكفل بتأمين مثل هذه المهمة التي يعرف سلفاً انها  
تفوق طاقته ويتحمل مسؤوليتها ويفضل ان يتلقى عليها اللعنة عوضاً عن  
التهرب من اعبائها

السيد الثاني : انت لا تعرفه يا سيدي كما اعرفه انا الواثق ببرايعته بدون  
شك في التغلغل الى قلب اي رجل، والتمص خلال اسبوع من كل الوشايات.  
انما حين نكتشفه على حقيقته يظل على الدوام تحت رحمتنا.

برتران : هل تصدق انه لن يفعل شيئاً من كل ما وعد بتنفيذه جدياً؟  
السيد الأول : ابدأ. سيعود الى سيرته السابقة باختلاقات يدعمها بالكذب  
والغش كعادته. لكننا نحن له بالمرصاد. وهذه الليلة سينكشف امره وتراه  
كيف يقع في الفخ لأنه لا يستحق عطف سيادتك.

السيد الثاني : سنتسلى بمطاردته كالثعلب قبل ان نعرّيه من حيله. فلقد نال  
نصيبه من تائب السيد لافو. وعندما سنسلخ جلده المستعار عن لحمه النجس  
ستلمس هذه الليلة بالذات لمس اليد اي دجله اللعين المتربص بنا.

السيد الأول : عليّ ان اذهب واهيئ شركي لكي نوقعه فيه.  
برتران : لا بد لشقيقك من مرافقتي.

السيد الأول : كما تشاء يا صاحب السيادة. تركتك بخير.

(بخرج).

برتران : الآن آخذك الى البيت واريك الفتاة التي حدثك عنها.

السيد الثاني : تقول لي انها صبية شريفة.  
برتران : هذه علتها الوحيدة. فقد كلمتها مرة ورأيها باردة بشكل عجيب.  
فأرسلت إليها مع هذا المغرور الذي نراقبه، هدايا ورسائل، فردتها لي. هذا  
كل ما فعلته حتى الآن. الا تريد ان تصحيني لمشاهدتها؟  
السيد الثاني : بكل سرور، يا مولاي.

(بخرجان).

## المشهد السابع

من فلورنسا داخل بيت الأرملة

(تدخل هيلانة والأرملة)

هيلانة : اذا كنت لا تزال تشك بتأكيدي أنني زوجته، لست ادري كيف  
اقنعك بدون ان اخسر ما ربحته في هذا المجال.  
الأرملة : مهما كانت خسارة ثروتي جسيمة، انا استعيز عنها برفعة شأنني،  
واتجاهل كل الدسائس والمؤامرات. لذلك لا اريد تشويه سمعتي بعمل مشين.  
هيلانة : وانا لن اطلب منك ذلك ابداً. ثقي اولاً بأن الكونت زوجي، وان  
ما صرحت لك به هو حقيقي بحذافيره، وان يكن سرياً. ثقي اذاً بان المساندة  
التي اطلبها منك لا يمكن ان تؤول الى الفشل.  
الأرملة : علي ان اصدقك، لأنك اثبت لي ان حظك كبير في النجاح.  
هيلانة : خذي هذا الكيس المحشو ذهباً، فهو عربون تقدير مساعدتك الغالية.  
وانا مستعد لأن ادفع لك ضعفه مع الفائدة حالما احصل على النتيجة المرجوة.  
الكونت يغازل ابنتك ويحاصر جمالها من كل الجهات، وهو مصمم على  
الظفر بمفاتنها. فما عليها إلا ان تتظاهر بالموافقة على مسيرته حسب تعليماتنا.

وعندما تطغى عليه اشواقه اخيراً، لن يرفض لها طلباً. فالكونت يضع في اصبغه خاتماً ثميناً توارثته اسرته اباً عن جد منذ اربعة او خمسة اجيال نظراً الي ما لهذا الخاتم من قيمة باهضة. لكنه في حماسه وهوسه لا يستبعد ان يعطيه بدون مساومة، كما تقتضيه الظروف، ثم يندم بعد ذلك على تصرفه وتسرعه.

هيلانة : طلبه مشروع، كما ترى. فقط اريد من ابتك قبل ان تبدي رغبته في الاستسلام ان تلح في طلب خاتمه وان تعين له موعداً. واخيراً ان تخلي المكان وهي تفرض على ذاتها اعفَ انسحاب، وبعد هذا الاجراء اضيف الي بائنتها ثلاثة آف دينار فوق ما كنت اعطيها.

الأرملة : انا موافقة. درّب اذاً ابنتي على كيفية تصرفها كي تتمكن من القيام بهذه اللعبة القذرة بنجاح في الزمان والمكان اللازمين. ففي كل مساء يأتي برفقته بعض الموسيقيين من جميع الفئات لإنشاد بعض الأغاني التي تشيد بجمالها وبخصالها بطريقة مبالغه. اذ لا فائدة من طرده عن نوافذها لأنه يظل متشبهاً كأن حياته متعلقة بها.

هيلانة : منذ هذا المساء سنحاول تنفيذ المؤامرة. فان نجحت يكون قد ظهر ما يبئّه من سوء نية يتبعها عمل جدي رصين من جهة، ومن حسن نية يتبعها على الأرجح عمل جدي ايضاً. وفي كلا الحالين ليس من خطأ رغم احتمال وقوع الغلط. فإلى العمل اذاً.

(تخرجان).

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

في معسكر على ضوء القمر.

(يدخل السيد الأول يتبعه خمسة او ستة جنود ويختبئون في كمين).

السيد الأول : لا يمكن ان يأتي إلا من هذه الناحية من السياج. وحالما تباغثونه، خاطبوه بأقصى لهجة من السباب تعرفونها، وان لم تفهموا لغته، لأننا ننوي ان نتظاهر بعدم فهمها ما عدا واحد منا سنعتبره كترجمان.

الجندي الأول : اسمح لي يا سيدي ان اكون انا الترجمان.

السيد الأول : ألم يكن لك من علاقة سابقة به؟ ألا يعرف صوتك؟

الجندي الأول : كلا يا سيدي. أؤكد لك اني لا اعرفه.

السيد الأول : بأي لغة غير مفهومة سنجيبه؟

الجندي الأول : بلغة نخترعها لهذه الغاية.

السيد الأول : لا بد من ان نوهمه اننا عصابة اجنبية نعمل لحساب العدو.

وهذا له ألوان متعددة من اللهجات المتقاربة. فعلى كل واحد منا ان يتكلم

بلهجة مختلفة على هواه بدون ان نعرف ماذا نقول، بشرط ان نتظاهر بأننا

نتفاهم، وهذا يكفي لتحقيق مشروعنا، حتى ان كان كلامنا كنعيب الغراب،

المهم ان نصل الى مبتغانا. اما انت فعليك ان تظهر بمظهر مياسي محنك،

لا سيما بغطرتك وعنجهيتك. ها هوذا قد عاد ليقتضي ساعتين في نوم عميق، ثم يعود ليفدق على الجماعة سيل كذبه وسبابه وخداعه، حسب ما يوحى اليه دهاؤه وابتكاره.

(بدخل بارول)

بارول : الساعة الآن العاشرة. بعد ثلاث ساعات يحين اوان رجوعه. ماذا اقول له اني فعلت؟ لا بد من اختلاق اعدار مقنعة. ها هو قد أخذ يشم رائحة الخيبة والمذلة التي بدأت تطرق بابه. لا شك في ان لهجتي ستكون قاسية. لكن قلبي، بعد ان اوهمته اني خائف من مباغزات إله الحرب ومن اعوانه، لا يجرؤ على مساندة ادعاءات لغتي المبهمة.

السيد الأول : (على حدة) هذه مقدمة لهجتك الجانية.

بارول : اي شيطان دفعتني لاختلاق قصة هذا الطبل الضائع، لا سيما انا اجهل قضيته ولا اعرف بالضبط نواياه. يجب عليّ ان اصطنع لنفسى بعض الجراح وان ادعي اني تلقيتها اثناء المعركة. انما الجراح الخفيفة لا تفيدني، اذ يقال لي: هل خرجت من المعركة بخدوش بسيطة؟ ولا اجرؤ ايضاً على اصطناع جراح بليغة. فما العمل؟ من اين آتي بالبراهين؟ لا بد من ان اصون لساني ولا اتفوه بما يثير الشبهات حولي، بل اتذرع بصمت حذر، اذا تورطت بموقف حرج.

السيد الأول : (على حدة) هل من المحتمل ان يعرف من هو، وان يقابله بمثل تصرفه؟

بارول : اتمنى ان يكون تمزيق ثيابي كافياً نظير كسر سيفي الإسباني.

السيد الأول : (على حدة) لا يسعنا ان نؤمن لك ذلك.

بارول : اذاً سأخلق لحيتي وادّعي ان ذلك خدعة حربية.

السيد الأول : (على حدة) لن تنظلي هذه الحيلة.

بارول : أو أن ادفن ثيابي وادّعي ان لصوصاً عروني اثناء الطريق.

السيد الأول : (على حدة) قد لا تفيد هذه الوسيلة.

بارول : واذا اقسمت بانى نفذت من كوة القلعة...

السيد الأول : (على حدة) من اي علو؟

بارول : من علو ثلاثين باعاً.

السيد الأول : (على حدة) الحلفان المثلث لا يحمل احداً على تصديق ذلك.

بارول : ان احصل على اي طبل من طبول العدو، وأقسم بانني انا انتزعته.

السيد الأول : (على حدة) ستمتع قرع احدها في الحال (يُقرع طبل).

بارول : هذا الآن طبل عدو.

السيد الأول : (يهجم على بارول) تروكا مافوسو كاركو كاركو كاركو.

الجميع : (يهجمون) كاركو كاركو فيليان بار كاربو كارلو.

بارول : النجدة النجدة. (يقبض عليه الجنود ويعصبون له عينه) لا، لا تعصبوا

لي عيني.

الجندي الأول : بوسكو تروفولدر بوسكو.

بارول : ارى انكم فرقة من جنود التتر. اسفأ على حياتي، لأنني لا افهم

لغتك. إن وجد بينكم ألماني او دانمركي او هولاندي او ايطالي او فرنسي

ارجو ان يخاطبني بلغته، وسأبوح له بأسرار تهلك الفلورنسيين.

الجندي الأول : بوسكو فوفادو. انا افهمك واتكلم لغتك كيريليونو. يا

صديقي، ابتهل لربك وتضرع اليه، لأن سبعة عشر خنجرأ مستخترق صدرك

وتمزق قلبك.

بارول : يا الهي.

الجندي الأول : اجل ابتهل وتضرع. منكا ريفانيا دولشي.

السيد الأول : أشكوربي دولشو فوليبوركو.

الجندي الأول : القائد يوافق على ابقائك حياً. وسأخذك اليه معصوب العينين

لكي يتقصى معلوماتك. فربما لبعض ما توجه اليه يعفو عنك.

بارول : اتركوني على قيد الحياة، وانا اطلعكم على اسرار معسكرنا وعلى

قواتنا وخططنا. اجل ساطلمكم على امور تدهشكم.

الجندي الأول : المهم ان تقول الحقيقة.

بارول : اذا شككنم بكلامي، تستطيعون قتلي.

الجندي الأول : اركوندو لبتا. هيا بنا. سنمنحك مهلة.

(يخرج مصطحباً بارول تحت الحراسة).

السيد الأول : (لأحد جنوده) اذهب وقل للكونت روسيون ولأخي، اننا القينا القبض على الثرثار، واننا سنحتفظ به معصوب العينين الى ان تصلنا اخبارهم.

الجندي الثاني : انا ذاهب يا سيدي.

السيد الأول : لا تغفل عن اعلامهم بأنه مستعد أن يخون جماعته لإرضائنا.

الجندي الثاني : نعم، يا سيدي.

السيد الأول : حتى ذلك الحين سأحتفظ به في مكان حريز وتحت الحراسة المشددة.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في فلورنسا داخل غرفة في بيت الأرملة.

(يدخل برتران وديانا)

برتران : قيل لي انك تدعيني فوتييال.

ديانا : لا يا سيدي الكريم، انا اسمي ديانا.

برتران : هذا اسم الهة وانت تستحقينه مع كل النعوت الجميلة. لكن يا صاحبة النفس الكبيرة، ألم يداعب الحب قلبك الحنون؟ اذا لم يخالج حماس الشباب صدرك الى الآن تكونين فتاة غريبة بل تمثالاً من الحجر البارد الخالي من العواطف، وعليك ان تشبهي بوالدتك حين حبلت بشخصك اللطيف.

ديانا : كانت امي اذاً فاضلة.

برتران : وانت ستكونين مثلها.

ديانا : كلا، كانت والدتي تقوم بواجب كما هو مفروض عليك نحو امرأتك يا سيدي.

برتران : ارجوك ان تكفي عن هذا الكلام. لا تعارضي افكاري. انا ارتبطت بها عنوة. لكن احبك انت باخلاص، تدفعني اليه انوثتك وتجعلني رهين اشارتك لأخدمك راضياً مسروراً.

ديانا : اجل انتم الرجال تخدموننا لخدمكم بدورنا. لكن حين تنتشقون شذى وروردنا لا تتركون لنا سوى اشواكنا لتمزق ابدينا، وتعيروننا بما تجردونا منه. برتران : كم مرة اقسمت لك...

ديانا : الاخلاص لا يقوم على عدد الحلفان، انما على المعاملة البسيطة البريئة التي تخصوننا بها. نحن لا نقسم إلا بكل مقدس، ورب السما يشهد على صدق نيتنا. لكن قل لي ان اقسمت بكل ما هو سام. باني احبك من كل قلبي، هل تصدقني ولو لاحظت اني اهاوك بطريقة اجرامية؟ فالحلفان ليس مقبولاً اذا تعهدت باسم من اعبده بأني سأصرف خلافاً لشرائعه. هكذا قسّمك ليس الا كلام، واحتجاجاتك هزيلة ينقصها الطابع الأصيل، على الأقل في نظري.

برتران : التمس منك ان تغيري رأيك فيّ، وان لا تكوني هكذا قاسية في حكمك علي فحبي مقدس ووفائي لا يعرف التكلّف الذي يتهم به الرجال. فلا تترددي بل باديني عواطفى المريضة لكي تصح، قول لي انك لي، وسيدوم حبي لك كما بدأ نزيها مخلصاً.

ديانا : انا ارى ان الرجال لا يصدقون في مثل هذه القضايا، واننا نخدع انفسنا اذا اعتبرناهم صادقين. اعطني هذا الخاتم كعربون مردتك لعله يقتعني بحسن نيتك.

برتران : ساعيرك اياه يا عزيزتي، لأنني لا املك الحق بالتنازل عنه.

ديانا : انت لا تريد اعطائي اياه، يا مولاي.

برتران : هذا شعار شريف يخص اسرتنا، وقد ورثته عن ابي وجددي، وعار علي ان افقده.

ديانا : بتوليتي تشبه خاتمك، وعفتي هي جوهرة اسرتنا وقد ورثتها عن امي  
وجدتي وفقدانها سيكون اقطع عار الوث به سمعتي. وهكذا ارى ان تحفظك  
تحميس لحذري في صدّ هجماتك المتكررة.

برتران : هيّا خذي خاتمي. فانا اهلك شرفي وقلبي وحياتي واطيع اوامرك.  
ديانا : (تأخذ الخاتم الذي يناولها اياه برتران) عند حلول منتصف الليل،  
اطرق نافذة حجرتي، وسأتدبر امر دخولك بشكل لا يدع امي تدرى بوجودك،  
لكني احذرك باسم الوفاء، حين تندس في فراشي الطاهر ان لا تمكث فيه  
اكثر من ساعة وان لا تنبس بينة شفة. ولطليبي هذا اسباب قاهرة ستقف  
عليها عندما ارد لك هذا الخاتم. في هذه الليلة سأضع في اصبعك خاتماً  
يثبت لك في مستقبل الأيام اجتماعنا هذا. الوداع الآن. لا تتأخر، فقد ربحت  
بشخصي زوجة ودية، وانت تحرميني من كل امل في البقاء مخلصه.  
برتران : في احضانك اجد الجنة على وجه الأرض.

(يخرج).

ديانا : (ووحدها) ارجو ان تعيش لشكر الله وتشكرني. لأننا حتماً نجتاز  
مرحلة دقيقة. فولدتني انبأتني بالطريقة التي سيقايلني بها مالك قلبي. وقد  
أكدت لي ان جميع الرجال يقسمون على الوفاء، وقد اقسم هو ايضاً ان  
يتزوجني عندما تموت امرأته. وانا راضية بأن استريح بقربه عندما ادفن في  
بطن الأرض. وبما ان الفرنسيين هم خداعون الى هذه الدرجة، فليقترن بمن  
يشاء لأنني اريد ان اغشه وأصبح هكذا خاتمة حقيرة.

(تخرج).

## المشهد الثالث

في خيمة ضمن المعسكر الفلورنسي يبرها مشعل موضوع على مائدة.

(بدخل سيدان فرنسيان يتبعهما ثلاثة جنود).

السيد الأول : ألم تسلمه رسالة والدته؟

السيد الثاني : اجل اعطينه اياها منذ ساعة. وقد قرأ في سطورها ما قلب مزاجه رأساً على عقب كأنه امسى رجلاً آخر.

السيد الأول : لقد جلب على رأسه ملامة استحقتها برفضه زوجة صالحة وسيدة رائعة.

السيد الثاني : وعرض نفسه لاستياء الملك الذي حجب عنه رضاه ورعايته الوارفة. ساطلحك على امر ستحفظه في اعماق صدرك.

السيد الأول : عندما تقوله لي سأحرص على ابقائه في سرّي، كأنه في صندوق مقفل.

السيد الثاني : لقد استمال هنا في فلورنسا سيدة صبية، عفيفة نقية، بعد أن اعطاها خاتمه الذي ورثه عن اجداده، لأنه يعتبر نفسه اسعد الرجال بهذا الحب المشبوه.

السيد الأول : وقانا الله شر الضلال لأن اوضاعنا ليست على ما يرام. السيد الثاني : نحن خونة بحق انفسنا. وكما يجري في سائر المؤامرات، نرى الدساسين يتحادثون فيما بينهم عن آمالهم ومراميمهم حتى يروا نواياهم تنقلب عليهم ويرتدّ كيدهم الى نحرهم. وهكذا ستشقيه مكيدته الخاصة إذ ينزل به الويل ويتدهور نبله الى الحضيض ويذيع سره المخذي.

السيد الأول : اولا تدور في رؤوسنا دسيسة خفية سافلة تفسر نوايانا الشريرة. اعتقد بأنّه لن يكون هذا المساء بصحبتنا.

السيد الثاني : لن يتسنى له ان يوافينا إلا بعد منتصف الليل. لأنه مرتبط بموعد في ساعة متأخرة.

السيد الأول : وهذه الساعة تقترب بسرعة فائقة. على كل حال يسرني ان يحضر مناقشة رفيقه، ليأخذ فكرة عن حكمة الشخص بعد تقديره كثيراً هذا البطل المزيف.

السيد الثاني : لن نهتم بهذا الرجل قبل وصول الكونت، لأن حضوره يسحق قلب هذا الشقي.

السيد الأول : بانتظار ذلك، ارجوك ان تفيدني عن مجرى الحرب.

السيد الثاني : سمعت انه مهّد الطريق الى تحقيق السلم.

السيد الأول : لذلك استطيع ان اطمانه بأن الصلح قد تمّ.

السيد الثاني : وماذا يفعل كونت روسيون عندئذ؟ هل يسافر الى مكان آخر ام يعود الى فرنسا.

السيد الأول : ألاحظ من هذا السؤال انك غير مطلع على مشاريعه.

السيد الثاني : بل بالعكس، يا سيدي، انا مشترك فعلياً في جميع اعماله.

السيد الأول : منذ شهرين يا سيدي، هربت زوجته من قصره بحجة قيامها بزيارة احد المعابد، وتمّت هذه الزيارة بخشوع لا يوصف، وفيما هي تقضي هنا بعض الوقت تعرضت نفسيها الى أقسى التجارب وذهبت ضحية حزنها وفارقت الحياة اخيراً، وهي ترتع الآن في الأهدار السماوية.

السيد الثاني : ماذا يثبت صحة ما تقول؟

السيد الأول : اولاً رسائلها التي تؤكد حكايتها حتى حين وفاتها. وموتها ذاته الذي لم تستطع ان تروييه، قد اكده كاهن تلك المنطقة.

السيد الثاني : وهل علم الكونت بأمرها؟

السيد الأول : اجل، بكل التفاصيل الخاصة التي تبرهن على صدق الحقيقة.

السيد الثاني : وما يمزق قلبي أسى هو انه مسرور لحدوث ذلك.

السيد الأول : كم نستعجل احياناً في تعزية انفسنا، بالثشي من شقاء قلوبنا.

السيد الثاني : وكم نستعجل ايضاً رؤية شقائنا من خلال دموعنا، فنبل سمعته هنا يطغى على شر سلوكه المشين هناك.

السيد الأول : لا تنسى ان نسيج حياتنا سده الخير ولحمته الشر، وان

فضائلنا تتشامخ علينا اذا لم تجلدها سياط التوبة عن ذنوبنا، وان فضائلنا تترشح تحت وقر قنوطنا اذا لم ترتفع بها مآثرنا الى فوق.  
(يدخل احد الخدم).

ابن سيدك، يا هذا؟

الخدام: صادف الدوق في طريقه واستأذنه بالانصراف. وسيرحل سيادته غداً الى فرنسا بعد ان تكرم الدوق عليه برسائل توصية الى الملك.  
السيد الثاني: ستسغفه التوصية كما يلزم عندما تكون ملحة.

(يدخل برتران).

السيد الأول: الملك مستاء الى درجة ان لا شيء يخفف حنقه. ها هو صاحب الجلالة. قل لي، هل اجتزنا منتصف الليل يا مولاي.

برتران: حكمت هذا المساء بايجاز في ست عشرة قضية كانت تستغرق كل واحدة منها شهراً كاملاً. استأذنت الدوق بالانصراف وودعت ذوي ودفنت امرأتي وليست عليها ثياب الحداد وكتبت الى سيدتي الوالدة اني عائد واكملت استعدادات رحيلي ورتبت هذه الطرود الكبيرة وارسلت عدة اشياء ضرورية وكان آخرها اهمها، لكنها لم تصل بعد.

السيد الثاني: مهما كانت المسألة صعبة، اذا كنت جلالتك تنوي ان تبارح هذا المكان اليوم صباحاً، عليك ان تعجل في الرحيل.

برتران: اقول انها لم تصل بعد، واخشى ان اسمع عنها كلاماً لا يرضي في المستقبل. هل سيلغنا قريباً ما ترقبه من حوار بين الجندي وهذا الجبان؟ هيا اكشف لي حقيقة هذا المولى المزيف الذي خدعتني اذ ليس كل ما يبرق ذهباً.

السيد الثاني: (لبعض الجنود) خذوه. (يخرج الجنود) هذا الفتى المسكين قضى الليل بطوله بين شجيرات العنب فسكّر.

برتران: هذا امر بسيط. لقد نالت من قدميه شدة الإرهاق، بعد أن اعمل طويلاً مهمازه بين جواده فجمع به. كيف حاله الآن؟

السيد الأول: سقط كما اخبرت بذلك سيادتكم، وهذه الشجيرات ساعدته. انما لكي اجيبك حسب رغبتك اقول انه ينوح كفلاحة دلقت كل حليتها

على الأرض. فلقد اعترف بأخطائه وذنوبه لموركن الذي ظنه راهباً، منذ ذكرياته الأولى حتى الساعة المشؤومة التي استقر فيها على هذه الشجيرات. فماذا تظنيه قد اعترف؟

برتران : بشيء لا يمسنى، أليس كذلك ؟  
السيد الثاني : أنا كبت اقرارى وسيتلى عليه. فاذا كان الأمر يتعلق بسيادتك كما اعتقد، ما عليك إلا أن تكون طويل البال حتى تسمع كل ما تشاء.

( يعود الجنود ويرفتهم بارول معصوب العينين. )

برتران : قتله الطاعون. عيونه معصوبة. اذاً لا يمكنه ان يقول كلمة واحدة عني. لنلزم الصمت.

السيد الأول : احذر لعبة المطرقة والسندان. كراشو ترطاسا.  
الجندي الأول : (لبارول) هو يطلب تعذيبك. ماذا انت مستعد ان تقول بدون اشراكه في الكلام.

بارول : سأبروح بما اعرفه بدون ان يجبرني احد، واذا سحق لحمي بالمرهم لن افوه بحرف واحد.

الجندي الأول : بوسكو سيموركو.  
السيد الثاني : بوليزو شيكور موركو.

الجندي الأول : ( يأخذ ورقة ) انت قائد حكيم. ضابطنا يأمرك بالإجابة على الأسئلة التي سأطرحها عليك بموجب هذه المذكرة.

بارول : سأجيب عليها بصراحة لا يمكن الشك فيها كأملني في الحياة.  
الجندي الأول : ( يقرأ ) اسأله أولاً ما هو عدد فرسان اللدوق؟ وما هو رأيك

فيهم؟

بارول : لديه خمسة او ستة آلاف حصان، لكنها متعبة وليست صالحة للخدمة. وجنوده كلهم مشتون ورؤساؤهم جماعة من المساكين الحائرين. اقسام لك

بشرفى وبحياتي التي اتشبت بالمحافظة عليها بانى اقول الحق.  
بارول : اجل، اقسام بانى لا اقول سوى الحق مهما عرضت عليّ.

( يكتب الجندي. )

برتران : ( للسيد الأول بصوت خافت ) لا شيء يهمه. تبأ له من محتال مكأر

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) انت مخطيء يا سيدي. هذا الرجل المائل امامك اسمه بارول، هذا الجندي الباسل كما يقول هو عن نفسه، يحمل كل مشاكل الحرب في طية شاله، وكل خبرته في قراب خنجره. السيد الثاني : (بصوت خافت) من الآن وصاعداً لن اتق بأي انسان لمجرد نظافة نصلته، ولن اصدق اقواله لمجرد اناقة ثيابه. الجندي الأول : هذا مكتوب.

بارول : اجل، اكرر خمسة او ستة آلاف حصان او ما يقارب هذا العدد. اكتب تقريباً، لأنني لا اريد ان اقول إلا الحقيقة. السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) قوله اقرب ما يكون الى الواقع. برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) لكنني لا اقدر ابداً صراحة من هذا النوع.

بارول : (للجندي الأول) أوصيتك يا مسكين ان لا تنسى شيئاً.

الجندي الأول : هذا ايضاً مكتوب.

بارول : اشكرك بتواضع يا سيدي. فالحقيقة واحدة لا تتغير. وهؤلاء هم في الواقع مساكين.

الجندي الأول : (يقرأ) اسأله ما هو عدد الخيالة؟ وما هو رأيه فيهم؟ بارول : لعمرى، انا لا اقول سوى الحق ولو بقي من عمري ساعة واحدة فقط. هيّا اكتب، سيوريو: مئة وخمسون، سيستيان: مثله، كورمبوس: مثله، يعقوب: مثله، كيلتيان وكوسمو ولودفيك وكراتي، كل واحد منهم: مئتان وخمسون. وفرقتي انا شينوفر، وفوموند، وبتتي كل واحد منا مئتان وخمسون. فيكون المجموع خمسة عشر الفاً، نصفهم لا يجرؤ على السقوط رغم خوذهم، مخافة ان يتهشموا الى مئات القطع المتناثرة.

(الجندي الأول يكتب).

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) ما هو مصيره؟

السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) الشكر على معلوماته القيمة. (بصوت خافت للجندي) اسأله عن اخلاقي، ثم عن مكانتي لدى اللوق. الجندي الأول : كتبت كل هذا. (يقرأ) اسأله ايضاً اذا كان في المعسكر

رجل فرنسي يدعى الضابط دوماين، ثم ما هي سمعته وما هي معنوياته وادبياته وخبراته في الحرب، واذا كان يعتقد بإمكان تحريضه بالذهب الرنان على الثورة والعصيان. وما رأيه بذلك؟ وماذا يعرف عنه شخصياً؟

بارول : استحلفك بان تسمح لي في هذا المجال ان اجيب عن كل سؤال على حدة بنداً بنداً.

الجندي الأول : هل تعرف الضابط دوماين؟

بارول : اجل اعرفه جيداً. كان متمرنأ عند رجل يتعاطى اشغال الرفو في باريس ومان نصيبه الطرد، لأنه اعتدى على فتاة قاصرة من دار رئيس الشرطة فحبلت منه وهي خرساء مغلقة لم تستطع صدّه.

(يهدد السيد الأول الغاضب بارول بقبضة يده).

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) العفو، جمّد يدك الآن، فربما سقطت قرميدة على رأسه وانتقمت لك منه.

الجندي الأول : وهل هذا الضابط موجود حالياً في معسكر دوق فلورنسا؟  
بارول : على ما اعلم، هذا الصعلوك الذي يأكل القمل بدنه، هو الآن هناك.  
السيد الأول : (لبرتران بصوت خافت) لا تنظر اليّ هكذا شذراً، ستسمع في الحال ما يخص سيادتك.

الجندي الأول : (لبارول) ما هو وضعه بالنسبة الى الدوق؟

بارول : الدوق لا يعرفه إلا كضابط مسكين تحت إمرته. وفي ذلك النهار كتب اليّ لكي اطرده من الفيلق. واطن ان الرسالة لا تزال في جيبى.  
الجندي الأول : لعمرى، لا بدّ من البحث عنها.

(يتقدم نحو بارول وينبّه).

بارول : لتتكلّم جدياً. لم اعد ادري اين وضعتها بالضبط، اهي هنا ام في خيمتي؟ ربما في ملف مع سائر رسائل الدوق.

الجندي الأول : (يسحب ورقة) ها هي الورقة. اتريد أن أقرأها لك؟  
بارول : لست ادري إن كانت هذه هي الورقة بالذات او لا.

برتران : (للسيد الأول بصوت خافت) كيف يقوم ترجماننا بوظيفته؟  
السيد الأول : على احسن ما يرام.

الجندي الأول : (يقراً) الكونت، يا ديانا، رجل احمق، محمل ذهباً.  
بارول : هذه ليست رسالة الدوق يا سيدي. هذا تيبه موجّه الى فتاة شريفة  
من فلورنسا، من قبل كونت روسيون، الرجل الغبي الفاسق المهووس. ارجوك  
ان ترد لي هذه الورقة.

الجندي الأول : لا، إسمح لي أولاً ان اتّم قراءتها.  
بارول : انا احتج، لأنني اريد هنا ان اكون اكثر احتراماً نحو الفتاة. فانا  
اعرف الكونت الشاب، وهو خطر جداً، لأنه يشبه الحوت الذي يفترس  
البترول كالمسكة الكبيرة التي تتلع كل سمكة صغيرة تصادفها في طريقها.  
برتران : (على حدة) تبّأ له من محتال لعين.

الجندي الأول : ان كان يغدق على الناس وعوده العرقويّة، قل له ان يترك  
الذهب، جانباً، لأنه قلما يدفع ثمن ما يأكل. اما الصفقة التي يصبر اليها،  
فلكي تتمّ يجب ان يتحقق نصفها على الأقل. فما عليه الا أن يعمل، ثم  
يعقد الصفقة. وما دام لا يدفع اي عربون، دعه يدفع سلفاً كل القيمة.  
اخيراً، صديقني انا الجندي، يا ديانا، وتعاطي مع الرجال، واياك ان تعانقي  
الأولاد. اتكلمي على الكونت المغفل لأنني اعرف جيداً انه يدفع سلفاً كما  
قلت لك، لكن ليس في الوقت اللازم، كما همس لك في اذنك .

التوقيع: بارول

برتران : (على حدة) سيجلد امام افراد الجيش، وعلى جبينه هذه الأقوال  
الخبيثة.

السيد الثاني : (على حدة) هذا يا سيدي، هو صديقك المخلص العالم المتعدد  
اللغات والجندي المعتدّ بمقدرته.

برتران : (على حدة) الى الآن لم اكره الا الذئاب، وهذا الرجل في نظري  
ذئب شرس.

الجندي الأول : (لبارول) ألاحظ يا سيدي، من محيا القائد ان انضمامك  
الى صفوفنا يسره كثيراً.

بارول : انا يا سيدي، اتشبث بحياتي واحافظ عليها بأي ثمن، لا لأنني  
اخشى الموت، بل لأن ذنوبي عديدة، واريد ان اقضي باقي العمر بالتوبة

والتكفير عنها. فاتركني على قيد الحياة يا سيدي، في السجن، أو مربوطاً الى عمود، حيث تشاء. المهم ان اعيش.

الجندي الأول : سرى ما يمكن عمله اذا واصلت اعترافاتك بصدق وبدون تحفظ. لنعد الى الضابط دوماين. لقد أفدنتني عن مكانته لدى الدوق وعن مهارته. فماذا تعرف عن اخلاقه؟

بارول : هو رجل لا يتورع عن سرقة البيضة من تحت الدجاجة. كذلك لا شيء يردعه عن الاغتصاب والخطف. وهو لا يفني بوعوده ولا يمنعه شيء عن نقض عهوده وايمانه. يكذب بسهولة كأنه يقول الحقيقة، ويدمن على السكر كأنه فضيلة، وهو دوماً ثمل قدر كالخنزير، يصبح ويمسي على عمل الشر دون ان يحجم عن زرع الفساد وارتكاب الموبقات. عاداته معلومة ولا مزيد لسفاله ولقلة مروءته. بالاختصار فيه من النقائص كل ما في الرجل اللئيم، وليس فيه اية مزية حميدة تشفع بمعاصيه.

السيد الأول : (على حدة) بت اودّ معرفته بسبب ما ذكرته لي عنه.  
برتران : (على حدة) لأجل هذه الأوصاف التي لا تشرفه! قتله البرص. انا اراه شبيه الذئاب تماماً.

الجندي الأول : (لبارول) وماذا تقول عن خبرته في فنون الحرب؟

بارول : بدمتي يا سيدي، اؤكد لك انه قرع الطبل امام المهرجين الإنكليز. ولا اريد ان اضيف اليه اية نعيمة. هذا كل ما اعرفه عن خبرته العسكرية. مع ذلك، في هذا البلد، مكان يدعى « مايل اند » خدم فيه كضابط لجمع الجنود في فرقة البهلوانيين. هكذا اردت ان اكرمه بقدر ما يستحق، في هذا المجال، ولست ادري ان كنت وافته حقه.

السيد الأول : (على حدة) ارى الغيظ يلازمه الى حد انه يجمع الشرور في قبح سلوكه.

برتران : (على حدة) قتله الطاعون. هو في نظري ليس إلا ثعلب مراوغ غدار.

الجندي الأول : (لبارول) بما ان صفاته هكذا سيئة فلا غنى لي عن سؤالك اذا كان الذهب يقرّه ويدفعه الى الثورة والتمرد؟

بارول : نظراً الى خسة طبعه يبيع خلاصه بربع دينار، فيتخلى عن الجنة ويحرم منها احفاده الى الأبد.

الجندي الأول : وماذا تقول عن اخيك الضابط الثاني دوماين؟

السيد الثاني : (على حدة) لماذا تراه يسأله عني؟

الجندي الأول : (على حدة) ما صنف هذا الرجل؟

بارول : هو غراب من نفس الفصيلة، لا يساويه ابداً في الخير بل يفوقه شراً وفساداً. وكجيان، يسبق اخاه، مع ان هذا الأخير شهير بخاسته. فقي التراجع والفرار لا جبان يضاهيه، اما في الهجوم فقدماه تتسمران في الأرض على الدوام.

الجندي الأول : اذا أنقذنا حياتك، هل تتعهد بخيانة الفلورنسين؟

بارول : نعم، مع ضابط الفرسان كونت روسيون.

الجندي الأول : سأبادل القائد بضع كلمات بصوت خافت لأعرف ما هو قراره؟

بارول : (على حدة) لا اريد أن يكلمني احد بعد الآن عن الطبل. سحقاً لجميع الطبول. انما لكي اخدم هذا الكونت الشاب المتهتك واوصي اليه بالثقة، قد القيت بنفسي في المهالك. لكن، من كان يفكر بنصب مثل هذا الكمين الذي اوقعني في الفخ؟

الجندي الأول : لا خلاص لك يا سيدي، يجب ان تموت. يقول القائد: بما انك حثت بيمينك وبحث بجميع اسرار الجيش وبيت للعدو اعداد المحاربين وكشفت هكذا عن طبيعة سلاح النبلاء، فانت لا تتحلى بأبي شرف في هذه الدنيا. وبالنتيجة يجب ان تموت. هيا، يا جلاذ اقطع رأسه.

بارول : يا الهي. دعني على قيد الحياة يا سيدي. دعني انتظر ساعة وفاتي.

الجندي الأول : (يمصب له عينيه) شاهد الآن موتك يا مسكين وودع اصدقاتك ثم اجل بصرك فيما حولك. فهل تعرف هنا احداً.

برتران : نهارك سعيد ايها الضابط النبيل.

السيد الثاني : عافاك الله ايها الضابط بارول.

الجندي الثاني : ماذا تقصد ان تقول لسيدي لافو ايها الضابط، فأنا ذاهب الى فرنسا.

السيد الأول : ايها الضابط الكريم، هل تريد ان تزودني بنسخة من القصيدة التي نظمتها لديانا تكريماً لكونت روسيون؟ لو لم تكن جباناً حقيراً لكنت جابهتك واخذتها منك بالقوة. لكن، الوداع.

(يخرج الجميع ما عدا بارون والجندي الأول).

الجندي الأول : لقد خسرت كل شيء ايها الضابط، ولم تعد تملك سوى شالك.

بارول : من لا يتوقع دماره وخراب بيته على اثر اكتشاف اشتراكه في مؤامرة خطيرة؟

الجندي الأول : إن تمكنت من ايجاد بقعة تحتقر فيها المرأة بقدر ما نابني من الازدراء يسعك حيثذ ان تكون زعيم امة من السفهاء. اتمنى لك العافية يا سيدي، انا ايضاً ذاهب الى فرنسا وستحدث عنك هناك.

(يخرج).

بارول : (وحده) الحمد لله على كل حال. مهما كان قلبي كبيراً فهذا الوضع يحمله على الانفجار. لا اريد ان اظل ضابطاً بعد الآن. لكني اريد أن آكل واشرب بأمان كأبي مخلوق في الدنيا. يجب ان اكون بكل بساطة فقط كما انا في الحقيقة لأعيش على هواي. فمن يعرف نفسه انه جبان عليه ان يلتزم الحذر دائماً. أن الجبان لا بد له يوماً من يصنّف كحمار. إصدأ يا سيف، وغب يا خجل. وانت يا بارول عش بهوان في احضان العار والذل. لقد اصبحت سخيفاً بل في غاية السخف. وما دام في هذه الدنيا نصيب من الموارد والمكان لكل رجل، هيا اذهب الى حيث يدعوك مصيرك المحتوم

(يخرج).

## المشهد الرابع في فلورنسا عند الأرملة.

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا).

هيلانة : لكي اتمتع بانني لم اظلمك سيفصل بيننا كبير الأمراء، وامام عرشه سأجئو قبل إنجاز مشاريعي. منذ مدة أدت له خدمة جلييلة عزيزة على قلبه كحياته، خدمة تهز عواطف الجلاد المتحجر وتستدرّ رأفته والحنانة. علمت ان سموه كان في مرسيليا، ولكي اذهب الى تلك المدينة وجدت قافلة على اهبة الرحيل، وكان الجميع يعتقدون اني مائتة. كان الجيش ممزقاً فرجع زوجي الى القصر، وكنت آمل، باذن مولاي الملك، ان اعود قبل وصول ضيفنا.

الأرملة : يا سيدتي اللطيفة، لم يكن لديك سابقاً خادمة امينة ترعى مصالحك. هيلانة : ولا انت كان لك سيدة، او بالحري صديقة لتكافئ اخلاصك. لا تظني ان السماء قد ارسلتني لأمد يد العون الى ابنتك كما ساعدتني على ايجاد زوجي. لكن الغريب في الأمر ان يلجأ الرجال الى مداراة ما يكرهون، بينما ثقتهم في اشواقهم الغرامي المخذولة تنهار في ظلام الليل. فندغدغ الدعارة ما تبغضه عندما يغيب الوعي عن بصائرهم. ستحدث في هذا الموضوع قريباً. وستألين كثيراً يا ديانا بسبب انقيادك الى تعليماتي المسكينة.

ديانا : ارجو ان احتفظ بشرفي الى آخر نسمة من حياتي، وان اظل صامدة اتحمل كل العذابات في سبيل رضاك.

هيلانة : استحلفك ان تصبري قليلاً. فالوقت يعيد الينا صفاء ايام الصيف فتزهر الأشجار وتغيب الأشواك، اذ رغم الشوك تشم رائحة شذى العطر. هيا نذهب، فمرتبنا جاهزة والمهل امامنا قصيرة المدى، والعبرة في النهاية،

ما دامت الخاتمة تتوج العمل. ومهما كانت المشاكل معقدة وعسيرة الحل  
لا بد من بلوغ النتيجة الحاسمة.  
(تخرجان).

## المشهد الخامس في قصر كونت روسيون

(تدخل الكونتيس ولانور والمهراج).

لافو : كلا، ثم كلا. لقد ذهب ابنك ضحية تضليل مشعوذ مكّار، ناعم  
الملمس يفتن بدهائه المشؤوم عقلية شعب بكامله. بدونك كانت كنتك لا  
تزال على قيد الحياة، وابنك هنا بقربك في كنف الملك الذي يراعه بطريقة  
افضل بما لا يقاس من هذا الثعبان الغدار الذي حدثك عنه.  
الكونتيس : كم اتمنى ان لا اكون عرفته، لأنه سبب موت اشرف امرأة  
عرفتها. حتى ان كانت من لحمي ودمي، وإن كلفتني الكثير من عناء التريبة  
ومن سهر الليالي لو كنت امها الحقيقية، لما تغلغل جيبها في اعماق قلبي  
اكثر مما انا متعلقة بها الآن.

لافو : هي سيدة كريمة الأصل موفورة الكرامة.  
المهراج : في الحقيقة هي جوهرة نادرة لا تقدر بثمن.  
لافو : بل هي رهرة زاهية فواحة العطر، لا عشبة رديئة كما يظنها البعض.  
المهراج : انا لست بعالم كبير يا مولاي، كي أُميّز بين الزهر والعشب.  
لافو : ما هي مهنتك ايها الدجال المجنون.  
المهراج : اجل، انا مجنون في خدمة امرأة، ومحتال في خدمة رجل.

لافو : اشرح قولك.

المهْرَج : استميل زوجة الرجل الذي اخذمه.

لافو : هكذا تكون دجالاً في رعاية مصالحه.

المهْرَج : وألّمح لامرأته عن رغباتي المغرية بخدمتها.

لافو : انا موافق على قولك انك محتال ومجنون معاً.

المهْرَج : في خدمتك يا سيدي.

لافو : كلا ثم كلا.

المهْرَج : اجل يا مولاي. ان لم استطع ان اخدمك، سأخدم اميراً خطيراً مثلك.

لافو : اي امير تعني؟ هل هو فرنسي؟

المهْرَج : اسمه انكليزي، انما طلعت البهية الجذابة تدل بالحري على انه

فرنسي اكثر مما هو انكليزي.

لافو : من هو هذا الأمير؟

المهْرَج : الأمير الأسود يا مولاي، الملقب بأمير الظلمات اي ابليس.

لافو : (يرمي اليه بمحفظة نقوده) اليك نقودي، وانا اعطيك اياها كي لا

تكف عن خدمة سيدك وقد خبرته جيداً. فثابر على خدمته دائماً.

المهْرَج : انا من سكان الغابات يا مولاي، واحب اضرام النار. والسيد الذي

حدثك عنه يحب النار المشتعلة. ربما لأنه امير خطير، فما على حاشيته

إلا ان تقاوم مجلسه في البلاط. اما انا فأفضل البيت الضيق الباب الذي

تلج العظمة بسرور راغبة في ضيقه لأنه يلائم القوم المتواضعين. ولأن اغلب

الداخلين يرتجفون بسبب ضعفهم ويميلون الى الطريق المفروش بالزهور

المؤدي الى الباب الكبير والنار الملتهية.

لافو : سر في طريقك لأنني اخذت اشعر بالتعب في حديثك، وانا أئين

لك ذلك كي لا ينشأ خلاف بيننا. اكمل طريقك، واجتهد ان تحسن معاملة

جيادي بدون ان تحتال عليها.

المهْرَج : اذا احتلت عليها لن يكون خداعي سوى لعبة سمجة، والطبيعة

تجيز مثل هذا اللعب.

(يخرج)

لافو : (للكوتيس) تبا له من محتال لعين. انه حقاً وغد سافل.  
الكوتيس : هذا صحيح يا مولاي، هو لا يعرف للياقة معنى. يمكث هنا  
بمحض ارادته؛ واذا أظهر قلة حياته هكذا فلأنه لا يحترم احداً.

لافو : لا ضرر من ذلك، وانا احبه على تصرفه. اريد ان اقول لك اني  
عندما سمعت بموت هذه السيدة، وقرب عودة سيدي ولدك، رجوت مولاي  
الملك ان يكلمه بخصوص ابنتي. فوعدني بجلالته خيراً، واقترح عليّ هذا  
الزواج، عندما كانا كلاهما لا يزالان قاصرين. فحدثني سموه بالبحاح مجدداً  
في هذا الموضوع، ولكي يضع حداً لاستيائه من ولدك، لم يجد أولى من  
اللجوء الى هذه الوسيلة. فما رأي سعادتك؟

الكوتيس : انا مسرورة جداً يا سيدي، واودّ ان ارى انجاز هذا المشروع قريباً.  
لافو : سموها عادت من مرسيليا الى مقرها منشطة كأنها في الثلاثين من  
عمرها. والملك سيكون هنا غداً، اذا صدقت معلوماتي التي نادراً ما تخدعني  
ولا تخيب توقعاتي.

الكوتيس : يسعدني جداً ان آمل بمشاهدتها قبل ان اموت. فقد وصلتني  
بعض رسائل تفيدني ان ولدي سيكون هنا في هذا المساء. فاستحلف سيادتك  
ان تمكث عندنا حتى تتم مقابلتهما.

لافو : كنت اتساءل يا سيدي، بأية صفة اتعرف اليهما؟  
الكوتيس : عليك ان تبرز امتيازاتك المشرفة.

لافو : لقد استخدمتها كثيراً على هواي. واشكر الله انني لا ازال انعم بالوقار  
والاحترام.

(يدخل المهرج)

المهرج : يا سيدي، ها هو مولاي ابنك قد وصل، وعلى محياه عصبية  
من المخمل. ولست ادري ان كان يريد اخفاء جرح وراء هذا المخمل.  
مهما كان الأمر هي عصبية حلوة، وخذ مولاي فيها خيال بثلاث شعرات  
بينما خدّه الأيمن يخلو من اية علامة فارقة.

لافو : لا بد من ان يكون قد تلقى جرحاً بنبل اثناء القتال، وهي شارة  
مشرفة بدون شك.

المهرج : وجهك انت ليس انقى منه.  
لافر : هيا نشاهد ابنك لأنني في غاية الشوق لأنحدث الى جندي شاب نظيره.  
المهرج : لعمري هناك عشرة اشخاص، يرتدون قبعات جميلة لها ريشات  
مميزة، وينحنون للسلام عليه.

(بخرجان).

## الفصل الخامس

### المشهد الاول

في مرسيليا، امام منزل فخم.

(تدخل هيلانة والأرملة وديانا وخادمان).

هيلانة : الهرولة في عربة السفر نهاراً وليلاً، امر مرهق حقاً، لكن لا حيلة لنا لتجنبه. انما ثقوا انتم الذين تتعبون في خدمتي باستمرار، رغم نحافتكم وانتم راضون لا تذمرون، بأنني لئن انسى وفاءكم ما حيت، واعتبر ذلك من حسن حظي.

الوجيه : ولن انسى افضالك يا سيدتي.

هيلانة : يخيل الي اني شاهدتك في بلاط فرنسا يا سيدي.

الوجيه : اجل ذهبت الى هناك مراراً عديدة.

هيلانة : اعتقد بانك لا تزال تحافظ على مقامك الرفيع وحسن رعايتك مهما تقلبت الظروف التي تبعد احياناً عن كل كلفة رسمية. لذا ألتمس منك خدمة اعتبرها معروفاً تطوق به جيدي على مدى الأزمان.

الوجيه : ماذا تريدان يا مولاتي؟

هيلانة : ان تكرم وتسلم جلالة الملك هذا المعروض وان تساعدني على مقابله، بما لك من نفوذ في البلاط.

الوجه : الملك ليس الآن هنا.

هيلانة : ليس هنا؟

الوجه : لا، حقاً. لقد رحل الليلة البارحة مستعجلاً على غير عادته.

الأرملة : يا الهي لقد ضاع تعبنا سدىً.

هيلانة : العبرة في النهاية يا مولائي. مهما عاكدتنا الظروف وهزلت الوسائل،

لا بد من الوصول الى الغاية، اذا كان لنا فيها من نصيب. ارجوك ان تقول

لي الى اين ذهب؟

الوجه : الى روسيون على ما فهمت، حيث انا ايضاً ذاهب.

هيلانة : (تمد اليه ورقة) رجائي اذاً يا سيدي، بما ان من المحتمل ان

تقابل الملك قبلي، ان تتكرم وتسلمه هذه الورقة. أؤكد لك انك لن تتعرض

لأية ملامة بالعكس سيشكرك على خدمتك. وسأوافيكما بأسرع وقت ممكن.

الوجه : (يستلم الورقة) سأقوم بهذه المهمة مسروراً.

هيلانة : وستكون مشكوراً مهما حدث. هيّا نمتطي صهوة جيادنا (لرجالها)

تعالوا نتهياً للرحيل.

(يخرجون).

## المشهد الثاني

في باحة قصر كونت روسيون.

(يدخل المهرج وبارول بيده ورقة).

بارول : يا سيدي الكريم، ارجو ان تسلم هذه الرسالة للسيد لافو. كنت في الماضي تعرفني اكثر من الآن، حين كنت ارتدي ثياباً انظف. لكني حالياً كلي غبار، والتعب يبدو على سحتي ورائحة عرقى ربما تبعث على الإشمزاز.

المهرج : حقاً هيتك لا ترضي ولا تبعث كثيراً على الإرتياح، وانا عازم على ان لا أشم مثل هذه الرائحة الكريهة بعد الآن. (يسد أنفه) ارجوك ان تقترب من النافذة المفتوحة.

بارول : هيا لا حاجة الى سدّ انفك يا سيدي، فانا لم اتكلم إلا على سبيل التشبيه فقط.

المهرج : يا صديقي اذا كان تشبيهك له هذه الرائحة، فعلياً ان اسد انفي لقاء تشبيه آخر. ها هوذا لافو بذاته.

(يدخل لافو)

شكراً. سيادته يمثل الغدر، كالذئب الماكر الذي سقط في مستنقع قدر ضحل المياه. ارجوك ان تفعل ما تستطيع عمله لإغراق هذا اللعين. لأن سحته تدل على المسكنة والبؤس والخبث واللؤم والردائة مجمعة. انا اؤكد لك ان كاتبه تثير نفوري. لذا تركه لسيادتك.

(يخرج).

بارول : يا مولاي، انا رجل سيء الحظ، قست عليّ تقلبات الأيام. لافو : وبماذا تريد ان اسعفك؟ فات الأوان حالياً لتقليم اظفاره. بماذا اسأت الى الزمان حتى عاملك بهذه الخشونة، وكيف خدشت الظروف وجهك، وهي تشبه السيدة الشريفة التي لا تدير للدجالين ظهرها كي لا تتجع مكائدهم

في رعايتها. (تعطيه قطعة نقود). هذا ربع دينار لك. اتمنى ان ينصفك الدهر  
ويغير احوالك ويسعد الحظ ايامك. لديّ أشغال اخرى، فاعذرنى.  
بارول : أتمس من سيادتك ان تسمع مني هذه الكلمة الوجيزة.  
لافو : (يعطيه قطعة نقود اخرى) هل تريد المزيد من المال؟  
بارول : لا يا سيدي الكريم، انا ادعى بارول.  
لافو : لذلك تريد ان تقول لي كلمتك. لعنة الله على الشيطان. هات يدك.  
كيف حال طلبك؟  
بارول : انت اول شخص تمكن من رؤيتي على حقيقتي وعرف قيمتي.  
لافو : حقاً؟ وانا اول من خسروا صداقتك.  
بارول : انت وحدك تستطيع ان تعيد اليّ اعتباري، لأنك انت سبب ضياعي.  
لافو : سحقاً لك ايها اللعين. انت تريد بمساعدتك ان اقوم في وقت واحد  
مقام الله الكريم العادل ومقام الشيطان اللئيم القادر. فأرفعك بعد ان تسببت  
في سقوطك كما تقول. (يسمع صوت بوق) ها قد وصل الملك. الا تسمع  
صوت البوق يا محتال؟ ستأتي اليّ فيما بعد. بالأمس بلغتني اخبارك المشؤومة  
يا مهووس، وهي غير مطمئنة ابداً. هيّا اتبعني.  
بارول : اشكر الله على وجودك معي.

(بخرجان).

## المشهد الثالث في قاعة كبيرة بقصر كونت روسيون

(تصاح الموسيقى. يدخل الملك والكونتيس ولافو وسادة وحرس، الخ).

الملك : لقد خسرنا بفقدانها جوهرة غالية. فخبيا رونق زهونا. اما ولدك فقد ضيعه جنونه لأنه لم يعرف مقدار نفسه.  
الكونتيس : هذه مسألة قديمة يا صاحب الجلالة. ألتمس من سيادتك ان لا ترى فيها سوى فورة عابرة اثارها نزع شبابه، لأن الدم يغلي في عروقه ويلهب عنفوانه فيحرق ما حوله، وقد اعى الطيش بصيرته.  
الملك : ايها السيدة الموقرة، لقد سامحته ونسيت اساءته. ولو كنت انوي الإنتقام منه، لما كان الآن هنا بجوارك.  
لافو : هذا ما رددت ان اعبر عنه، وانا التمس عفوك ايها الملك وصفحك. ارجو المعذرة، فهذا الشاب تصرف حيالك وحيال والدته وزوجته ايضاً بشكل مهين. انما الضرر الأكبر لحقه هو شخصياً. اذ فقد زوجته الحسنة وبريق عينيها التجلاوين وعقلها الراجع وفضيلتها السامية.  
الملك : هيا اجلبوه الي هنا، فان إلقاء نظرة واحدة عليه تفسر كل ما يعذب فؤاده وتخفف ما اقترفه من ذنوب. فالمرأة التي اساء اليها اكثر من سواها قد فارقت الحياة وابتقت ذكراها في قلبه غصة لا تخمد نارها. فليتقدم كغريب لا كمجرم (لأحد الوجهاء) أفهمه ان هذه هي رغبتى.  
الوجه : امرك مطاع، يا صاحب الجلالة.

(يخرج).

الملك : (للافو) ماذا قال عندما ابديت له فكرة اقترانه بابنتك؟ هل حدثته بالأمر؟

لافو : هو يحترم جلالتك احتراماً لا مزيد عليه، ولن يخالف مشيئتك.  
الملك : اذاً، سنعد له وليمة العرس. ومنذ برهة استلمت رسائل تشيد بأمجاده.

(بدخل برتران).

لافو: ما اروع محيك المشرق، وما ازهر طلعتك البهية!  
الملك: (لبرتران) انا لست كالنهار الحزين، بل كالشمس الساطعة، حتى  
إن كان البرد يتساقط بغزارة. أمام الأشعة المنيرة تتبدد الغيوم، فأبرز نفسك  
لأن الطقس عاد اليه الصفاء.

برتران: أتمس من رحابة صدرك يا صاحب الجلالة ان تصفح عن ذنوبي  
وتقبل توبتي الصادقة.

الملك: كل شيء انتهى. لا تزد كلمة على ما نطقت به. ولننتقم فرصة  
السلام والوثام لأن الوقت يمر بسرعة ونحن نتقدم في السن، فلا ندعه يفلت  
منا (يشير لافو الي برتران) هل تتذكر ابنة هذا السيد؟

برتران: بكل فخر واعجاب ايها الأمير. في الماضي وقع اختياري عليها  
بدون ان يحسر قلبي على دفع لساني الي التعبير لها عن حقيقة شعوري  
نحوها وحيال هذه العاطفة الأولى لست ادري كيف طفي علي فنظرت اليها  
بعين الإزدراء وكرهت جمالها وكرهت فضائلها، وفي كل مكان لم ابصر  
إلا نقيض صفاتها العالية بابشع الظواهر الخداعة. وهكذا بدت لي هذه المرأة  
التي يشي على حسنها وعلى صفاتها جميع الرجال والتي احببتها انا في الماضي  
فخسرتها وقد انقلب صلاحها في عيني الي أخط الفساد.

الملك: ها انت تجد لنفسك الأعذار الكافية. فان إقرارك بأنك احببتها  
يخفف من سوء تصرفك. والحب الذي يأتي متأخراً يشبه نعمة تنزل علينا  
ببطء وتقلب على ملتمسها الحكيم كأنها ملامة مريرة تصرخ: ان فقيدتنا  
صبية بريئة، لأن استخفافنا الجاني حملنا على الإستهتار بالأشياء الثمينة التي  
نملكها ولا نعرف قيمتها إلا عندما نخسرها، كما اننا لا نقدر الأشخاص  
من حولنا إلا بعد ان يغيبوا عن انظارنا أو يصبحوا من سكان القبور. غالباً  
ما تدفنا اهاوؤنا العمياء الي التضحية بأعز اصحابنا الذين نبكيهم بعد ان  
نخسرمهم لأن صداقتنا العميقة لا تلبث ان تدرك تصرفنا المشين، لكن بعد  
فوات الأوان. ارجو ان يكون هذا التنبيه ناقوس الخطر حيال هيلانة الفاتنة.  
الأولى بنا ان ننساها. عليك الآن ان تقدم هديتك للحمساء مدلين لأن الجميع

يوافقون عليها، ونحن هنا بانتظار ان ينتهي ترمك بافراح عرسك هذا الثاني.  
الكونتيس : ارجو ان يكون ابهج من الأول. بارك الله مسعاك، والآ أدركني  
الموت قبل ان تتم فرحة زواجك هذا.

لافو : اقترّب، يا ولدي، يا فرحة عمري وثروة أسرتي. قدم لي برهاناً على  
حبك لابنتي علي رجاء ان يجمعك بها في القريب العاجل. (ينزع برتران  
من اصبعه خاتماً ويعطيها اياه) بحق لحيتي التي وخطها الشيب، وجمال  
شعر هيلانة التي ماتت وكانت امرأة مثاليّة، هذا خاتم يشبه الذي رأيته في  
اصبعها يوم ودعتها وهي تغادر البلاط.

برتران : هذا لم يكن يوماً خاتمها.

الملك : (بأخذ الخاتم) دعوني اتفحصه، لأن نظري وقع عليه منذ برهة  
مراراً عديدة وانا اتحدث، ويخيل لي ان هذا الخاتم يخصني. لأنني عندما  
اهديته لهيلانة قلت لها: اذا احوجتها الظروف الى حمايتي، فهذا الخاتم  
كفيل بأن يؤمنها لها. فهل احتلت عليها وحرمتها من اقوى وسيلة يمدها  
بما يلزمها من العون؟

برتران : أؤكد لك يا صاحب الجلالة ان هذا الخاتم لم يكن يوماً خاتمها.  
الكونتيس : اقسم لك بحياتي يا بني اني شاهدته في اصبعها، وكانت حريصة  
عليه حرصها على حياتها.

لافو : انا واثق بأنها كانت تضعه في اصبعها.

برتران : انت مخطيء يا مولاي، هي لم تره ابداً، اذ إنني تلقّيته من النافذة  
حين كنت في فلورنسا، وكان مصروراً في ورقة كتب عليها اسم من رميتي  
به، وهي فتاة من النبلاء كانت تظنني حراً من كل ارتباط. لكنها عندما  
اوضحت لها حقيقة وضعيتي واعلنت لها اني لا استطيع تلبية رغبتها حسب  
الأصول والشرف تحفظت بازعان اليم. لكنها دون ان ترضى ابداً بأن تسترد  
خاتمها هذا.

الملك : بلوتوس ذاته الذي يعرف فنّ تحويل المعادن لا يملك سر طبيعة  
هذا الخاتم اكثر مني. لأنه كان يخصني، وقد خصّ هيلانة ايضاً. فلا اهمية  
لمن اعطاك اياه. ان كنت حقاً على يقين بأنك تتمتع بكامل وعيك، اعترف

بأنه كان لها واعترف أيضاً بأية وسيلة خسيمة ملتوية قد حصلت عليه منها، يوم اشهدت عليها جميع الملائكة بأنها لا تنتزعه من اصبعها إلا لكي تعطيك اياه شخصياً في السرير الذي لم تشاركها اياه مطلقاً او لكي ترسله اليّ اذا داهمتها محنة فادحة.

برتران : هي لم تره ابداً.

الملك : انسم لك بشرفي انك لا تقول الحقيقة، وانك تبعث في نفسي قلقاً خانقاً. فلو ثبت انك عديم الإنسانية الى هذا الحد... هذا غير ممكن. مع ذلك انا اعلم جيداً انك كنت تكرهها حتى الموت. وقد فارقت الحياة، ولا شيء، إلا عندما تغمض عيني ساعة أَلْفِظ آخر انفاسي، يمكن ان يغير قناعتي بسرّ هذا الخاتم. (للحراس) خذوه. (يطوق الحرس برتران) فهما حدث، فالبراهين الظاهرة تثبت ما اخشى ان يكون قد حلّ بها وما سُمّته هذه الصيبة باستهتارك من أليم العذاب. خذوه. وسأنظر فيما بعد في هذه القضية بتعمق وتدقيق.

برتران : اذا توصلت الى اثبات كون هذا الخاتم يخصّ هيلانة تثبت في الوقت ذاته بأنني اضجعت في سريرها في فلورنسا حيث لم تذهب ابداً في حياتها. (يخرج برتران، يحيط به الحرس).

(يدخل الوجه الذي صادته هيلانة في مرسلها).

الملك : هذه الأفكار الفظيعة تقلق بالي.

الوجه : ايها الملك العادل، لست ادري ان كنت استحق الملامة او لا، هذا معروض قدمته سيدة من فلورنسا كادت تفقد عفتها اربع او خمس مرات ورجعتي ان اسلمك اياه شخصياً. فقد كلفتني بهذه المهمة وألحّت علي بلطف كلامها متمسة وهي تنتظر على احر من الجمر جوابك وأوامرك يا صاحب الجلالة. وقد بدت اهمية القضية بوضوح على مجيها المشرق اذ قالت لي بكلماتها الرقيقة التي تشغل الآن بال جلالتك بأن الأمر يهمك للغاية.

(يسلم الرسالة للملك الذي ينفذها).

الملك : (يقرأ) ... وبعد وعود عديدة صريحة بأن يتزوجني كونت روسيون

عندما تموت امرأته، يحمر وجهي خجلاً بأن اعلن انه اغواني . الآن ترمل هذا الكونت ولم يف بوعده لي بانقاذ شرفي، بل هرب من فلورنسا بدون ان يعلمني بعزمه على الرحيل لكلا اطالبه بوفاء تعهده. فأرجوك ان تصفني منه يا صاحب الجلالة وانا واثقة بأنك قادر على ذلك. وإلا انتصر شاب طائش اغوى فتاة فضاعت عفتها لأنها صدقت كذبه وانطلى عليها خداعه .  
ديانا كابولية

لافو : اودّ أن اشترى سهراً جديداً من السوق وابع هذا الغشاش الذي لم اعد أتق به.

الملك : لقد حالفتك السماء يا لافو، بهديك الى هذا الإكشاف الهام. جيئوني بصاحبة هذا المعروض. وعجلوا باحضار الكونت الى هنا. (يخرج احد الوجهاء مع خادم. للكونتيس) اخشى يا سيدتي ان تكون هيلانة قد قضت نحبها ضحية مجرم شرس.

الكونتيس : في هذه الحالة، ليس امامنا إلا الاقتصاص من المجرم اللئيم.  
(يدخل برتران بحيط به الحرس)

الملك : (لبرتران) انا اعجب يا سيدي من نظرتك الى المرأة كأنها عنقاء توحى اليك بالهرب حالما تحلف بأنك ستؤمن لها الحماية الزوجية، ومن رغبتك الآن في الزواج. (يعود الوجه مصطحباً ديانا والأرملة) من هي هذه المرأة؟

ديانا : انا يا مولاي، تلك التعيسة الفلورنسية المنحدرة من اسرة كابولية القديمة العهد. وعلى ما بلغني، اصبح معروضي معلوماً لديك وبت يا صاحب الجلالة تعرف ما اشكو منه، وكم انا مظلومة بسببه.

الأرملة : انا امها يا مولاي. وشيخوختي وشرفي يأبيان وقوع مثل هذا الحيف المشين الذي لا نقره ولا نرضى به جميعنا بأن يذهب ضحيته هذان الزوجان لا بد من ايجاد حل لهذه المشكلة المعقدة

الملك : اقرب ايها الكونت. هل تعرف هاتين المرأتين؟  
برتران : انا لا استطيع ولا اريد ان انكرهما يا مولاي. اني اعرفهما حق المعرفة. هل هناك تهمة اخرى؟

ديانا : (لبرتزان) لماذا تنظر الى زوجتك بمثل هذا الازدراء؟  
برتزان : لا علاقة لي بهذه المرأة يا مولاي.

ديانا : اذا تزوجت ستمنح امرأة غيري شخصك الذي يخصني، ولغيرها ستقدم عهدك المقدس الذي يخصني ايضاً، وستحرمني من ذاتي لأنني اخصص نفسي بطبيعة الحال، ووعودك ليست قسماً من كيانك اكثر مما تخص التي ستزوجها والتي سترتبط هكذا بحياتنا نحن الاثنين.

لافور : (لبرتزان) سمعتك، على ما ارى، ليست بمستوى فضيلة ابتي، لذا اعتبرك مستحقاً ان تكون زوجها.

برتزان : (للملك) يا مولاي، هذه المرأة مجنونة ومفترية، وقد سخرت في الماضي مراراً من تصرفاتها. فأرجو أن تتغير جلالتك رأيك في، وان تكون على يقين بأنني ارفع من ان انحط الى الدرك الذي تظنني انحدرت اليه. الملك : رأيي، يا سيدي، أن نتفاهم واياها حين تتصالحان. فألمي ان تضعك افعالك في مستوى أعلى من الذي اراك فيه.

ديانا : ارجوك، يا مولاي الكريم، ان تسأله، بعد أن يقسم اليمين، ألم يمتلك بتوليتي؟

الملك : ما هو جوابك على هذا السؤال الوجيه؟

برتزان : انها عاهرة لا تستحي، تبيع جسدها لكل من يدفع ثمنه الرخيص في سوق الدعارة.

ديانا : هذه اهانة لا اقبلها يا مولاي. لو كنت كما يقول لكان اشتراني بأبخس الأثمان. لا تصدقه. انظر الى هذا الخاتم الذي يخطف جماله الأبصار والذي تقدر قيمته بثروة طائلة. لقد اعطاني اياه كعاهرة في سوق الدعارة كما يقول، لو كنت انا كذلك.

(نشير الى خاتم في اصيها).

الكونتيس : ها هو يحتر خجلاً. لأن هذا هو خاتمهم بالذات. فمنذ عشرة اجيال هذه الماسة انتقلت بالوراثة من الجد الى الابن ثم الى الحفيد، وهكذا حملها جميع افراد الأسرة. فهي اذاً زوجته، وهذه الماسة هي بمثابة الف شاهد والف برهان.

الملك : الم تقولي انك ابصرت هنا في البلاط شخصاً يمكن استدعاؤه للشهادة.

ديانا : هذا صحيح يا مولاي، لكني اكره ان اقدم للشهادة مثل هذا الرجل الدنيء الذي يدعى بارول.

لافو : رأيت اليوم هذا الرجل، ان كان يستحق اعتباره من الرجال.  
الملك : (يلتفت الى رجاله) ابحثوا عنه وجيئوني به.

(يخرج بعض الخدم).

برتران : ما الفائدة؟ هو معروف كمحتال دجال ملطخ بجميع ما في العالم من اقدار، تأنف طبيعته المنحطة ان تقول كلمة صدق واحدة. فهل شهادة مثل هذا المخلوق الخبيث تجعلني هذا أو ذلك من اصناف البشر؟  
الملك : المدعية لديها خاتم اخذته منك.

برتران : هي صادقة يا مولاي. وهذا دليل على انها أعجبتني وانها جذبتني بغنجها ودلالها، فارتعيت في احضانها اثناء فورة الشباب. وكانت عالمة بالفوارق التي تفصل بيني وبينها. ولكي تذلل كل رفض من قلبي اثارَت اشواقِي بتمنعها الشكلي، لأنها تعرف جيداً ان كل ممنوع مرغوب وان كل عقبة تقف في وجه الشهوة تحمسها وترغبها في مضاعفة الالحاح. اخيراً لا انكر قتها البارع في اصطياد الرجال وفي فرض شروطها عليهم. فالت هذا الخاتم لقاء ما جادت عليّ به من متعة كما يشتريها غيري بسم السواق.  
ديانا : لا انكر ذلك. فانت بعد أن طردت زوجتك الأولى النبيلة، لم استغرب منك أن تردّل زواجنا. لديّ كلمة اخيرة. بما انك تفتقر الى الفضيلة انا لا آسف على فقدانك كزوج. كلف احداً يجلب لك خاتمك كي اعيدَه اليك بشرط ان ترد لي خاتمي.

برتران : لا خاتم عندي.

الملك : ارجوك ان تشرحي لي كيف كان خاتمك.

ديانا : يا مولاي، هو يشبه تماماً هذا الخاتم الذي تضعه في اصبعك.  
الملك : (يمد يده) هل تعرفين هذا الخاتم؟ انه عين الخاتم الذي كان في اصبع الكونت.

ديانا : وهو الخاتم الذي اعطيته اياه حين اندسّ في سريري.  
الملك : اذاً كانت قصة رميه اليه من النافذة رواية مختلفة.  
ديانا : وان ما قلته انا هو الحقيقة الناصعة.

(يدخل بارول).

بيرتران : (للملك) يا مولاي، انا أعترف بأن هذا الخاتم كان يخصها.  
الملك : انت تلعنم بكل بساطة، وألاحظ انك ترتجف كريشة في مهب  
الريح. (يشير لديانا الي بارول) اهذا هو الرجل الذي تكلمت عنه؟  
ديانا : اجل يا مولاي.

الملك : (لبارول) تكلم يا محتال، وقل بصراحة كل ما تعرف. انا آمرك  
بأن تكلم ولا تخف غضب معلمك، فانا احملك من أذاه، اذا كنت صادقاً.  
ماذا تعرف عنه وعن هذه المرأة؟

(يشير الي الكونت والى ديانا).

بارول : يا مولاي، لقد تصرف معلمي دائماً كرجل نبيل شريف، ونظير  
كل الوجهاء تصرف ايضاً على هواه.  
الملك : هيا اخبرنا بدقة وتفصيل، هل أحب هذه المرأة.  
بارول : اجل يا مولاي، لقد احبها.  
الملك : كيف احبها؟

بارول : احبها يا مولاي كما يهوى اي وجيه امرأة جميلة تأخذ بمجامع  
القلوب.

الملك : اراك تتقلب في كلامك. فأني نوع من المحتالين انت؟

بارول : انا رجل مسكين في خدمتك يا مولاي.  
لافو : هذا طبل ممتاز يا مولاي، لكنه ركيك العبارة وخطيب غير مفوه.  
ديانا : هل تعرف إن كان وعدني بالزواج؟

بارول : بذمتي، انا اعرف اكثر مما اريد ان اقول.

الملك : أوّلا تريد ان تصرح بكل ما تعرف؟  
بارول : اجل يا صاحب الجلالة، كنت الوسيط بينهما كما قلت لميادتلك.  
وأضيف انه كان يحبها، بل كان في الحقيقة مولعاً بها، ويتكلم عن ابليس

وعن المطهر وعن الثورات ولا ادري ماذا ايضاً. علاوة على ذلك كنت اسمع تسماتهما، فعلمت انهما ناما في سرير واحد وانه وعدھا بالزواج، وغير ذلك من التفاصيل التي تجلب على رأسي الويلات اذا بحث بها. لذا لن اقول كل ما اعرفه.

الملك : لقد قلت كل ما يهمننا، إلا اذا اضفت انهما متزوجان. في الواقع انت بارع في تمويهانك. يمكنك ان تقف هناك. (لديانا) تقولين ان هذا الخاتم يخصك؟

ديانا : اجل، يا مولاي الكريم.

الملك : من اين اشتريته؟ او بالحري من اهداك اياه؟

ديانا : لم يعطني اياه احد، ولم اشتريه.

الملك : من اعارك اياه؟

ديانا : لم استعره من احد.

الملك : اين وجدته اذاً؟

ديانا : لم اجده في مكان.

الملك : بما انك حصلت عليه بطريقة غير التي ذكرناها، اعلميني كيف امكنت ان تعطيه اياه؟

ديانا : انا لم اعطه اياه مطلقاً.

لافر : هذه المرأة زلقة اللسان يا مولاي، وتتكلم كما يحلو لها.

الملك : هذا الخاتم كان يخصني، وقد اهديته لأول زوجة اقترن بها الكونت.

ديانا : انا اجهل إن كان لجلالتك او لها.

الملك : خذوا هذه المرأة، لأنها لا تعجبني. احبسوها واحبسوه هو ايضاً.

(لديانا) اذا لم تبيتي لي كيف وصل اليك هذا الخاتم قبل مرور ساعة من

الآن ستعاقبين.

ديانا : لن اقول لك ذلك ابداً.

الملك : خذوها.

ديانا : انا مستعدة لتقديم سند كفالة، يا صاحب الجلالة.

الملك : الآن ايقنت انها عاهرة.

ديانا : (لبرتران) اقسم لك، إن كنت عرفت في حياتي رجلاً، انك حتماً انت.  
الملك : (يشير الى برتران) لماذا اتهمتها اذاً طوال هذا الوقت؟  
ديانا : لأنه مذنب وغير مذنب. وهو يعرف ولا يعرف اني لم اعد عذراء.  
ايها الملك الكريم، اقسم بحياتي بانني لست عاهرة. فأنا إما عذراء، او زوجة  
هذا المعجوز.

(تشير الى لانو).

الملك : هذه المرأة تسخر منّا. خذوها الى السجن.  
ديانا : يا اماما اذهبي واحضري لي مبلغاً من المال لكفالتني. (تخرج الأرملة)  
ارجوك ان تصبر قليلاً عليّ يا صاحب الجلالة. لقد ارسلت في طلب الصانع  
الذي صنع هذا الخاتم وهو يجيب عني. اما هذا السيد الذي استغلتني كما  
يعلم جيداً، فمهما كان موقفه غير سليم بالنسبة اليّ، انا اسامحه. هو يعلم  
جيداً ايضاً انه دَسّ سريري، ومع انه صيرني أمّاً، ورغم كوني في نظركم  
ميتة، انا اشعر بجيئني يتحرك في احشائي. هذا هو سريري. فالتّي تظنونها  
ميتة، لا تزال في الحقيقة على قيد الحياة. وهذا ما يفسر هذه الأحجية الغامضة.  
(تعود الأرملة تصحبها هيلانة).

الملك : او ليس في الأمر من مستحضري ارواح يخدعون نظري بطريقة  
علمية؟ هل ما اراه حقاً واقعي؟  
هيلانة : كلا، يا سيدي الكريم، انت ترى خيال زوجة، اي اسمها لا شخصها.  
برتران : لا بل كلاهما معاً. العفو.

هيلانة : يا سيدي العزيز، عندما كنت نظير هذه الصبية، عرفتك حينئذ رؤوفاً.  
هذا هو خاتمك، وهذه رسالتك التي تقول فيها: « عندما تحصلين على الخاتم  
الذي اضعه في اصبعي، وتحملين في احشائك جنيناً من صليبي. الخ... »  
كل هذا قد تمّ. فهل تريد ان تصبح زوجي، الآن وقد أسيت مرتبطاً بي  
بعهد مزدوج؟

برتران : عندما تفسّرين كل هذا بوضوح لجلالة الملك، سأحبك اكثر فاكثر.  
هيلانة : اذا كان ما قلته لك غير واضح، فيديهي ان يفصل بيننا طلاق  
حاسم (للكونتيس) يا امي العزيزة، هل اراك حقيقة امام ناظري؟

لاهور : عيناى تشمران بحرق كمفعول البصل. سَأبكي في الحال (لبارول)  
يا عزيزي المغرور، اعزني مندليك لحظة. اشكرك. تعال لتراني وتسليتي.  
انما اترك هنا رسمايتك لأنها تستدعي الشفقة.  
الملك : (لهيلاية) اعلميني مرحلة فمرحلة كيف جرت هذه القصة. ولتغمرنا  
حقيقتها بالسعادة والهناء. (لديانا) ان كنت لا تزالين زهرة نضرة نقيه اختاري  
زوجاً وانا ادفع بانثك. لأنني حزرت انك بمساهمتك الفعالة قد انقذت حياة  
زوجة بمحافظتك على بتوليتك وطهارتك. فهذه المغامرة وكل التعقيدات  
التي رافقتها ستوضح لنا حسب مشيئا. الى الآن كل شيء يبدو على ما  
يرام. واذا كانت الخاتمة ايضاً هكذا سعيدة، فان كل الولايات الماضية ستزول  
وتتضاعف حلالة المستقبل. (تصدق الموسيقى).

(نجه الأشخاص نحو المشاهدين).

غمرت الملك موجة من السرور بعد ان تمّ تمثيل المسرحية، وكل شيء  
انتهى بالحسنى. اذ تسنى لنا ان نحصل على رضاكم عن موضوع الرواية.  
وكل يوم نبذل مجهوداً جديداً لنيل اعجابكم، ملتسمين سماحكم ودفاعكم  
عنا. فمدوا لنا يد العون بلطف، وخذوا قلوبنا المُحبة معكم.

(يخرج الجميع).

﴿ تَمَّت ﴾



# الليلة الثانية عشرة

تعريب

ج. يونس



## أشخاص المسرحية

- سير طويي بلش : عم اوليفيا.  
اورسينو : دوق إليري.  
سير اندريه أكاشيك.  
ملفوليو : وكيل اوليفيا.  
فاست : مهرج اوليفيا.  
فيان : في خدمة اوليفيا.  
سيستيان : توأم فيولا.  
انطونيو : ريان سفينة، وصديق سيستيان.  
فلتان }  
كوريو } سيدان في خدمة الدوق.  
رئان سفينة وصديق فيولا.  
الكونتيس اوليفيا.  
فيولا : توأمة سيستيان، وعاشقة الدوق.  
ماريا: وصيفة الكونتيس.  
سادة، وكهنة، وبحارة، وضابط، وموسيقيون، وخدم.  
تجري الأحداث في مقاطعة إليري.

## الفصل الأول

### المشهد الأول

#### في قصر الدوق

( يدخل كوريو وبعض السادة. تعزف الموسيقى )

الدوق : اذا كانت الموسيقى غذاء الحب، فاعرفوا من الألحان ما طاب لكم حتى يرتوي منها قلبي. أسمعوني هذا الايقاع مرة أخرى، فقد داعب أذني كما يداعب النسيم العليل باقة من البنفسج حاملا معه غيرها. كفى، لم يعد الايقاع ممتعا كما كان منذ لحظة. كم أنت مرهف الحس وسريع التقلب، أيها الحب !

كوريو : هل تريد أن تصطاد يا سيدي ؟

الدوق : ماذا أصطاد، يا كوريو ؟

كوريو : الأيل.

الدوق : يتملكني الآن شعور نبيل. عندما رأيت عيناى اوليفيا للمرة الأولى، خيّل اليّ انها تعطر الهواء من حولها. ومنذ تلك اللحظة أصبحت طريدة تلاحقها رغباتي الملحة باستمرار.

( يدخل فلتنان )

ماذا تحمل اليّ من أخبارها ؟

فلتجان : لم أحظ برؤيتها. لكنني أحمل اليك الجواب الذي نقلته اليّ خادمتها. لن ترى السماء وجهها قبل مضي أعوام بتمامها. انما نظير راهبة حبيسة، لن تسير الا محجّبة، وستسقي كل يوم غرفتها بدموع سخينة. كل ذلك لكي يبقى حبها لشقيقها المتوفي حيا في ذاكرتها الحزينة.

الدوق : من تملك قلبا بهذه الرقة وتبادل اخاها مثل هذه المحبة، سيكون تعلقها به عظيما عندما سيملأ عقلها وقلبها دافع واحد يطفى على سائر مشاعرها الأخرى. تعال نذهب الي المروج وخمائل الأزهار حيث يطيب لأحلام الحب أن تهجع في ظل الأغصان. ( يخرججان ).

## المشهد الثاني

على شاطئ البحر

( تدخل فيولا وربّان وبعض البحارة )

فيولا : أيها الأصدقاء ما اسم هذا البلد ؟

الرّبّان : هذه المقاطعة تدعى إليري، يا سيدتي.

فيولا : ليس لديّ ما أفعله في مقاطعة إليري. فشقيقي موجود في مقاطعة

إيليزيه، وربما نجا من العرق. ما رأيكم في ذلك أيها البحارة ؟

الرّبّان : لقد حالفك الحظ فنجوت بنفسك.

فيولا : مسكين أخي. كم أود أن يكون الحظ حليفه هو أيضا، وأن يكون هو

أيضا قد نجا بنفسه.

الرّبّان : أنت على حق يا سيدتي. ولأضعف أملك، يسعني أن أوكد لك انه

عندما حدثت ثغرة في مركبنا وتعلقت أنت بزورقنا مع من نجا، أبصرت أخاك

يمسك بكل فظنة بالصاري المكسور الذي كان يطفو على سطح البحر. شاهدته يصارع الأمواج كما فعل آريون الشاعر اليوناني عندما غرق وامتنطى ظهر الحوت.

فيولا : قولك هذا تستحق عليه أن تعطى ما تشاء من الذهب. ان سعادتي، إن صح ما ترويه لي تجعلني أتوقع لأخي بهجة ماثلة لما أشعر به من الأمل، لا سيما ان كلامك عنه يشجعني على ترجيح هذا الاعتقاد. هل تعرف هذه البقعة من البلاد ؟

الربان : أنا أعرفها جيدا، لأن مسقط رأسي حيث ترعرعت لا يبعد من هنا سوى مسافة ساعات قليلة سيرا على الأقدام.

فيولا : من يحكم هذه المنطقة ؟

الربان : يحكمها دوق نبيل القلب والاسم معا.

فيولا : ما اسمه ؟

الربان : اورسينو.

فيولا : اورسينو ا لقد سمعت أبي يردد ذكره. وكان عازبا حينذاك.

الربان : لا يزال عازبا. اذ لم يمض على غيابي عن هذه الديار سوى شهر. وقد بلغني انه يخطب ود الحسناء اوليفيا.

فيولا : من هي اوليفيا هذه ؟

الربان : عذراء فاضلة، ابنة دوق توفي منذ سنة تقريبا، تاركا اياها تحت رعاية أخيها الذي مات أيضا منذ عهد ليس بعيد. ويقال انها اعتزلت العالم حبا به. فيولا : أود أن أدخل في خدمة هذه السيدة، وأن تبقى مكائتي الاجتماعية مجهولة الى اليوم الذي أبلغ فيه هدفي.

الربان : من الصعب الوصول الى ما تبغين، لأنها ترفض سماع أي عرض، ولو كان مصدره الدوق نفسه.

فيولا : أنت بهي الطلعة أيها الربان، ورغم ان الطبيعة تخفي عادة كثيرا من الرذائل وراء المظاهر الجميلة، أعتقد بأن طيبة قلبك تنسجم مع محياك الوسيم. أتوسل اليك أن تكتم أمرى وتساعدني على التخفي لبلوغ غايتي. وأنا أعدك مقابل ذلك بمكافأة جريئة. أريد أن أنخرط في خدمة هذا الدوق، على أن

تقدمني أنت اليه بصفتي أحد القيان. وأنا واثقة بأن مسعاك سيكلل بالنجاح،  
لأنني أجد شتى أنواع الغناء. لذلك سيعتبرني أهلا لخدمته. أما بالنسبة الى ما  
سيحصل بعد ذلك، فاني أترك أمره للزمن. المهم أن تلزم أنت الصمت.  
الربآن : ليكن لك ما تريد، وإذا زلّ لساني وكشفت سرك فلينطقىء النور  
في عيني.  
فيولا : أشكرك جزيل الشكر. خذني اليه.

### المشهد الثالث

#### في منزل اوليفيا

( يدخل سير طوبي بلش وماريا )

سير طوبي : سحقاً للشيطان. ماذا دهاك حتى ثقل عليك هكذا موت أخيك.  
أنا واثق بأن الحزن هو عدو الحياة.  
ماريا : يا سير طوبي، عليك أن تحضر مساء في الوقت المناسب، لأن ابنة  
أخيك تنتقد بشدة أوقات حضورك غير المناسبة.  
سير طوبي : ان تنتقدي هي، أفضل من أن تكون موضع انتقاد.  
ماريا : نعم، لكن عليك أنت أيضا أن لا تتعدى حدود النظام.  
سير طوبي : لكنني حسن الهمام. وثيابي تؤهلني لمعاقرة الخمرة مع أصحابي.  
ماريا : معاقرة الخمرة ستقضي على مستقبلكم. لقد سمعت السيدة تتكلم  
البارحة عن الفارس الأبله الذي اصطحبته معك ذات مساء ليكون عاشقها.  
سير طوبي : من ؟ سير اندريه اكاشيك.  
ماريا : هو بالذات.  
سير طوبي : انه أقوى رجل عرفته في مقاطعة إليري.  
ماريا : هذا لا يهم.

سير طويبي : مدخوله السنوي يعادل ثلاثة آلاف دينار.  
ماريا : أجل، لكن هذا المبلغ الضخم لا يبقى في حوزته طوال السنة، لأنه  
مبذر مهووس.

سير طويبي : كيف تقولين هذا ؟ هو لاعب ماهر، ويجيد ثلاث أو أربع لغات،  
ويتمتع بمواهب طبيعية جمّة.

ماريا : بل هو أبله مشاكس جبان، يخفف جنبه من عنفه في المشاجرات.  
سير طويبي : قوم من الكذابين، من يتكلمون هكذا بحقه. قل لي من هم هؤلاء  
الأشخاص ؟

ماريا : هؤلاء يقولون أيضا انه يسكر كل مساء بصحبتك.  
سير طويبي : أجل، يظل يشرب نخبة ابنة أخي حتى يستولي عليه السكر. وأنا  
بدوري أظل أشرب نخبها ما دامت حنجرتي تساعدني على ذلك، وما دام  
هناك شراب في مقاطعة إليري. جبان كل من يرفض أن يشرب نخبها حتى  
يسكر. هيا بنا. ها هو سير اندريه أكاشيك قادم.

( يدخل سير اندريه أكاشيك )

سير اندريه : يا سير طويبي بلش، كيف حالك ؟  
سير طويبي : يا لك من رجل رائع، يا سير اندريه.  
سير اندريه ( يخاطب ماريا ) : بارك الله جمالك أيتها الحمساء.  
ماريا : وأنت أيضا يا سيدي.

سير طويبي : إقترب يا سير اندريه، اقترب.  
سير اندريه : من هذه الصبية ؟  
سير طويبي : هي وصيفة ابنة أخي.  
سير اندريه : اقتربي يا سيدي. أريد أن أتعرف اليك معرفة أوفى.  
ماريا : اسمي ماريا، يا سيدي.

سير اندريه : أكرر عليك : اقتربي، يا سيدتي ماريا.  
سير طويبي : لا تخدع نفسك أيها الفارس الشهم. قلت لك أن تقترب أنت  
منها، أي أن تغازلها.

سير اندريه : أقسم لك بأنني لم أكن أبغي التودّد إليها. هل هذا ما تريد قوله ؟

ماريا : وداعا أيها السادة.

سير طويبي : اذا تركتها تذهب هكذا يا سير اندريه، ستعجز يدك عن أن تمسك  
السيف من غمده.

سير اندريه : اذا ذهبت هكذا، أيتها السيدة أنتظين أن يدي ستعجز عن أن  
تمسك السياف من غمده ؟ هل تعتقدين بأنك تشدّين غيا ؟

ماريا : أنا لا أمسكك بيدي، يا سيدي.

سير اندريه : تستطيعين امساكي بيديك اذا شئت.

ماريا : أرجوك أن تضع يدك في مخمر اللبن فتصبح رطبة.

سير اندريه : ماذا تعين بقولك هذا ؟

ماريا : ان يدك يابسة، يا سيدي.

سير اندريه : أظن ذلك. لست بأحمق لأدع يديّ تبتلان. لكن ما هذا  
المزاح ؟ هل لديك منه الكثير ؟

ماريا : أجل عندي الكثير منه. انما الآن، وقد افلّت يدك، لم أعد أملك شيئا  
منه. ( تخرج ).

سير طويبي : لم يسبق لي أن أراك مهزوما كما رأيتك اليوم.

سير اندريه : يخيّل اليّ أحيانا ان نصيبي من الذكاء لا يتعدى مستوى الرجل  
العادي. غير اني أحب كثيرا تناول لحم العجل. وأعتقد بأن هذا يسيء الى  
ذكائي.

سير طويبي : لا أشك بذلك.

سير اندريه : غدا سأمتطي حصاني وأعود الى منزلي.

سير طويبي : ماذا تعني أيها الفارس العزيز ؟

سير اندريه : كنت أتمنى لو اني قضيت في تعلّم اللغات وقتا مماثلا للمدة  
التي كرستها لفن امتشاق الحسام، والرق وصراف الخنازير. سأعود غدا الى  
منزلي، لأن ابنة أخيك لا ترغب في رؤية أحد، ولأن الدوق الذي يسكن  
بالقرب من هنا يغازلها.

سير طويبي : هي لا تحب الدوق، وقد أقسمت انها لن تتزوج رجلا يفوقها  
منزلة أو ذكاء أو سنا. ولن تحث يمينها.

سير اندريه : سأمكث هنا شهرا آخر، لأنني رجل غريب الأطوار، أحب حفلات الرقص التنكرية.

سير طويبي : هل أنت بارع في مثل هذه التفاهات، أيها الفارس المغوار ؟  
سير اندريه : أجيدها مثل أي رجل في مقاطعة إليري بشرط ألا يكون من رؤسائي. ومع ذلك، أنا أربأ بأن أقارن في هذا المضمار برجل عجوز.

سير طويبي : لماذا تخفي مهارتك هذه ؟ هل نعيش في عالم يفرض علينا اخفاء جدارتنا ؟ أعتقد بأن ساقك مفتولة العضلات ؟

سير اندريه : أجل، انها على قدر كبير من الصلابة. هل نرتجل بعض الملاهي ؟

سير طويبي : وما عسانا نفعل أفضل من ذلك ؟ هل نحن من مواليد برج الثور ؟

سير اندريه : الثور يؤثر على الضلوع والقلب.

سير طويبي : بل على الفخذ والساق. ( يخرجان ).

## المشهد الرابع

### في قصر الدوق

( يدخل فلنتان وفيو لا وقد ارتدت ملابس خادم )

فلنتان : اذا استمر الدوق في اغداق نعمه عليك، يا سيزاريو، ستنال حظوة عظيمة في عينيه. اذ انك لم تعد غريبا عنه، رغم انك لم تعرفه الا منذ ثلاثة أيام.

فيولا : هل تخشى تقلبه أم تخشى اهمالي حتى تشق في استمراره في حسن معاملته لي ؟ هل هو متقلب في مشاعره ؟  
فلتان : كلا. صدقتي.

( يدخل الدوق وكوربو وبعض رجال الحاشية )

فيولا ( تخاطب فلتان ) : شكرا، ها هو مقبل نحونا.

الدوق : من رأى سيزاريو ؟

فيولا : أنا هنا، رهن اشارتك، يا سيدي.

الدوق ( يخاطب أفراد حاشيته ) : ابتعدوا قليلا ( يخاطب فيولا ) يا سيزاريو، أنت الآن تعلم كل شيء عني، لأنني كشفت لك خفايا أفكاري. فعليك أن تحت خطاك نحوها، ولا تدعها تصدك. ابقى واقفا أمام بابها وقل لخدمها أنك لن تغادر منزلها قبل أن تحظى بمقابلتها.

فيولا : بدون شك، يا سيدي. اذا كانت مستسلمة الى أحزانها، كما بلغني، فلن تستقبلني.

الدوق : قم بأي عمل، تجاوز جميع حدود اللياقة، ولا تعد بدون نتيجة.

فيولا : لنفترض اني تمكنت من التحدث اليها، فماذا أقول لها ؟

الدوق : كاشفها بحبي لها، وباعجابي وبتعلقني بها، وستنجح في تصوير اهتمامي بها. فسماعها ذلك من فمك أيها الفتى، أفضل مما لو صورته مبعوث ذو مهابة ووقار.

فيولا : لا أظن ذلك، يا سيدي.

الدوق : بل أنا واثق من النتيجة، أيها الفتى. فأنت أشبه بفتاة، ونعومة صوتك تساعدك على القيام بدور المرأة. اعلم ان برجك قد اختارك لهذه المهمة. سيصحبك أربعة أو خمسة أشخاص. واذا شتم اذهبو جميعا برفقته لأنني أكون سعيدا عندما أبقى وحيدا. اذا وفقت في مهمتك ستكون حرا مثل سيدك، وستظل ثروتك حكرا عليك.

فيولا : سأتغزل بسيدتك ما استطعت. ( على حدة ) تبأ له من صراع مرهق.  
كيف أتغزل به حين اريد ان اكون زوجة له.

( يخرج الجميع )

## المشهد الخامس

### في منزل اوليفيا

( تدخل ماريا وسماها فاست )

ماريا : قل لي اين كنت، وإلا لن اعذرك. ستأمر سيدتي بشنقك بسبب تغييرك.  
فاست : لتأمر بشنقي. فمن كان مشنوقاً في هذه الدنيا لن يخشى شد الحبل.  
ماريا : اوضح ما تقصد قوله.

فاست : لن يرى شيئاً يرهبه.

ماريا : لقد اجبت ببراعة. استطيع ان اقول لك من اين جئت. وبهذا التعبير لا  
احتشى شد الحبل.

فاست : من اين انت، يا سيدتي ماريا؟

ماريا : من الحرب. يمكنك ان تقول هذا في حماقتك.

فاست : ألا انعم الله بالذكاء على من يتمتعون بالنباهة. أما بالنسبة الى الحمقى  
فأنى لهم ان يستخدموا ما ليس لديهم من المذاهب.

ماريا : ستشقى لانك تغييت طوال هذه المدة، بل سطرده. وهل عقاب الطرد  
يوازى الشنق بالنسبة اليك؟

فاست : الشنق افضل من الزواج غير الموفق. اما فيما يتعلق بالشنط فالصيف  
يتدبر امرهاً

ماريا : انت اذاً مصمم.

فاست : نعم صممت على امرين.

ماريا : معنى ذلك انك لم تصمم على اي شيء.

فاست : وهو كذلك. إمضي في طريقك. اذا عدل سير طوي ذات يوم عن  
معاقره الخمرة، فتكونين انت كثر نساء مقاطعة للبري سرورا.

ماريا : اخرس. يا لك من تافه. كفى، فالسيدة مقبلة. اسمع نصيحتي وقدم لها  
اعتذارك بكل فطنة ( تخرج ).

( تدخل اوليفيا ومفلويو )

فاست : اذا حسن لديك ايها الظريف، دع ذهني يتوقد، لان المقول المتطرفة التي تظن انها تحتكر المواهب غالبا ما تكون حمقاء. اما انا فرغم قناعتي بأنني لا املك كثيرا من المواهب أعتبر نفسي معتدلا. لان المثل يقول ان المجنون المتبصر افضل من العاقل الاحمق.

اوليفيا : خذوه. لا اريد مجانيين هنا.

فاست : ألا تسمعون ايها الأغبياء؟ خذوا هذه السيدة. لا مكان هنا للمجانين. اوليفيا : يا لك من مجنون هزيل. لا اريد بعد الآن ان اراك هنا، ما دمت قد فقدت نزاهتك.

فاست : النقص الذي تربنه فيّ. يمكن اصلاحه. فضعفي يمكن التغلب عليه بتاولي مزيدا من اللحم الجيد. وقلة نزاهتي يمكن اصلاحها بالنصائح المفيدة. سيدتي تقول ان لا مكان للمجانين هنا. وبالتالي انا اكرر طلبي ان تأخذوا هذه السيدة من هنا.

اوليفيا : لقد امرت بأن يأخذوك انت.

فاست : يا سيدتي، دعيني اثبت لك انك مجنونة.

اوليفيا : هل تستطيع اثبات ذلك؟

فاست : بكل براعة، يا سيدتي.

اوليفيا : هات برهانك.

فاست : لاجل ذلك، عليّ ان اسألك كأننا في التعليم الديني. اما انت فعليك ان تحيي علي جميع اسئلتي.

اوليفيا : فليكن ما تريد، يا سيدي. انا مستعدة لمناقشتك برهانك نظرا الى عدم انشغالي بتسليمة اخرى.

فاست : لماذا انت حزينة، يا سيدتي؟

اوليفيا : بسبب وفاة اخي، ايها المخبول.

فاست : نفسه في جهنم، على ما أعتقد، يا سيدتي.

اوليفيا : لا، بل نفسه في السماء، ايها الغبي.  
فاست : انت اذًا مجنونة ايها السيدة، لانك حزينة بسبب وجود نفس اخيك  
في السماء. خذوها، فلا مكان للمجانين هنا، ايها السادة.  
اوليفيا : ما رأيك بهذا المجنون ما ملفوليو؟ هل بالامكان اصلاحه.  
ملفوليو : بالامكان اصلاحه. ولو تطلب الامر اذاقته احوال الموت. العاهة  
تقضي على الانسان العاقل، بينما تصلح دائما احوال المجنون.  
فاست : ألا بلاك الله، يا سيدي بعاهة عاجلة ليكتمل بها جنونك. سير طوبي  
مستعد لان يقسم بأنني لست ثعلبا وبأنك لست سوى ابله.  
اوليفيا : ما ردك على هذا يا ملفوليو؟

ملفوليو : انا أتعجب من سموك كيف تتراحين الي معاشرة مثل هذا النذل  
الذي رأيته البارحة مهزوما امام احد المجانين أمثاله. ألا ترينه مرتبكا؟ انا اعتبر  
ان العقلاء هم الذين يسرون بمشاهدة مثل هؤلاء المجانين وكأنهم هم انفسهم  
مجانين.

اوليفيا : انت مصاب بمرض الانانية، يا ملفوليو. عندما يكون المرء صاحب  
خلق كريم، تراه يقدر الامور حق قدرها. والمهرج الماهر الذي يمزح فقط لا  
يُعتبر سيء النية. وكذلك الرجل العاقل الذي ينتقد فقط يفعل ما يسر الآخرين.  
فاست : ليمنحك برجك موهبة الكذب، لانك اثبتت كثيرا على المجانين.  
( تدخل ماريا )

ماريا : يا سيدتي، في الباب شاب نبيل يريد التحدث اليك.  
اوليفيا : هل هو آتٍ من قبل الدوق اورسيتو؟  
ماريا : لا أعلم، يا سيدتي. انه شاب جميل يصحبه موكب رفيع المستوى.  
اوليفيا : من من رجالي يوقفه هناك؟  
ماريا : سير طوبي، نسيك، يا سيدتي.

اوليفيا : ارجوك ان تبعديه من هنا، ان تكلم كمجنون. ( تخرج ماريا ).  
يا ملفوليو، اذا فهمت ان الرسول من قبل الدوق، اذهب وقل له: اني مريضة او  
اني خرجت من المنزل. قل له ما تريد لأتخلص منه. ( يخرج ملفوليو ) ألا

ترى يا سيدي، ان الاعمى قد عفا عليها الزمن ولم تعد تنظلي على احد؟  
فاست : لقد كلمتي، يا سيدي، كما لو كنت والدة ابن بكر مصاب  
بالمجنون، لا أضله جويتار. ها قد وصل احد اقاربك وهو نظير امه الثرثرة.

( يدخل سير طويي )

اوليفيا : اقسم بشرفي بأنك نصف سكران. من في الباب، يا عمي؟

سير طويي : رجل نبيل.

اوليفيا : رجل نبيل؟ ومن هو؟

سير طويي : رجل نبيل يقف في الباب. ( يخاطب فاست ) حسنا، ايها  
المجنون.

فاست : يا سير طويي...

اوليفيا : كم تبدو منهوكا، يا عمي. فالوقت لا يزال مبكرا.

سير طويي : ما هذه الوقاحة؟ انا اكره الوقاحة. هناك من يقف في الباب.

اوليفيا : من هو؟

سير طويي : انا لا اهتم به ولو كان الشيطان بعينه. صدقيني. ( يخرج ).

اوليفيا : هل يشبه السكران، يا ايها المجنون؟

فاست : يشبه غريفا مجنونا. الكوب الاول من الخمر يجعله غبيا، والثاني  
يجعله مجنونا، والثالث يفرقه.

اوليفيا : اذًا، بلغ عمي الدرجة الثالثة من السكر، وغرق. هيا اعطني به.

فاست : ما زال مجنونا فقط يا سيدي. والمهرج سيعتني به ( يخرج ).

( يدخل ملفوليو )

ملفوليو : الشاب الغريب الاطوار الواقف هناك، يا سيدي، يؤكد انه يريد  
التحدث اليك. وقد قلت له انك مريضة. فزعم انه علم مسبقا بذلك، ومع  
هذا، اتى للتحدث اليك. وقلت له انك نائمة، فزعم ايضا انه علم مسبقا بالامر  
ومع هذا، اتى للتحدث اليك. ماذا تريدان ان اقول له، يا سيدي؟ يبدو انه  
يرفض الاعتذرات التي تقدمها له للحيلولة دون مقابلته اياك.

اوليفيا : قل له اني لا اود التحدث اليه.  
ملفوليو : هذا ما ردّدته له مرارا. لكنه مصّر على البقاء واقفا في الباب، يرغب في التحدث اليك مهما كلفه الامر.  
اوليفيا : أي نوع من الرجال هذا الوقح؟  
ملفوليو : هو انسان مثلنا.  
اوليفيا : أي سلوك يتبع هذا الرجل؟  
ملفوليو : انه سيء الخلق، يزعم انه يريد ان يكلمك شتّى أو أبيت.  
اوليفيا : اي نوع من الاشخاص هو؟ وكم عمره؟  
ملفوليو : يعتقد بأنه مفطوم حديثا عن ثدي أمه. لانه يتكلم بجسارة، وهو ذو وجه نضير.  
اوليفيا : دعه يدخل، واستدع لي وصيفتي.  
ملفوليو : ايتها الوصيقة، سيدتك تدعوك.  
اوليفيا : اعطني خماري وضعيه على وجهي. سأستمع مرة اخرى الى مبعوث اورسينو.

( تدخل فيولا )

فيولا : من منكما سيدة المنزل؟  
اوليفيا : وجهي سؤالك اليّ فأجواب عليه. ماذا تريدان؟  
فيولا : ارجوك ايتها الحسناء ان تقولي لي، هل انت سيدة المنزل؟ لاني لم أرك من قبل. فأنا اكره ان يذهب كلامي أدراج الرياح. لانه بالاضافة الى إحكام صياغته اجهدت نفسي في حفظه، فلا تدعيني عرضة للازدراء، اذ ان اي تصرف غير لائق يجرح احساسني.  
اوليفيا : من ارسلك، يا سيدتي؟  
فيولا : لا استطيع ان أتفوه الا بما تلقته. وهذا السؤال خارج عن مهمتي.  
ايتها اسيدة اللطيفة، قل لي بكل بساطة، هل انت سيدة المنزل ام لا لأستهل خطايي؟  
اوليفيا : هل انت ممثل؟

فيولا : لا، أؤكد لك ذلك من أعماق قلبي، وأقسم لك ايضا بأنني لست الشخص الذي أمثله. هل أنت سيدة المنزل؟

اوليفيا : نعم انا سيدة المنزل.

فيولا : سأستهل خطابي المعد لمديحك وأكشف لك عن مهمتي.

اوليفيا : أدخل في صلب الموضوع. فأنا اعفك من المديح.

فيولا : لقد اجهدت نفسي في حفظه، وفيه الكثير الكثير من الشعر.

اوليفيا : هذا يعني انه خيالي. ارجوك ان تحتفظ به لنفسك. لقد علمت بأنك

كنت وقحا عندما رقت في باي، وسمحت بقبولك من قبيل الفضول لأراك،

لا لاستمع اليك. فاذا كنت مجرد مجنون، انسحب. واذا كنت عاقلا، اختصر

كلامك. فأنا لست مستعدة للدخول في حوار غير متماسك ولا موزون.

ماريا : ان اردت الذهاب من هنا، يا سيدي، فهذا هو طريقك.

فيولا : لا، ارجوك (تخاطب اوليفيا) هدئي روح هذا العملاق الواقف الى

جانبك يا سيدي.

اوليفيا : قل لي، ماذا تريد؟

فيولا : انا رسول...

اوليفيا : لا شك في انك جئت لتعلن لي عن امر مرعب، لانك تبدو في غاية

الخوف والجزع. اوضح لي رسالتك.

فيولا : رسالتي، علي ان ابلغك اياها سرا. فلست طالب اكرام ولا معلن

حرب. انا احمل غصن الزيتون بيدي، وكلامي لا يتطوي الا على السلام

والوثام.

اوليفيا : مع ذلك، كانت مقدمتك قاسية. فمن انت، وماذا تريد؟

فيولا : القساوة التي أبدتها هي مجرد دور مسرحي تعلمته. أما من أنا، وماذا

اريد، فهذا يبقى سرا كالبكارة. هذه الكلمة مقدسة بالنسبة اليك، وهي بذية

بالنسبة الى اية امرأة سواك.

اوليفيا (تخاطب ماريا) : دعينا وحدنا. اريد سماع هذه الكلمة المقدسة

(تخرج ماريا) والآن ما هو النص الذي تريد ابلاغني اياه؟

فيولا : اينها السيدة الجميلة...

اوليفيا : قلت، ما هو النص الذي تريد ابلاغني اياه؟

فيولا : النص في قلب اورسينو.

اوليفيا : في قلبه؟ في اي قسم من قلبه؟

فيولا : في اول قسم منه.

اوليفيا : لقد قرأته، ووجدته محض كفر. هل عندك ما تريد ان تقوله بعد؟

فيولا : دعيني أشاهد وجهك أينها السيدة الحسنة.

اوليفيا : هل ارسلك سيدك لتحدث الي وجهي. ها قد ابتعدت عن نصك.

لكني سأريك وجهي. ( تتزع الخمار عن وجهها ) انظر، هذا ما انا عليه

حاليا. هل رأيت ما يسرك؟

فيولا : هذا رائع. اذا كان الله وحده هو الذي صنعه.

اوليفيا : ثق بأنه يقوى على الريح والمطر.

فيولا : هذا جمال عجيب التكوين. هذا الاحمرار وهذا البياض صاغتتهما يد

الطبيعة بكل اتقان يا سيدتي. ستكونين اقصى المخلوقات اذا حملت معك كل

هذه المفاتيح الى القبر دون ان تتركي صورة عنها في هذا العالم.

اوليفيا : لن اكون قاسية القلب الي هذا الحد. سأترك صورة عن مفاتيح في

وصيتي. هل ارسلك سيدك الي هنا لتعجب بي؟

فيولا : انا اعلم بما انت عليه. انت كثيرة الاعجاب بنفسك. لكنك تظلمين

جميلة ولو اصبحت شيطانا. سيدي يحبك، واعلمي ان حبا كهذا ينبغي ان

يكون مبادلا.

اوليفيا : كيف يحبني؟

فيولا : يحبك حتى العبادة، بدموع سخية وتأوهات ملتبهة.

اوليفيا : سيدك على علم بتفكيري. فأنا لا استطيع ان احبه. مع ذلك أتصوره

رجلا فاضلا، وأعلم بأنه نبيل وسليل بيت أصيل، ويتمتع بشباب غض، وهو

عفيف كريم الاخلاق ومثقف شجاع، حسن الهندام رشيق القوام. ورغم ذلك

كله، انا لا استطيع ان احبه. وكان ينبغي عليه ان يعلم ذلك، منذ وقت طويل.

فيولا : لو كنت احبك كما يحبك سيدي الذي يمضي حياته في الحرمان  
والتقشف لاجلك، لما رأيت مبررا لرفضك هذا.

اوليفيا : ماذا كنت تفعل؟

فيولا : كنت أنصب خيمة أمام بابك، وأنظم أشعارا عاطفية عن حبي المحترق،  
انشدتها عاليا في عمدة الليل، وأصرخ متلفظا باسمك حتى يبلغ صدها التلال،  
ولا أنقطع عن تكرار هذا حتى تشفقي عليّ.

اوليفيا : من اي بيت تنحدر؟

فيولا : انا رجل نبيل، يفوق اصلي ثروتي. ومع ذلك، ثروتي تكفيني.  
اوليفيا : عد الى سيدك. فأنا لا استطيع ان احبه. وليكف عن ارسالك اليّ. الا  
اذا اردت ان تعود صدقة لتخبرني كيف كان وقع هذا الرد عليه. وداعا  
اشكرك. انفق هذا على نفسك من قبلي ( تعطيه محفظة ).

فيولا : لست رسولا مأجورا، يا سيدتي. فاحتفظي بمحفظتك. ينبغي ان  
تقدمي المكافأة لسيدي، لا لشخصي. ألا ليت الحب يحوّل قلب من تحببته  
الى صخر، ويجعل حبك وحب سيدي يلقيان الازدراء. وداعا ايها الجميلة  
القاسية. ( تخرج ).

اوليفيا : من اي بيت تنحدر؟ تقول: « انك رجل نبيل، يفوق اصلك ثروتك،  
ومع ذلك، ثروتك تكفيك ». اقسم لي بأنك انت هو. ان لهجتك ووجهك  
وشكلك ومثيتك وروحك، جميعها تثبت نسبك. لكن، مهلا، لا تسرعني يا  
اوليفيا. هل اتخذ السيد زيّ الخادم؟ هل مثل هذه الخدعة تحل المشكلة؟ اني  
اشعر بمفاتن هذا الشاب تلج عينيّ عنوة. فالأرجح انه هو. ها قد أقبل ملفوليو.  
( يدخل ملفوليو )

ملفوليو : انا رهن شارتك، يا سيدتي.

اوليفيا : اسرع وراء هذا الرسول الخبيث الذي بعث به اليّ الدوق. لقد ترك  
هنا هذا الخاتم رغما عني. قل له اني لا أقبله، لا أريد ان تغر معلمه احلام  
كاذبة. انا لست له. واذا اراد هذا الشاب ان يمر من هنا غدا سأشرح له لماذا  
رفض معلمه. اسرع يا ملفوليو.

ملفوليو : سمعا وطاعة، يا سيدتي. ( يخرج ).

اوليفيا : لا أعلم ماذا أفعل. وأخشى ان تكون عيني قد سحرت خيالي كثيرا.  
ايها القدر اظهر قوتك. نحن لا نملك زمام امورنا. فما هو مقدر لنا لا بد من  
وقوعه. ( تخرج ).

## الفصل الثاني

### المشهد الاول

#### في مسكن على الشاطئ

( بدخل انطونيو وسيستيان )

انطونيو : ألا تريد الاقامة طويلا، ولا تريد ان أصحبك؟  
سيستيان : كلا، ارجوك. ان برجني يرسل اليّ النور شاحبا، وقدرني الملعون  
قد يؤثر على قدرك. فأستحلفك اذا ان تدعني أتحمّل مصائبني بمفردي. قد  
أسيء مكافأتك على صداقتك لي اذا تركتك تروح تحت قسم منها.  
انطونيو : دعني أعرف فقط الى اين انت ذاهب.  
سيستيان : لا، لا، لان طريقي مليء بالقرابة والتهور. لكنني ألاحظ انك تتمتع  
باحساس مرهف. انت لا تريد ان تنتزع مني ما اريد الاحتفاظ به لنفسي، وهذا  
ما يدفعني بقوة الى البوح لك بسرّي. أعلم اذا، يا انطونيو، ان ادعي سيستيان  
رغم اني اتخذت لي اسما آخر هو اسم رديكو. والذي اسمه سيستيان دي  
مسألين، وأعتقد بأنك سمعت به. لقد رزق توأمان انا وشقيقتي التي ولدت  
معي في ذات النهار. كنت أتمنى لو شاءت السماء ان ننهي معا حياتنا كما  
بدأناها سوياً. لكنك انت قررت عكس ذلك. وقبل ساعة تقريبا من انتشالك  
اياي من أعماق اللجة غرقت فيها اختي.

انطونيو : يا للأسف. تياً له من يوم مشؤوم.

سيستيان : رغم انها تشبهني الى حد كبير، فقد كانت مشهورة بجمالها وكانت لها اخلاق ترغم حتى حسّادها على الاقرار بروعتها يا للأسف! لقد غرقت في مياه البحر المرة، وينبغي علي ان اغرق ذكراها في مياه اكثر مرارة ايضاً.

انطونيو : اعذرني، يا سيدي على ضياعتي غير اللائقة بمقامك.

سيستيان : اعذرني انت يا انطونيو على ما سببه لك من ازعاج.

انطونيو : اذا كنت لا تريد ان تجرح حيي لك جرحاً بليغاً، دعني اصبح خادماً لك.

سيستيان : اذا كنت لا تريد ان تخسر الشخص الذي انقذته، كف عن اللجاج. وداعاً للمرة الاخيرة. اني مرهف الحس حتى ان عيوني تخونني لدى اول مناسبة اني من هذا القبيل اشبه والدتي. وأنا ذاهب الى قصر الدوق أورسينو. وداعاً.

انطونيو : لتصحبك نعم الباري. ( يخرج سيستيان ) اعدائي كثيرون في قصر اورسينو. ولولا ذلك للحققت بك الى هناك بسرعة. لكني احبك الى حد اني أهزأ بجميع المخاطر. انا ذاهب. ( يخرج ).

## المشهد الثاني في أحد الشوارع

( تدخل فيولا بينما ملفولير )

ملفوليو : ألم تكن منذ برهة مع الكونتيس اوليفيا؟  
فيولا : أجل، منذ لحظة يا سيدي. ولم يمض على مغادرتي اياها سوى الوقت الذي استغرقه وصولي الى هذا المكان بخطى معتدلة.  
ملفوليو : هي تعيد اليك هذا الخاتم. كان بإمكانك ان توفر عليّ عناء حمله اليك. وتريد منك ان تؤكد لسيدك انها لا تحبه وأن لا تعود مجددا الي مقابلتها في هذا الموضوع، الا اذا اردت ان تطلعها على حالة سيدك اثر تلقيه رفضها. والآن، خذ هذا.

فيولا : لقد قبلت هذا الخاتم مني. لذلك لا اريد استعادته.  
ملفوليو : انت ألقيت به اليها بكل وقاحة، لان ارادتها هي ان يعاد اليك. وها هو ملقى على الارض امام عينيك فتناوله، وإلا اصبح ملكا لعابري السيل.  
( يخرج بعد ان يرسي الخاتم عند قدمي فيولا )

فيولا ( تلتقط الخاتم ) : لم أترك لها خاتماً. ماذا تريد هذه السيدة؟ هل أعجبها شكلي؟ القدر لا يريد ذلك. فقد تأملتني مليا حتى انها بدت شاردة الذهن وهي تتحدث اليّ. هي تحبني بدون شك، وتدعوني مجددا الي زيارتها بواسطة هذا الرسول الخشن. هي لا تريد خاتم سيدي. لكنه لم يرسل اليها خاتماً قط. انا صاحب الخاتم. واذا كان الامر كذلك، ايها المرأة المسكينة، فمن الأفضل لك ان تعشقي رؤيا من ان تهويني. ايها التخفي، انت انتهاك يستغله عدو الجنس البشري بيراعة. كم هو سهل على المخادعين المهرة ان يؤثروا في قلوب النساء الضعيفات. مرد ذلك هو ضعفنا وليس شخصنا، وسلوكنا هو صورة طبق الاصل عن نوعية تكويننا. كيف يمكن تسوية هذه المسألة؟ سيدي يحبها كثيرا، بينما انا مغرمة به، وهي رغم ازدرائها متممة بي.

الى اين سيصل بنا كل هذا؟ انا كرجل لا يسعني ان احظى بحب سيدي، ولا  
كامرأة كما انا الآن في الواقع. يا للأسف! كثيرة هي التهنيدات غير المجدية  
التي انتزعتها من فم المسكينة اوليفيا. ايها الزمن، ان حل هذه المسألة منوط  
بك وحدك اذ يتعذر عليّ انا حلها. ( تخرج ).

### المشهد الثالث

#### في منزل اوليفيا

( يدخل سير طوبي وسير اندريه )

سير طوبي : اقرب يا سير اندريه. بقاء المرء خارج سريره بعد منتصف الليل  
يعني انه استيقظ باكراً. انت تعرف ذلك.

سير اندريه : لا، لا اعلم ذلك. ما اعلمه هو ان المرء اذا استيقظ متأخراً فهذا  
يعني انه استيقظ متأخراً.

سير طوبي : انا اكره الاستنتاج الخاطيء كما اكره كأساً فارغة. يقال ان  
كياننا مزيج من اربعة عناصر.

سير اندريه : أعتقد بأنه مزيج من الاكل والشرب.

سير طوبي : انت عالم. لنأكل اذاً ونشرب. يا ماريبا، اعطنا ابريق الخمر.

سير اندريه : انظر، ها هو المجنون قادم الينا.

فاست : حسناً، ايها الاحياء. ألم تسمعا بالثلاثية الموسيقية التي ألقتها؟

سير طوبي : اولاً، اهلا بك، ايها الحمار. والآن أسمعنا مقطوعتك الموسيقية.

سير اندريه : اقسام بأن للمجنون حنجرة رائعة. انا اعطي اربعين شلناً مقابل  
الحصول على ساقٍ وعلى صوت احد المجانين. كنت رائعاً في هزلك مساء  
البارحة.

سير اندريه : والآن أسمعنا اغنيتك.  
فاست : هل تريدان اغنية غرامية ام اغنية اخلاقية؟  
سير طويبي : اغنية حب، اغنية عشق.  
سير اندريه : أجل، أجل، لاني لا أهتم البتة بالاخلاق.  
فاست يعني :

حييتي الى اين تمضين مسرعة؟  
ألا قمي واسمعي، لقد وصل حبيك المخلص  
الذي يحسن الغناء بصوت عالٍ وصوت منخفض.  
لا تذهبي بعيدا ايها الحسنة.  
ان كل تنقل يتوقف عندما يلتقي حبيبان  
وابن الحكيم يعلم ذلك.

سير اندريه : رائع.  
سير طويبي : حسن، حسن.  
فاست :

ما الحب؟ انه لا يكمن في الآتي.  
الفرح القائم، له بهجة الحاضر.  
اما هو في المستقبل فانه غير مؤكد  
لا يربح الانسان شيئا بتعلقه بالمهل  
تعالى اذاً ايها الجميلة وقبليني  
لان الشباب نسيج لا يمكن ان يدوم.

سير اندريه : يا له من صوت شجي!  
سير طويبي : يا له من نفس عاطري.  
سير اندريه : يا له من صوت شجي وعاطري!  
سير طويبي : وماذا بعد؟  
سير اندريه : لننشد اللحن الذي يقول مطلعته: إنخرس ايها النذل. انا مرغم على  
تسميتك نذلا ايها الفارس.  
سير طويبي : ليست المرة الاولى التي احمل فيها احدا على مناداتي بهذا

الاسم. إبدأ ايها المجنون. فاللحن يبدأ هكذا: إخرس.  
فاست : اذا كنت سأصمت، فلن ابدأ بتاتا.  
سير اندريه : هيا ابدأ. ( ينشد الثلاثة مقطوعة موسيقية ثلاثية الأصوات ).  
( تدخل ماريا )

ملفوليو : هل هذا معقول؟  
ماريا : ماذا تفعلون هنا؟ اذا لم ترسل سيدتي وكيلها ملفوليو ليطرحكم  
خارجا، فلا تتقوا بي بعد الآن.  
سير طويبي : السيدة من اصل صيني، ونحن رجال دولة، وملفوليو رجل ماكر،  
ونحن ثلاثة رفاق سعداء. ألسُ من اقاربها. ( يغني ).  
كان رجل في بابل، ابنتها السيدة، ابنتها السيدة.  
فاست : وفي غاية السعادة.  
سير اندريه : أجل.  
سير طويبي ( يغني ) : في الشهر الثاني عشر من شهر كانون الاول.  
ماريا : أستحلفكم بالله ان تسكتوا.

( يدخل ملفوليو )

ملفوليو : هل انتم مجانين، ايها السادة؟ وإلا، فمن انتم اذا؟ هل فقدتم كل  
تفكير وكل حس سليم وكل ادب حتى تزحفوا مثل بائعي الاواني النحاسية في  
مثل هذه الساعة من الليل؟ هل تعتبرون منزل السيدة حانة حتى تنشدوا اغانيكم  
هنا بصوت عالٍ؟ هل فقدتم رصانتكم، فبئس لا تحترمون الدار ولا من فيها؟  
سير طويبي : لقد حافظنا على الايقاع في انشادنا.  
ملفوليو : يا سير طويبي، عليّ ان اكون صريحا معك. لقد كلفتنى السيدة بأن  
اقول لك انها مستعدة لاستقبالك. لكنها تكره ما انت عليه من الفوضى. فاذا  
كنت مستعدا لان تقلع عن سلوكك السيء فأهلا بك، وإلا فانها على استعداد  
لان تقول لك وداعا بعد ان تستأذن منها اذا شئت.  
سير طويبي ( يغني ) : وداعا يا عزيزتي، اذ ينبغي لي ان أرحل.  
ماريا : هيا يا سير طويبي.  
فاست ( يغني ) : ان عينيه تنبئان بأن حياته اوشكت على الانتهاء.

ملفوليو : هل هذا معقول؟

سير طويبي ( يغني ) : ولكني لن اموت ابدا.

فاست : انت تكذب.

ملفوليو : هذا شرف كبير لك.

سير طويبي ( يغني ) : هل اقول له ان يرحل؟

فاست ( يغني ) : ومتى ستفعل ذلك؟

سير طويبي ( يغني ) : هل اقول له ان يرحل دون ان اشكره؟

فاست ( يغني ) : لا، لا، لا. لن تجرؤ على ذلك.

سير طويبي : تقول اننا نزعق؟ انت كاذب. انت لست سوى وكيل. هل تعتقد

بأنك اذا كنت فاضلا، لم يبق من أكل ولا شرب.

فاست : ويعتقد بأن نبتة الزنجبيل ستحرق أفواهنا.

سير طويبي ( يخاطب فاست ) : انت على صواب ( يخاطب ملفوليو ) اذهب

واجعل قلاذتك بلب الخبز. يا مارياء، اعطيني مزيدا من الخمر.

ملفوليو : يا سيدتي مارياء، اذا كنت تقدرين فضل السيدة عليك، امتنعي عن

القيام بمثل هذا العمل غير اللائق. اقسم لك بأنها ستعلم بكل هذا ( يخرج ).

ماريا : اذهب من هنا، ودع أذنيك تهتران. عزيزي سير طويبي، عليك ان تصبر

هذه الليلة فقط. سيدتي تبدو مضطربة منذ ان زارها خادم الدوق الشاب. اما

بالنسبة الى ملفوليو، فدعني أتدبر امره بنفسي. اذا لم اجعل منه أضحوكة للناس

اجمعين، فتق بأني لا املك من الذكاء ما يمكنني من ان أتمدد على سريري.

سير طويبي : هيا حديثنا عنه.

ماريا : يبدو على هذا الرجل من وقت الى آخر، انه من المتمزتين في امور

الدين.

سير اندريه : اذا ثبت لي ان الامر كذلك، فأنا سأضربه كما تضرب الكلاب.

سير طويبي : لكن ما هو السبب الذي يبرر موقفك هذا؟

سير اندريه : لدي اسباب كافية.

ماريا : هو شيطان، احتمق يلقي بحكمه على الناس. هو يحب ذاته ويعتقد بأنه

لا يمكن ان يراه احد دون ان يجبه، لما هو عليه من الكمال. فلهذه الاسباب  
مجتمعة سأنتقم منه.

سير طويبي : ماذا ستفعلين؟

ماريا : سألقي في طريقه رسالة غرام، ارسم فيها ملامح وجهه وعينه وجبينه  
بحيث يعتقد بأن الرسالة موجهة اليه. فخطي يشبه كثيرا خط السيدة ابنة  
اخيك.

سير طويبي : هذا رائع. سيظن ان الرسالة موجهة اليه من قبل ابنة اخي المغرمة  
به.

ماريا : هذا ما اصبو اليه.

سير اندريه : وهكذا يصبح حمارا.

ماريا : وهو كذلك.

سير اندريه : سيكون هذا عملا رائعا.

ماريا : سيسبب لنا مرحا لا يوصف. وستكونان في المكان الذي سيجد فيه  
الرسالة لتدونا تعليقاته عليها. الآن اذهبا الى النوم وفكرا بما سيحصل غدا.  
وداعا.

سير طويبي : اسعدت مساء ( تخرج ماريا ).

سير اندريه : أقسم بأنها فتاة ممتازة.

سير طويبي : اراها تحبني. فما رأيك بذلك؟

سير اندريه : لقد كنت محبوبا طوال ايامك الماضية.

سير طويبي : هيا نذهب الى النوم. من الافضل ان تحضر مزيدا من المال.

سير اندريه : اذا لم أحظ بابنة اخيك، سيخيم عليّ ضيق عظيم.

سير طويبي : قلت لك، احضر مزيدا من المال، واذا لم تحظ في النهاية بابنة

اخي اعتبرني من الاشرار.

سير اندريه : اذا رفضتها، لا تعتمد عليّ بعد الآن. لكن عاملني كما تشاء.

سير طويبي : تعال تناول بعض الخمر. فقد تأخرنا في الذهاب الى النوم. تعال

أيها الفارس، تعال. ( يخرججان ).

## المشهد الرابع في قصر الدوق

( يدخل الدوق وفيولا وكوريو وآخرون )

الدوق : أسمعوني بعض الموسيقى. صباح الخير ايها الاصدقاء. أسمعني يا سيزاريو ذاك النشيد الذي غنيتَه الليلة البارحة، فقد اثلج صدري اكثر من هذه الالحان الخفيفة. هيا انشدنا مقطعا واحدا فقط.

كوريو : يا سيدي، من يستطيع انشاده ليس هنا.

الدوق : من الذي انشده اذا؟

كوريو : فاست المهرج. وهو مجنون كان يحبه والد السيدة اوليفيا كثيرا. ولا بد من ان يوجد الآن في احد أرجاء القصر.

الدوق : اذهب وابحث عنه. وبانتظار عودته، أسمعوني بعض الموسيقى.

( يخرج كوريو. تعزف الموسيقى. يخاطب فيولا ) اقرب ايها الخادم. اذا

احببت ذات يوم، فاذكرني لان جميع المحبين مثلي متقلبين في كل شيء،

باستثناء تفكيرهم المستمر بمن يحبون. ما رأيك بهذا اللحن؟

فيولا : له صدى في الاعماق حيث ينتصب عرش الحب.

الدوق : انت تتكلم ببلافة عن الحب. أقسم بحياتي، بأن نظرك مفتون

باحدى الحسنات، أليس كذلك؟

فيولا : هذا ما حصل، يا سيدي.

الدوق : اي نوع من النساء هي التي تحبها؟

فيولا : لا شك في انها تعجبك.

الدوق : كم عمرها؟

فيولا : هي في مثل سنك، يا سيدي.

الدوق : اذا، لا بد من ان تكون متقدمة في العمر. عندما تختار المرأة زوجا

اكبر منها سنا. ففي الغالب تحظى بزواج رصين. لان اهواءنا نحن معشر

الرجال تبقى أكثر تقبلاً وأكثر ضياعاً من أهواء النساء.

فيولا : أظن ذلك، يا سيدي.

الدوق : لذلك عليك ان تختار حبيبة اصغر منك سناً، لان النساء كالورود التي لا تكاد تفتح حتى تذبل.

فيولا : هذا هو الواقع المؤسف. لماذا يحكم عليهن بالموت عندما يبلغن أوج الكمال؟

( يدخل كوريو ومعه فاست ) .

الدوق ( يخاطب فاست ) : هيا، يا صديقي، أسمعنا الاغنية التي انشدتها مساء البارحة. يا سيزاريو، ألا تلاحظ مثلي ان هذه الاغنية قديمة وبسيطة، وغالبا ما تنزّم بها الفتيات اللواتي يعملن في مصنع الغزل والحياكة. هي اغنية بسيطة وصادقة تنسجم مع براءة الحب، تماما كما كان يحدث في غابر الزمان.

فاست : هل انت مستعد، يا سيدي.

الدوق : أجل، أرجوك ان تغني.

فاست ( يغني ) :

تعال، تعال، ايها الموت،

سأرقد تحت سروة حزينة.

اصعدي، اصعدي ايتها الانفاس

لقد اجهزت عليّ فتاة قاسية.

أعدوا لي كفني الابيض النقي

ونعشي المزين بالخشب العاطر.

على مسرح الموت لا يتمنى احد تمثيل دوره

أمنيتي ان لا تثر اية زهرة شذية فوق نعشي الاسود

وأن لا يحيي أي صديق جسدي البارد

وإذا شئتم ان تجنوني المزيد من البكاء

اجعلوا قبوري في ناحية يتعذر

على محب حزين ان يهندي اليه ليكنيني.

الدوق: (يدفع بمحفظة من النقود الي فاست): خذ هذه النقود لقاء أتعابك.

فاست: انا لا اشعر بالتعب عندما اغني، بل يسعدني الغناء.

الدوق: حسنا.. انا أكافئك على سرورك بالغناء.

فاست: طبعاً، يا سيدي، فالمتعة يدفع ثمنها عاجلاً أو آجلاً.

الدوق: لذا ادعك وشأنك.

فاست: وأنا اطلب من إله الحزن ان يحميك من الكدر. أتمنى لو ان الناس

يبحرون في كل اتجاه بدون هدف معين. فهذه هي الوسيلة الفضلى للسفر

بدون اية غاية. وداعاً ( يخرج ).

الدوق: انكفثوا انتم ( يخرج كوريو والباقون ) يا سيزاريو، عد مرة اخرى

الى هذه القاسية وقل لها ان حبي هو أنبل ما في الكون بأسره، ولا يعبأ بما

تدخره من ثروة. وان ما يجذب نفسي اليها، هو هذه الجوهرة الفريدة التي

زيتها بها الطبيعة.

فيولا: لكن، يا سيدي، اذا كانت لا تستطيع ان تحبك؟

الدوق: لا يمكنني ان أقبل بمثل هذا الجواب.

فيولا: لنفترض ان سيدة تعاني في حبك الآلام التي تسببها لك اوليفيا، وأنت

لا تستطيع ان تحبها، فيجب ان لا تقبل هي بجوابك هذا.

الدوق: لا يقوى صدر المرأة ان يتحمل زخم الحب العارم الذي يختلج به

قلبي. لا يستطيع قلب امرأة ان يسع عواطف كالتي تقمر نفسي. لان حب

المرأة اشبه ما يكون بالشهية القابلة للارتواء والاشمئزاز. اما حبي فانه كالبحر

يتلغ كل شيء. فلا تحاول المقارنة بين الحب الذي يمكن ان تكه لي اية

امرأة، وحبي لأوليفيا.

فيولا: أجل، لكنني اعرف...

الدوق: ماذا تعرف؟

فيولا: اعرف كم هو عظيم هذا الحب الذي يمكن ان تكه النساء للرجال.

ان قلوبهن تحب بسخاء مثلنا. كان لوالدي ابنة مفرمة بأحد الرجال تماما كما

كان يمكن ان اغرم بك انا لو كنت امرأة.

الدوق : وما هي قصتها؟  
فيولا : لم تبح بحبيها مطلقا، انما احتفظت بسرّه كما يحتفظ البرعم بشذى الورد. ففضى على نضارة وجنتيها وعلى تفكيرها، حتى اصحت بتسم للألم. ألم يكن كل هذا نتيجة الحب؟ ونحن معشر الرجال نستطيع ان نتكلم اكثر ونقسم اكثر. لكن براهينا تنخطى في الواقع مشاعرنا. فنحن في النتيجة نكثر من الاحتجاج ونقلل من الحب.  
الدوق : لكن هل ماتت اختك من جراء حبيها، يا ولدي؟  
فيولا : انا الآن وحيد، لا اخ لي ولا اخت. ومع ذلك، لا اعرف... هل اذهب الى تلك السيدة ام لا؟  
الدوق : أجل، يجب ان تسرع اليها. اعطها هذه الجوهرة وقل لها ان حبي لا يتحمل الرفض ( يخرجان ).

## المشهد الخامس

في ممر ضمن حديقة أوليفيا

( يدخل سير طوبي وسير اندره وبيان )

سير طوبي : تعال، تعال، يا سيدي بيان.  
بيان : ها قد وصلت. لن انسى ما حييت تفاصيل هذه المهزلة.  
سير طوبي : ألم تسرّك رؤية هذا النذل بعد اذلال كبريائه؟  
بيان : سرّني ذلك كثيرا، مع انه افقدني الحظوة لدى السيدة، بمناسبة وقوع معركة الخنازير هنا.

سير طويبي : سُنحضر الى هنا احد الخنازير لكي تغيظه وتسخر منه. أليس كذلك يا سير اندريه؟  
سير اندريه : ينبغي ان نفعل ذلك.

( تدخل ماريا )

سير طويبي : ها قد جاء المفريت الصغير.  
ماريا : اجتئوا انتم الثلاثة. سينزل ملفوليو الى هذا الممر. فقد مضى عليه نصف ساعة وهو واقف في الشمس يتأمل ظله. ارجوكم ان تنظروا اليه. انا واثقة بأن هذه الرسالة ستجعل منه رجل تأمل أبله. أستحلفكم ان تنتحوا قليلا. ( يخبئ الرجال الثلاثة. ترمي ماريا بالرسالة الى الارض ). انت، ابقى هناك. فقد وصلت السمكة التي منسقاطها ونحن نداعبها ( تخرج ماريا ).

( يدخل ملفوليو )

ملفوليو : الحظ هو كل شيء. لعمرى، هي تشمر بميل طبيعي اليّ. وقد اخبرتني ماريا بذلك عندما سمعتها شخصا تعلن انها اذا احبت ذات يوم، ستحب رجلا من أمثالي، وهي لا تعامل بقية خدام المنزل كما تعاملني.  
سير طويبي ( على حدة ) : ها قد وقع في الفخ الذي نصبته له.  
فيان ( على حدة ) : التأمل جعل منه ديكاً حبشياً. انظر كيف يتبختر ويتباهى بريشه.

سير اندريه ( على حدة ) : يا الهي!  
سير طويبي ( على حدة ) : هدثوا روعكم.  
ملفوليو : سأصبح كونت ملفوليو. اذ سبق وتزوجت السيدة ستراشي احد الحجاب المؤتمنين على ثيابها وكان في وضع مماثل.  
فيان : اراه غارقاً في تخيلاته.  
ملفوليو : لقد تزوجته منذ ثلاثة اشهر.

سير طويبي ( على حدة ) : اعطوني قوساً سريعاً وقاسياً لأفقاً عينيه.  
ملفوليو : سأستدعي قوّادي ليقفوا حولي بعد ان أغادر سريري حيث تكون اوليفيا نائمة.

سير طويبي ( على حدة ) : ليتك تصبح وقوداً للنار.

فيان ( على حدة ) : هدثوا روعكم، هدثوا روعكم.  
ملفوليو : عندئذ سأقف امامهم متغطرسا وألقي عليهم نظرة تجعلهم يدركون  
مقامي من جهة، ومقامهم هم ايضا بالنسبة التي من جهة ثانية. ثم أستدعي  
نسيبي سير طوبي.

سير طوبي ( على حدة ) : ألا ليك تُكَيِّل بالقيود!

فيان ( على حدة ) : هدثوا روعكم، وانتهوا.

ملفوليو : ليذهب سبعة من رجالي ويبحثوا عنه. و بانتظار ذلك أقطب جيبني  
وألهر باحدى المجوهرات. فيصل سير طوبي ويدنو مني ويحييني...

سير طوبي ( على حدة ) : هل سيبقى هذا المحتال حيا؟

فيان ( على حدة ) : قلت لكم وأكرر القول: هدثوا روعكم.

ملفوليو : سأمد اليه يدي هكذا، وانظر اليه نظرة من له سلطان...

سير طوبي ( على حدة ) : عندئذ سأطعمك لطمة عيفة، أليس كذلك.

ملفوليو : عندئذ سأقوله له: الحظ الذي وهبني ابنة اخيك وهبني ايضا ميرة  
التحدث.

سير طوبي ( على حدة ) : لنستمع، لنستمع.

ملفوليو : يجب ان تقلع عن السكر.

سير طوبي : قتلك مرض الطاعون.

فيان ( على حدة ) : مهلا، وإلا اكتشف امرنا.

ملفوليو : ينبغي ايضا ان تكف عن هدر وقتك الثمين بصحبة هذا الفارس  
الأبله.

سير اندريه ( على حدة ) : يقصدني انا بكلامه هذا، لان العديد من الناس  
يدعونني غيبا.

ملفوليو : ماذا يجري هناك؟ ( يلتقط الرسالة )

فيان ( على حدة ) : أوشك ان يقع في الفخ.

سير طوبي ( على حدة ) : هدثوا روعكم. ليته يقرأ بصوت عال!

ملفوليو : أقسم بحياتي بأن هذا الخط يخص السيدة.

سير اندريه ( على حدة ) : كيف عرفت ذلك؟

ملفوليو ( يقرأ العنوان ) : الى الحبيب المجهول أبعث برسالتي هذه مع اطيب تمنياتي. هذه هي تعابيرها، وهذا هو ختمها. الى من يمكن ان توجه هذه الرسالة؟ ( بفضّ الرسالة ).

فيان ( على حدة ) : لقد اخذت بمجامع قلبه.

ملفوليو ( يقرأ ) : الله يعلم من احب

ولكن من؟

شفتاي لا تتحركان.

لا أريد ان يعلم به احد.

لا اريد ان يعلم به احد. آه! لو كنت انت المقصود بذلك، يا ملفوليا

سير طويبي : اذهب واشتق نفسك، ايها الوغد.

ملفوليو ( يقرأ ) : استطيع ان آمر حيث احب

لكن الصمت كسكين لو كراس

يخترق قلبي دون ان يسيل منه دم

م. ل. أ. و. يسيطر على تفكيري.

فيان ( على حدة ) : هذا لغز عويص.

سير طويبي ( على حدة ) : يا لها من فناة رائعة!

ملفوليو : ما معنى م. ل. أ. و.؟

فيان : أي نوع من السم أعدت له؟

ملفوليو : استطيع ان آمر حيث احب. تستطيع ان تأمرني، فأخدمها. هي

سيدتي. الامر في غاية الوضوح، ولا مجال للتردد. لكن ما معنى هذه الاحرف

في نهاية المقطع؟ آه! لو كنت استطيع ان اجعلها تنطبق عليّ. الحرف الاول

يتبدى، به اسمي. اما باقي الحروف مجتمعة فلا يمكن ان تؤلف اسمي. لكن

جميع هذه الحروف موجودة في اسمي. لذلك ينبغي ان ارى فيها تلميحا اليّ.

مهلا. لنقرأ النثر المتبقي. ( يقرأ ).

« اذا وقعت هذه الرسالة بين يديك، فكّر جيدا. انا بحسب برجتي اعلى منك

مرتبة انما لا تخف من الامجاد. هناك من يولدون عظماء، وهناك ايضا من

يكتسبون العظمة اكتسابا، وهناك اخيرا من تفرض عليهم العظمة فرضا. القدر

يعد اليك يده فتناولها بجرأة. ولكي تستعد لما انت قادر على بلوغه، عليك ان تنزع عنك الانسان الحقير وتبدو انسانا جديدا، كن متجهم الوجه مع اقاربك، وفضا مع خدامك. اتخذ لك شكلا فريدا. تذكر جيدا من كان يمتدح جواربك الصفراء. تذكر ذلك جيدا. انت الان شخصية مرموقة، اذا اردت ذلك. وإلا فانك ستظل الى الابد وكيفا بسيطا، تصحب الخدم، ولا يحق لك ان تلمس الحظ والسعادة ولو بطرف اصبعك. وداعا. واسلم لمن تريد ان تخدمك بدلا من ان تخدمها انت .»

### «الثرية المعذبة»

الامر في غاية الوضوح. سأقرأ كتب المؤلفين السياسيين، وسأعمل على ان اكون رجلا انيقا. لن أخدع بعد الآن لان كل الدلائل تشير الى ان السيدة تحبني. لقد امتدحت مؤخرا جواربي الصفراء، وبذلك اظهرت لي جها. بقي عليّ ان ابادلها هذا الحب. أشكر برجي، فأنا سعيد. لكن هذا ملحق للرسالة. ( يقرأ ) « لا يعقل ان تجهلني بعد كل ما قلته لك. اذا كنت تبادلني الحب حقا ارجوك ان تبسم امامي دائما ». طبعاً سأبتسم وسأفعل كل ما تريدين ( يخرج )

فبيان : لم اكن لأفوت عليّ مثل هذه المهزلة مهما كان الامر.  
سير طوبي : سأ تزوج هذه الفتاة، فقط لانها استطاعت ان تأتي بخدعة جديدة كهذه.

سير اندريه : وأنا ايضا.

سير طوبي : لن اطلب منها مهرا آخر سوى القيام بمهزلة اخرى مماثلة.

سير اندريه : وأنا ايضا.

( تدخل ماريا )

فبيان :لقد وصلت المخادعة البارعة.

سير طوبي ( يخاطب ماريا ) : هل تريدين ان تضعي رجلك على رقبتي؟

سير اندريه : او على رقبتي انا؟

سير طوبي : هل ينبغي عليّ ان أجازف بحريتي وأصبح عبدك؟

سير اندريه : وأنا ايضا.  
سير طوبي : لقد أغرته في حلم عظيم، واذا قُدر له ان يصحو منه سيصبح  
مجنوناً.  
ماريا : لكن أخبرني، هل تأثر بما قرأ؟  
سير طوبي : رسالتك اسكرته.  
ماريا : حسناً. اذا اردتم ان تروا خاتمة المهزلة، عليكم ان تلاحظوا ظهوره  
الاول امام السيدة. سيمثل امامها بجوارب صفراء، وهو لون تكرهه. وسيتم  
لها، وهذا ما لن تستطيع تحمّله، وهي في هوة من الحزن، الامر الذي سيدفعها  
الى رفضه بقسوة. اذا اردتم ان تروا ذلك، اتبعوني.  
سير طوبي : سنتبعك حتى النهاية، ايتها الفتاة البارعة.  
سير اندريه : وأنا ايضا. ( يخرج الجميع ).

## الفصل الثالث

### المشهد الأول

#### في حديقة أوليفيا

( تدخل فيولا، بينما فاست حاملا دفا )

فيولا : حفظك الله، ايها الصديق، انت وموسيقاك. هل تكسب معيشتك من الغناء؟

فاست : لا، يا سيدي. انا احيا بالقرب من الكنيسة. لكنني لا أتقاضى اجرا. فيولا : اذا انت لست برجل دين.

فاست : لا، ان ميزة عصرنا هي التلاعب بمعاني الكلمات. ولقد تعودت معاني الكلمة الواحدة التي أسيء استعمالها.

فيولا : هل اصبح بإمكان المتلاعبين بمعاني الكلمات ان يسيئوا استعمالها في كل مناسبة؟

فاست : كنت أتعنى لو لم يكن لأختي اسم.

فيولا : لماذا، ايها الصديق؟

فاست : لان اسمها كلمة، ولأن التلاعب بهذه الكلمة يفسد اختي. اذ ان الكلمات فقدت قيمتها منذ ان افسدتها الموجبات.

فيولا : وما هو برهانك على ذلك، يا صديقي.

فاست : لا استطيع ان أقدم لك برهانا بدون كلام. والكلام اصبح مغلوطا، حتى اني بتّ اكراه استعماله لأفكر.  
فيولا : انت رفيق سعيد، ولا تهتم بأي شيء.  
فاست : كلا، يا سيدي، هناك اشياء أهتم بها. لكنني في قرارة نفسي لا أهتم بك.

فيولا : ألت مهرج السيدة اوليفيا؟  
فاست : كلا، يا سيدي. السيدة اوليفيا لا تهتم بالمهرجين. ولن يكون لها مهرج الا عندما تتزوج. في الحقيقة لست مهرجا. انما انا من يفسد عليها كلامها.

فيولا : شاهدتك مؤخرا لدى دوق اورسينو.  
فاست : أعتقد بأنني رأيتك بدوري عنده.  
فيولا : خذ هذه مكافأتك ( تعطيه قطعة من النقود ).

فاست : جزاك عني جوييتار خيرا.  
فيولا : اقسام لك بأنني ارغب كثيرا في الحصول على هذا الخير، رغم اني أتمنى ان يكون لغيري. هل سيدتك في المنزل؟  
فاست ( ينظر الي قطعة النقود ) : ألا يتسنى، يا سيدي، لزوجين من هذا النوع ان يتكاثرا؟

فيولا : أجل، بشرط ان يلتصقا الواحد بالآخر، ويتم الاخصاب بينهما.  
فاست : سيدتي الآن موجودة عند الشحاذة كريسيديا. سأشرح لها من قبل من انت قادم. أما من أنت، وماذا تريد، فهذه أمور لا علاقة لي بها ( يخرج ).  
فيولا ( على حدة ) : هذا المحتال على درجة عالية من الذكاء ليقوم بدور المهرج. ينبغي عليه ان يتأمل مزاج الاشخاص الذين يمازحهم، ونوعية هؤلاء الناس. هذه مهنة شاقة تماما كوضع الرجل الحكيم، لان الجنون الذي يديه انما ينجم عنه ببراعة فائقة، بينما الحكماء عندما يصبحون مجانين يفقدون عقولهم كليا.

( يدخل سير طوبي وسير اندريه )

سير طوبي ( يخاطب فيولا ) : مرحبا، أيها النبيل.

فيولا : أهلا بك، يا سيدي.

سير اندريه ( يخاطب فيولا ) : حفظك الله، يا سيدي.

فيولا : وأنت أيضا.

سير طويبي : هل تريد الدخول الى المنزل ؟ ان ابنة أخي ترغب في مقابلتك، اذا كنت تريد منها شيئا.

فيولا : ان ابنة أخي هي غاية مجيبي، يا سيدي.

سير طويبي : هيا، ادخل.

فيولا : سأدخل.

( تدخل أوليفيا وماريا )

( يخاطب أوليفيا ) : أيتها السيدة الرائعة، لتمطر السماء عليك رياحينها

ورودها.

سير اندريه : هذا الفتى متزلف محثك.

فيولا : رسالتي موجهة اليك فقط، أيتها السيدة.

اوليفيا : اقبلوا باب الحديقة، ودعوني أستقبل هذا الفتى. ( يخرج سير طويبي،

وسير اندريه وماريا ) هات يدك، أيها السيد.

فيولا : أهديك تحياتي، أيتها السيدة.

اوليفيا : ما اسمك ؟

فيولا : أنا خادمك سيزاريو، أيتها الأميرة.

اوليفيا : خادمي ؟ أنت خادم الدوق اورسينو، أيها الفتى.

فيولا : لكنه خادمك، وخادمه ينبغي أن يكون خادمك. وخادم خادمك هو

خادمك أيضا يا سيدي.

اوليفيا : أنا لا أفكر فيه، وأتمنى أن لا يفكر هو في.

فيولا : أتيت اليك، يا سيدي لأوجه تفكيرك نحوه.

اوليفيا : أرجوك أن تعذرني. قلت لك ان لا تحدثني عن قضية ثانية. فأنا

أفضل الاستماع اليك على استماع موسيقى الكواكب.

فيولا : أيتها السيدة الحبيبة...

اوليفيا : أرجوك أن تعفني. لقد أرسلت اليك اثر زيارتك الأخيرة لي، خاتما

مع أحد خدمي، فخدعته. وبذلك عرضت نفسي لاتقادك اللاذع، اذ أرغمتك على أخذ ما ليس لك، أعني الخاتم. ألم تسيء الظن بي وتظن بشرفي ؟ ان ما يستر قلبي ليس صدرا من لحم بل برقما للحداد. لذا أستمع اليك.

فيولا : أنا أرثي لحالك.

اوليفيا : هذه خطوة نحو الحب.

فيولا : لا ليس الأمر كذلك. فالمرء يشفق أحيانا على أعدائه.

اوليفيا : أعتقد بأن الوقت قد حان لأستعيد بسمتي. ما أغربك أيتها الانسانية ا فالكبرياء داء خطير لا يصيب الأقوياء بل الضعفاء. اذا فرض على المرء أن يكون ضحية، فمن الأفضل أن يكون فريسة الأسد لا الذئب. ( تدق الساعة ) الساعة تبني الى الوقت الذي أضيئه. لا تخف أيها الفتى. أنا لا أضمر لك الشر. عندما ستزوج، ستتهج بك امرأتك. بإمكانك الآن أن تذهب.

فيولا : أتمنى لك السعادة، أيتها الأميرة. هل تريدان أن أحمل أي شيء من قبلك الى سيدي ؟

اوليفيا : قف. أرجوك أن تقول لي حقيقة رأيك في.

فيولا : أعتقدان بأنك خلاف ما أنت عليه ؟

اوليفيا : اذا اعتقدت بذلك، فانما بسبب ما يخصك.

فيولا : اذا كان الأمر كذلك، فاني أعتقد أيضا بأنك خلاف ما أنت عليه.

فيولا : أنت مصيبة في اعتقادك.

اوليفيا : لبتك الشخص الذي أتمنى أن يكون محللك.

فيولا : هل أكون أنا الرايح عندئذ في مثل هذه الحالة ؟ اذا كان الأمر كذلك، فأنا موافق. لأنك منذ الآن بدأت تسخر مني.

اوليفيا : كم هو رائع هذا الاحتقار الذي يبدو على شفتي الغاضبتين. ان ندم القاتل سرعان ما يفضح صاحبه الذي يحاول اخفائه. وهذا ما يحصل أيضا بالنسبة الى الحب الذي يحاول صاحبه أن لا يوح به. لأن ليل الحب أشبه ما يكون بالظهيرة. يا سيزاريو، أقسم لك بورود الربيع وبالعداري وبالحق وبكل ما في الوجود بأنني أحبك كثيرا، وبأنني رغم كبرياتك، لم يستطع عقلي أن يخفي عنك حبي. لا تتخذ من يوحى المبكر هذا حجة لتصدني.

فيان : أظهرت مودتها له لتغضبك فقط، ولنشغل في قلبك الغيرة التي تحملك على السخرية منه. هذا ما كانت تنتظره منك فعلا. لكنك خيت ظنها. فلن تستعيد تقديرها لك، الا اذا قمت ببطولة مجيدة أو بعمل سياسي رفيع المستوى.

سير اندويه : أنا أكره السياسة، لذلك سأقوم بعمل مجيد.

سير طويبي : اذا عليك أن تتحدى خادم الدوق وتدعوه الى المباراة، ولا تدعه الا بعد أن يصاب بعدة جراح. ستعلم ابنة أخي بالأمر، فتجك بكل جوارحها.

اذ ليس كالشجاعة ما يرفع قدر الرجل في نظر المرأة.

فيان : هذه وسيلته الوحيدة لتحقيق مآربه.

سير اندويه : سينقل أحدكما اليه التحدي بالمبارزة.

سير طويبي : في كتابك اليه، كن جافا ومقتضبا.

فيان : سيخط اليه رسالة فريدة من نوعها.

سير طويبي : سأستخدم جميع الوسائل لحمل الفتى على الاجابة.

( تدخل ماريا )

سير طويبي : وصلت الملكة الصغيرة.

ماريا : اذا كنت تحب المرح، اتبعني. فقد اصبح ملفوليو وثيا. اذ لم يعد يرغب في الخلاص وفقا للايمان القويم، بل يعتقد بالامور المستهجنة التي يسلّم بها هذا الفتى. وهو يرتدي الآن جواربه الصفراء. انه ينفذ كل ما تضمنته الرسالة، وبسمته العريضة تكثر من تجاعيد وجهه. اقسم لك، بأن سيدتي ستصفعه اذا رأتة على هذه الحالة. واذا فعلت ذلك، سيظل يتسم لها، معتقدا بأنها انما ضربته لانها تحبه.

سير طويبي : هيا بنا الى حيث يوجد ملفوليو. ( يخرج الجميع ).

## المشهد الثالث في الشارع

( يدخل انطونيو وسيستيان )

سيستيان : لم اكن اريد ان أسبب لك المتاعب. لكن بما انك مسرور بالأمك فاني لن أوبخك بعد الآن.

انطونيو : لم يكن باستطاعتي ان امكث بعد رحيلك عني. لم اكن فقط ارغب في مشاهدتك. لكن خوفي عليك حملني ايضا على اللحاق بك، خاصة انك موجود في بلاد، هي بالنسبة اليك انت الغريب، قاسية غير مضيافة.

سيستيان : عزيزي انطونيو، انا اشكرك على عواطفك هذه، ولا يسعني الا ان اكرر لك شكري دائما. ولو كانت مواردك عريضة مثل ضميري، لأحسنت مكافأتك. لكن كثيرا ما تكافأ الخدمات العظيمة بالشكر وحده. ماذا تفعل الآن؟ هل تريد ان تذهب لشاهد آثار المدينة؟

انطونيو : غدا يا سيدي، من الافضل اولا ان تؤمن مسكنا لك.

سيستيان : لت متعبا، والليل ما زال بعيدا. فأرجوك ان تصحبني لنمّح أنظارنا بمشاهدة الآثار التي تزين هذه المدينة.

انطونيو : ارجوك أن تعذرني لأنني لا أستطيع أن أتنزّه في الشوارع دون أن أتعرض للخطر. لقد قدمت خدمات جليلة في معركة بحرية جرت منذ مدة مع سفن الدوق.

سيستيان : هل قتلت عددا غفيرا من الناس ؟

انطونيو : لم تكن المعركة التي جرت بيننا دموية، لأن الأمر سوي فيما بعد وأعدنا ما أخذناه. أما أنا فرفضت ذلك، ولهذا أخشى أن يمسك بي أحد هنا. سيستيان : لا تكثر اذاً من ظهورك في الأماكن العامة.

انطونيو : خذ محفظتي هذه يا سيدي. سنقيم في الضواحي الجنوبية في منطقة الفيل وسأوصي على طبق طعام لكلينا، بينما تستمتع أنت بمشاهدة معالم المدينة وستجدني هناك.

سيستان : لماذا أعطيتي محفظتك ؟  
انطونيو : قد تعجبك دمية ما، فتود شراءها. وقد يعوزك المال في مثل هذه  
الحالة.  
سيستان : سأحمل محفظتك، وأتركك لمدة ساعة من الزمان.  
انطونيو : إلحق بي الى مقاطعة الفيل.  
سيستان : لن أنسى ذلك أبدا ( يفرقان ).

## المشهد الرابع في حديقة اوليفيا

( تدخل اوليفيا وماريا )

اوليفيا ( تفكر ) : لقد أرسلت في طلبه، وقال انه سيأتي. فكيف سأعيده ؟  
وماذا سأعطيه ؟ لأن الشيبية تشتري أكثر مما تعطي نفسها. ما لي أتكلم  
بصوت عالٍ ؟ أين ملفوليو ؟ هو رجل وقور ولاذع، هو الخادم الذي  
يلائمني. أين ملفوليو ؟  
ماريا : ها قد وصل، يا سيدتي. لكنه يبدو في حالة غريبة، كأن في داخله مئة  
شيطان.

اوليفيا : ما به ؟ هل هو في حالة هذيان ؟  
ماريا : كلا، يا سيدتي. هو يتسم، ومن الأفضل لك أن تحتفظي بحارس  
قريب منك اذا أتى. أنا واثقة بأن الرجل تسكنه الشياطين.  
اوليفيا: اذهبي وابحثي عنه. سأكون بلهاء مثله اذا كان هناك من مساواة بين  
الجنون الحزين والجنون المرح.

( يدخل ملفوليو )

من ؟ ملفوليو ؟

ملفوليو ( يتسم بشكل غير مألوف ) : سيدتي العزيزة.  
اوليفيا : أنت تبسم ؟ لقد أرسلت في طلبك لأمر خطير.  
ملفوليو : خطير، يا سيدتي ؟ أستطيع أن أكون وقورا. لكن ربطة ساقني تحبس  
الدم في عروقي. هذا لا يهم. اذا كنت تعجب شخصا ما، فاني أستطيع أن  
أردد ما جاء في القصيدة : أن يكون المرء موضوع اعجاب شخص ما، يعني  
انه موضوع اعجاب الجميع.

اوليفيا : ما بك، يا هذا ؟

ملفوليو ( يتسم ) : لا يخيم الغم على نفسي، رغم وجود اللون الأصفر على  
ساقني. لقد اهديت الى عنوانها، وسأنفذ جميع أوامرها.

اوليفيا : هل تريد الذهاب الى النوم، يا ملفوليو ؟

ملفوليو ( يتسم ) : أجل، يا حبيبي، أريد أن آتي اليك.

اوليفيا : كان الله في عونك. لماذا تبسم هكذا وترسل الي بيدك كل هذه  
القبيلات ؟

ماريا : كيف حالك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو ( باحتقار ) : سأجيبك، كما يجيب العنديل الغراب.

ماريا : لماذا تقف أمام السيدة بهذه الوقاحة ؟

ملفوليو : لا تخف من الأمجاد. لقد أجاد من فاه بهذا القول المأثور.

اوليفيا : ماذا تقصد بذلك، يا ملفوليو ؟

ملفوليو : هناك من يولدون عظماء.

اوليفيا : ماذا تقول ؟

ملفوليو : وآخرون يكتسبون الأمجاد اكتسابا.

اوليفيا : ماذا تقول ؟

ملفوليو : وآخرون يفرض عليهم المجد فرضا.

اوليفيا : أتمنى لك أن تعود الى رشدك.

ملفوليو : تذكر من امتدح جواربك الصفراء.

اوليفيا : آية جوارب صفراء.  
ملفوليو : اذهب، فأنت منذ الآن شخصية مرموقة، اذا أردت ذلك.  
اوليفيا : أنا شخصية مرموقة ؟  
ملفوليو : وإلا ستبقى خادما الى الأبد.  
اوليفيا : هو مصاب حتما بجنون حقيقي.

( يدخل أحد الخدم )

الخدام : يا سيدتي، لقد عاد النبيل القادم من قبل الدوق اورسينو، بعد أن بذلت جهدا كبيرا في سبيل عودته اليك.  
اوليفيا : سأمضي اليه. ( يخرج الخادم ) يا ماريا، أين عمي طوبي ؟ ليعتنر بعض الخدم بهذا الصديق عناية خاصة. لا أريد أن يعييه أي مكروه، ولو خسرت نصف ما أملك ( تخرج اوليفيا وماريا ).  
ملفوليو : اقتربوا مني الآن. لا أريد أن يعتني بي شخص غير سير طوبي.  
فذلك يتفق تماما مع ما جاء في الرسالة. لقد ارسلته اليّ خصيصا لأعامله بوقاحة لأنها تدعوني في الرسالة الى معاملته بهذه الطريقة. انزع عنك الانسان الحقيير وكن منجهم الوجه مع أقاربك وفظا مع خدمك. وأخيرا قالت وهي تغادر هذا المكان : اعتنوا بهذا الصديق. حقا كل شيء ينطبق على ما جاء في الرسالة. ولقد فعل جوبيتار كل هذا لأجلي، فوجب عليّ أن أشكره.

( تدخل ماريا مع سير طوبي وفيان )

سير طوبي : أين هو ؟ أستحلفكم بجميع من تحبون. أريد أن أكلمه ولو سكتته جميع الشياطين.  
فيان : ها هو، ها هو. كيف حالك يا صديقي ؟  
ملفوليو : اذهبوا عني. أنا أصدر لكم أمرا بالانصراف. دعوني أستمتع بوحدي. هيا اذهبوا عني.  
ماريا : الشيطان يتكلم بصوته. ألم أقل لكم ذلك ؟ والسيدة ترجوك أن تعتني به، يا سير طوبي.  
ملفوليو : هل قالت هذا حقا ؟

سير طويبي : ينبغي أن تصرف معه بلطف. دعوني أفعل كيف حالك يا ملفوليو ؟ أطرده عنك الشيطان، أيها الصديق، واعتبره عدو البشرية.

ملفوليو : هل تدري ما تقول ؟

ماريا : ألا ترى كيف يتألم عندما تسيء الكلام عن الشيطان ؟ قد يكون حقا سكنه الشيطان ؟

فيان : سنحمله الى العرافة غدا.

ماريا : أجل، لأن سيدتي لا تريد فقداه، مهما كان الثمن.

ملفوليو : ما معنى ذلك، يا سيدتي.

ماريا : يا الهي !

سير طويبي : أرجوك أن تصمتي. ليست هذه هي الوسيلة الفضلى. ألا ترين انك تثيرين غضبه ؟ دعيني وحدي معه.

فيان : الوسيلة الفضلى للاعتناء به هي اللطف. لأن الشيطان كائن خشن، ولا يريد أن نعامله بخشونة.

سير طويبي : حسنا. كيف حالك أيها الديك الفصيح ! بل كيف حالك أيتها الدجاجة ؟

ملفوليو : سيدي !

سير طويبي : أجل. تعال معي أيها الصغير. لا يليق بوقارك أن تداعب الشيطان.

ماريا : دعه يتلو صلاته، يا سير طويبي.

ملفوليو : صلاتي، أيتها الحمقاء ؟

ماريا : هو لا يريد، بعد الآن أن يستمع الى كل من يمت الى التقوى بصلة.

ملفوليو : اذهبوا جميعكم واشنقوا أنفسكم. فأنا لست من طبتكم. ستعلمون

المزيد عني فيما بعد ( يخرج ).

سير طويبي : هل هذا معقول ؟

فيان : لو ان ما أشاهده الآن كان عملا مسرحيا حقيقيا، لما صدقت ما أرى وما أسمع.

سير طويبي : ان خبثنا قد سقم نفسه، يا صديقي.

ماريا : لكن للحق به الآن، خشية أن يهوي خبثنا فيفسد.

فيان : لكننا بعملنا هذا ندفعه الى الجنون.  
ماريا : في مثل هذه الحالة، سيعم الهدوء كل أرجاء المنزل.  
سير طوبي : تعالوا، سنحبسه في غرفة مظلمة وسنقيده. اذ باتت ابنة أخي  
مقتنعة بأنه أضحي مجنوناً. وهكذا نستطيع أن نطيل مرحنا من جهة، وعقابه  
من جهة أخرى، حتى يحملنا فرحنا بالذات على الاشفاق عليه. لكن انظروا،  
انظروا.

( يدخل سير اندريه )

فيان : سيزداد مرحنا بحضوره.  
سير اندريه : هذا هو كتاب التحدي بالمبارزة. إقرأه. أؤكد لك انه لاذع  
للعناية.

فيان : هل هو لاذع الى هذا الحد ؟  
سير اندريه : أجل، إقرأه.

سير طوبي : اعطني اياه ( يقرأ ) أيها الفتى لست سوى بخيل محتال.  
فيان : يا له من رجل شجاع !  
سير طوبي ( يقرأ ) : لا تعجب، ولا تتساءل لماذا أدعوك هكذا، فلن أنصح  
لك عن ذلك.

فيان : هذه ملاحظة قيمة تحمينا من ضربات القانون.  
سير طوبي ( يقرأ ) : سنأتي الى المنزل سيدتك اوليفيا وتحسن معاملتك على  
مرأى مني. لكنك كذاب، وأنا لا أتحدّك لأجل هذا.  
فيان : لقد أحسن الایجاز. لكنه شط عن الموضوع.  
سير طوبي ( يقرأ ) : سألتقي بك لدى عودتك، واذا كان من حسن حظك أن  
تقتلني...  
فيان : أحسنت.

سير طوبي ( يقرأ ) : ستقتلني كما يُقتل الأوغاد.  
فيان : ما زلت تتحاشى القانون.  
سير طوبي ( يقرأ ) : وداعاً. ليتقبّل الله أحد روحينا، ربما روحي، لكن ألمي

كبير في البقاء حيا. وهكذا، ما عليك الا أن تحذرنى. فأنا صديقك الحميم اذا أحسنت معاملتي، وعدوك اللدود...

( اندريه اكانيك )

اذا لم تحركه هذه الرسالة، فمعنى ذلك ان ساقيه لا تستطيعان حمله. سأسلمه اياها.

ماريا : أمامك فرصة نادرة للقيام بذلك. هو الآن يتحدث الى السيدة وسيغادر المنزل فورا.

سير طوبي : هيا يا سير اندريه، أكن له في زاوية الحديقة، واذ تراه إمتشق سيفك واشتمه بصوت مرعب. اذ غالبا ما تكون الشتيمة هكذا مرعبة. وفي هذه الحالة يعتبر عملك برهانا عظيما علي مقدار شجاعتك. فالى الامام.

سير اندريه : إتكل عليّ في هذا الأمر، بحق الشتيمة. ( يخرج ).

سير طوبي : لا، لن أسلمه هذه الرسالة، لأن تصرف هذا الفتى النبيل، يدل على مقدرته وثقافته. ان مهمته كوسيط بين سيده وابنة أخي تثبت ذلك أيضا. وبالتالي، هذه الرسالة السخيفة لن تسبب له أي خوف. سيدرك ان مرسلها رجل غبي. لكنني سأبلغه التحدي بالمبارزة بصوتي الحي. وسأعلم سير اندريه بشهرة هذا الفتى النبيل. وسأرسخ في ذهن هذا الأخير فكره عن غضب سير اندريه ومهارته، وبذلك سيخشى كل منهما الآخر، حتى ان أحدهما سيقتل الآخر بمجرد النظر اليه.

( ندخل اوليفيا وبيولا )

فيان : ها هو قادم مع ابنة أخيك. لندعهما وحدهما، الى أن يتوارى أحدهما فتولى أمر الآخر.

سير طوبي : بانتظار ذلك، سأعد دياجة مرعبة، لأعلن بواسطتها التحدي بالمبارزة. ( يخرج سير طوبي وفيان وماريا ).

اوليفيا : لقد أكثرت من التوسل الى هذا القلب المتحجر، وعرضت شرفي للاهانة، وفي داخلي ما يوبخني على ذنبي هذا. لكن استهتار ذنبي يستخف بالملامة.

فيولا : كل الصفات التي يتحلى بها حيك، يتحلى بها أيضا حب سيدي.  
اوليفيا : خذ تذكرنا مني هذه الجوهرة التي تحمل صورتني. لا ترفضها اذ  
ليس لها صوت يزعجك. أستحلفك بأن تعود اليّ غدا. أطلب مني ما تشاء،  
فيكون لك. لن أرفض لك مطلباً لا يعنني الشرف من تليته.  
فيولا : لن أطلب منك سوى حيك الصادق لسيدي.  
اوليفيا : كيف أستطيع أن أعطيه ما سبق لي أن أعطيتك اياه، وأظل مع كل  
ذلك شريفة ؟  
فيولا : اني أحلّك من ذلك.  
اوليفيا : حسنا. عُد غدا. وداعا. ان شيطاناً مثلك، باستطاعته أن يحمل نفسي  
الى الجحيم ( تخرج ).

( يدخل سير طويبي و فيان )

سير طويبي ( يخاطب فيولا ) : حفظك الله أيها النبيل.  
فيولا : وحفظك أنت أيضا، يا سيدي.  
سير طويبي : اعتبر نفسك في حالة الدفاع. لا أعلم ما هي نوعية الأخطاء التي  
ارتكبتها. فما أعلمه هو ان خصمك الدموي ينتظرك في آخر الحديقة. امتشق  
سيفك وكن مستعدا بكل ما أوتيت من رشاقة لأن خصمك بارع عنيد  
ومندفع.  
فيولا : أنت مخطيء، يا سيدي، فأنا واثق بأنني لم أتشاجر مع أحد. واذكر  
جيذا اني لم أتسبب باهانة أحد.  
سير طويبي : ستعلم عكس هذا. أوكد لك ذلك. فاذا كانت حياتك عزيزة  
عليك، كن متيقظا. لأن خصمك يتمتع بقوة الشباب ومهارته وعنفوانه.  
فيولا : لكن، أرجوك أن تقول لي من هو ؟  
سير طويبي : انه فارس يحمل سيفاً طويلاً لا تشوبه شائبة، وصاحب شهرة  
واسعة. لكنه في المشاجرات الخاصة يتحول الى شيطان. لقد ازهق حتى الآن  
ثلاثة أرواح، وغیظه في هذه اللحظة لا تسكته الا سكرات الموت، ووحشة  
القبور ما دام شعاره : إما النصر وإما الموت.  
فيولا : سأعود الى المنزل وأطلب من السيدة أن تؤمّن لي حراسة. لست

مقاتلا. انما سمعت بنوع من الرجال يسعون الى مشاكة الآخرين، فقط لكي يتحسوا بسالتهم. وقد يتصف هذا الرجل بهذا العيب الغريب.

سير طويبي : لا، يا سيدي. ان سبب غضبه هو اهانة صريحة. وهكذا، ما عليك الا أن تكمل سيرك وترضيه. لن تعود الى المنزل الا اذا برهنت لي انك تستطيع مجابته. فإما أن تكمل سيرك، وإما ان تمتشق حسامك، اذ ينبغي عليك أن تقا تل أو تقلع عن حمل السلاح.

فيولا : هذا غير لائق، وغير متعارف عليه. أرجوك أن تسمح لي بسؤال الفارس عن الاهانة التي وجهتها اليه. اذ قد تكون صدرت عني بدون قصد.

سير طويبي : سأفعل ذلك. يا فييان، ابق الى جانب هذا النبيل، ريثما أعود ( يخرج طويبي ).

فيولا : قل لي، أيها السيد، هل لك علم بهذه القضية ؟

فيان : ان ما أعلمه هو ان الفارس غاضب عليك كل الغضب.

فيولا : أرجوك أن تعلمني أي نوع من الرجال هو ؟

فيان : اذا حكمت عليه من ملامح وجهه، فلن تستطيع أن تكتشف فيه الشخص الخارق الذي سرعان ما تتعرف اليه، اذا ما امتحنت بساكنه. لا يمكنك أن تجد في مقاطعة إليري، عدواً دمويًا ماهرًا مثله. هل تريد ملاقاته ؟ سأؤطد السلام بينكما، اذا استطعت.

فيولا : أكون لك من الشاكرين. لأنني رجل مسالم ولا أحب القتال. لا أريد أن أكون مشهورًا بنزقي ( يخرجان ).

( يدخل سير طويبي وسير اندريه )

سير طويبي : يا عزيزي، هو شيطان حقيقي. لم أبصر له مثيلا أبدا أثناء القتال.

سير اندريه : لا أريد التحرش به.

سير طويبي : أجل. لكنه الآن في ذروة غضبه، ولا يريد أن يهدأ. فييان يبذل جهدا كبيرا للامساك به هناك.

سير اندريه : لو كنت أعتقد بأنه مقدم وبارع في لعبة السيف الى هذا الحد، لتركته يذهب الى الحجيم قبل أن أتحداه وأدعوه الى المبارزة. ليعتبر الأمر منتهايا وسأهبه حصاني الرمادي.

سير طويبي : سأعرض عليه اقتراحك. ابق هنا وحافظ على رباطة جأشك. سينتهي الأمر دون اراقة دماء. ( على حدة ) أستطيع مثلك أن أقود حصاني. ( يدخل فيان وفيولا )

( يخاطب فيان بصوت خافت ) لقد حصلت على حصانه مقابل تعهدي له بنسوية الخلاف وأقبعته بأن الفتى شيطان. فيان ( يخاطب سير طويبي بصوت خافت ) : لقد خامرت ذهن هذا الفتى فكرة مرعبة عنه. هو يلهث ويعلو وجهه الاصفار، كما لو كان أحد الخنازير يلاحقه.

سير طويبي ( يخاطب فيولا بصوت خافت ) : لا يوجد حل يا سيدي. هو يريد مقاتلتك من أجل اليمين الذي أقسمه. ولقد فكر مليا في الخلاف القائم بينكما، ووجد ان الكلام في هذا الموضوع لا يجدي نفعا. وأكد لي انه لن يلحق بك أي أذى.

فيولا ( على حدة ) : وقانا الله شره.

فيان ( يخاطب فيولا ) : أحجم عن القتال، اذا رأته غاضبا.

سير طويبي ( يخاطب سير اندريه بصوت خافت ) : هيا يا سير اندريه، أليس من حل ؟ هذا النبيل يريد فقط أن يركلك حفاظا على شرفه، ولا يمكنه أن يعفى نفسه من هذا دون أن يخالف أصول المبارزة. لكنه وعدني بأن لا يلحق بك الأذى. هيا خذ حذرك.

سير اندريه : ليتني يفني بوعده ! ( يمتشق سيفه ).

سير طويبي : أنت، يا سيدي، من أنت ؟

الطونيو : شخص مستعد للقيام بأعمال بطولية، حبا بهذا الانسان، ولا يمكنك أن تقوم بمثلها ( يشير الي فيولا ).

سير طويبي : اذا كنت تأخذ على عاتقك مشاحنات الآخرين، فأنا أتحداك ( يمتشق سيفه ).

فيان : قف يا سير طويبي، ها هم موظفو العدلية.

سير طويبي ( يخاطب انطونيو ) : سأعود اليك حالا.

فيولا ( تخاطب سير اندريه ) : أرجوك يا سيدي أن تعيد سيفك الى غمدته.

سير اندريه : أريد ذلك يا سيدي. وسأفي بوعدني لك. ان لسانه دافئ ويستطيع أن يقنعك بسهولة ونعومة.

الضابط الأول ( يشير الى انطونيو ) : هوذا الرجل، فقم بواجبك.  
الضابط الثاني : يا انطونيو، أنا أوقفك بناء على طلب اللوق اورسينو.  
انطونيو : أنت مخدوع، يا سيدي.

الضابط الأول : يا سيدي أنا أعرف جيدا وجهك، رغم انك لا تعتمر الآن قبعة البحارة. خذوه. هو يعلم اني أعرفه جيدا.

انطونيو : عني أن أطيع. ( يخاطب فيولا ) لقد حصل لي هذا، وأنا أبحث عنك. ماذا سنفعل ؟ الضرورة تجبرني على أن أسترد منك محفظتي، وأفعل هذا لعدم قدرتي على مساعدتك، وخوفا على ما قد ينوبني. أنت مذهول، انما تشجع وهديء روعك.

الضابط الثاني : هيا، سر.

انطونيو : لا بد لي من مطالبتك بقسم من هذا المال.

فيولا : أي مال، يا سيدي ؟ تقديرا لحسن موقفك تجاهي، ونظرا الى متاعبك الحاضرة، أريد أن أقسم معك ما أملك مناصفة رغم ضآلته.  
انطونيو : هل تنوي أن تتجاهلني الآن ؟ هل يعقل أن تنكر لما أظهرته لك من وفاء ؟ لا تجبرني في مصيبي هذه، خشية أن أفقد صوابي وأعاقبك على جميع الخدمات التي قدمتها لك.

فيولا : أية خدمات ؟ لا علم لي بها. أنا لا أعرف صوتك ولا ملامحك، وأكره من المرء نكران الجميل أكثر من الكذب والغدر والثروة والسكر وأي عيب آخر تكمن خميرته المفسدة في نفوسنا الضعيفة.

انطونيو : أيتها السماء !

الضابط الثاني : هيا، أرجوك أن تذهب معي.

انطونيو : دعني ألفظ كلمة واحدة. لقد أنقذت هذا الفتى الذي تراه هنا من برائن الموت وقد قدرت مزاياه التي بدت لي حافلة بالفضائل.

الضابط الأول : ماذا يعني كل هذا ؟ الوقت يمر بسرعة هيا نمضي.  
انطونيو : أي انسان وضيع أضحى هذا الشخص ! يا سيستيان، لقد ألحقت

العار بطلمة نبيلة، فليس أشبع في الطبيعة من شناعة الروح، وليس من مشوّه سوى فاقد النزاهة. فالفضيلة هي الجمال. أما العيب المستور، فليس سوى صندوق مقفل يزينه الشيطان.

الضابط الأول : لقد جن الرجل. خذوه. هيا نذهب، يا سيدي.

انطونيو : خذوني. ( يخرج الضابطان وانطونيو ).

فيولا : ( على حدة ) : كلماته تنبع من عاطفة جياشة حتى بدا مقتنعا بما يقول. أما أنا فلست مقتنعا بعد. لا تخدعني أيها الفارس، لا تخدعني. قد اغترّ هذا الفتى وطنني شخصك أيها الأخ العزيز.

سير طوبي : تعال، أيها الفارس، تعال يا فيان لتبادل بعض الحكّم.

فيولا (على حدة) : لقد تلفظ باسم سيستان. يحيل إليّ ابني أرى أخي بصورة دائمة حيا في ذاكرتي. وأرتدي ذات الثياب التي كان يرتديها، وأقلده في كل شيء. آه ! لو ان أخي ما زال على قيد الحياة، إذا لرحمتني العواصف وأشفقت علي أمواج البحر. ( تخرج ).

سير طوبي : هذا فتى خسيس، تنكر لصديقه، في مصيته.

سير اندريه : سأتعقبه وأضربه.

سير طوبي : امعن في تأديبه. لكن لا تمتشق سيفك في وجهه.

سير اندريه : اذا لم أفعل ذلك... ( يخرج ).

فيان : هيا بنا لنرى ما يحدث.

سير اندريه : أراهن على عدم حدوث أي شيء. ( يخرج الجميع ).

## الفصل الرابع

### المشهد الأول

في ساحة أمام منزل اوليفيا

( يدخل سيبان وفاست )

فاست : أتريد أن تقنعني بأنني لم أرسل للبحث عنك ؟  
سيبيان : لا، لا. أنا أعرفك، ولم ترسلني السيدة لأقول لك ان تأتي إليها  
وتكلمها. انت لست السيد سيزاريو، وهذا أيضا ليس الفتى. لا شيء في  
الوجود كائن بذاته.  
سيبيان : أرجوك أن تمضي الى مكان آخر، وأن تدع منه جنونك. أنت لا  
تعرفني.

فاست : أخشى أن يكون هذا العالم الساذج الفضولي مجرد مصيدة ذباب.  
لذلك، أرجوك أن تقول لي هل أبلغ السيدة بأنك ستأتي إليها ؟  
سيبيان : أرجوك، أيها الأبله، ان تدعني وشأني. خذ هذا المال. واذا بقيت  
هنا مدة أطول، ستال تقوداً من نوع آخر.  
فاست : أنت رجل كريم، والعقلاء الذين يهبون المجانيين مالا، يؤمنون  
لأنفسهم شهرة ويدفعون بدل ايجارها عن أربع عشرة سنة.

( يدخل سير أندريه وسير طوي ونيان )

سير اندريه ( يخاطب سيستان ) : وأخيرا وجدتك. يا سيدي، خذ هذا.  
( يضرب سيستان ).

سيستان : حسنا. خذ هذا أيضا وأبضا. ( يضرب سير أندريه ) هل جميع  
الأشخاص القاطنين هنا مجانيين ؟

سير طوبي : قف، وإلا ألقى سيفك من أعلى هذا المنزل.  
فاست : سأنقل كل هذا الى السيدة. لا أريد أن أتزيا بزيكم مهما كان الثمن  
( يخرج فاست ).

سير طوبي ( يمسك بسيستان ) : هيا، قف، يا سيدي.  
سير اندريه : دعه. سأصرف معه بطريقة أخرى. وأقيم عليه دعوى، اذا كان  
هناك من قوانين في مقاطعة إليري تجيز لك رغم اني بادرت الى ضربه اولا.  
سيستان ( يخاطب سير طوبي ) : ارفع يدك عني.  
سير طوبي : لن أدعك، يا سيدي. هيا، أعد سيفك الى غمدته، أيها الجندي  
الشاب. أنت قوي الشكيمة، هيا.

سيستان : سأخلص منك. ( يفلت منه ويستل سيفه ). ماذا تريد الآن مني،  
ان كنت تجرؤ على مبارزتي، إستل سيفك وهيا.  
سير طوبي : ماذا تقول ؟ سأجعل دمك الوقح يسيل كالماء ( يمتشق  
حسامه ).

اوليفيا : قف، يا طوبي. أستحلفك بأن تتوقف.

سير طوبي : سيدتي.

اوليفيا : أنت ما زلت ذاك الخبيث الذي لا سبيل الى اصلاحه، والمخلوق  
لتعيش في الجبال وكهوف البرابرة الذين لم يعرفوا معنى المدنية. أغرب عن  
وجهي، ولا تعتبر نفسك مهانا أيها العزيز سيزاريو. ابتعد من هنا أيها الفظ  
( يخرج سير طوبي وسير اندريه وفيان. تخاطب سيستان ) أرجوك أيها  
الصديق اللطيف أن تنقاد الى عقلك النبيل لا الى شهوتك الدنيئة ازاء هذا  
الاعتداء الجائر على سلامتك. ادخل معي، وعندما ستعلم أية حماقات ارتكب  
هذا الرجل السافل، ستضحك من غباهه. تعال لا تصدني. ملعون من جعل قلبي  
يرتعش في هواك.

سيمتيان : ما معنى كل هذا ؟ كيف تجري هذه الأمور ؟ فإما أنا مجنون وإما أنا في حلم. ليستمر الوهم في السيطرة على حواسي، اذا كان الحلم هكذا، فعماني أبقى دائما نائما.

اوليفيا : هيا، تعال. أرجوك أن تدعني أقودك بنفسي.

سيمتيان : أنا أفضل ذلك، يا سيدتي.

اوليفيا : ويحك. كن مرحا، وقل آمين ( يخرجان ).

## المشهد الثاني في منزل اوليفيا

( تدخل ماريا وفاست )

ماريا : أرجوك أن ترتدي ثوب رجال الدين هذا، وأن تضع هذه اللحية. دعها تعتقد بأنك سير توبا الكاهن، وأسرع. سأبحث عن سير طوبي في هذه الأثناء. ( تخرج ماريا ).

فاست ( يرتدي ثوب الكاهن ) : سأختبئ داخل هذا الثوب. معاذ الله ان أكون أول من يختبئ داخل رداء مثله. لست سمينا كفاية لأقوم بمثل هذه المهمة، ولا ضعيفا كفاية لأكون علامة، بمقدار ما هو حسن أن يكون الانسان شريفا، كذلك حسن أن يكون المرء بارعا وعالما كبيرا. لقد وصل الصديقان اللذان لا يفترقان.

( يدخل سير طوبي وماريا )

سير طوبي : البركة تحل عليك، أيها الكاهن.

فاست : الكائن الحي لا شك في وجوده. وهكذا بالنسبة اليّ. فكوني أنا الكاهن يعني اني رجل دين.

سير طويبي ( يشير الى غرفة يحتجز فيها ملفوليو ) : هيا بنا نذهب اليه يا سير توبا.

فاست ( بصوت عالٍ ) : كفى. قلت لك كفى ضحيج السجن.

سير طويبي : يا لك من محتال بارع في التقليد.

ملفوليو ( في غرفة مجاورة ) : من ينادي هناك ؟

فاست : أنا سير توبا الكاهن، جئت لأزور ملفوليو الغريب الطباع.

ملفوليو : يا سير توبا، يا سير توبا. هيا نذهب الي السيدة.

فاست : اخرج منه أيها الشيطان. لماذا تعذب هذا الانسان ؟ أنت لا تتكلم اذا

الا عن السيدات ؟

سير طويبي : أحسنت، أيها الكاهن.

ملفوليو : يا سير توبا لم يسبق لإنسان أن تحمل ما تحملت أنا من اهانات. لا

تحسني، يا سير توبا، مجنوننا رغم اني محجوز هنا في ظلمات رهيبة.

فاست : تبأ لك أيها الشيطان المنحط. أنا أدعوك بكلمات متواضعة، لأنني من

هؤلاء الناس الطيبين الذين يعاملون الشيطان نفسه بأدب، تقول ان هذه الغرفة

مظلمة.

ملفوليو : انها كالجحيم، يا سير توبا.

فاست : لها نوافذ شفافة مثل المتاريس، ومع ذلك تنذر من الظلمة.

ملفوليو : لست مجنوننا يا سير توبا. وأقول لك ان هذه الغرفة مظلمة.

فاست : أيها المجنون، أنت تائه. قلت ان ليس من ظلمات سوى الجهل الذي

أنت تنخبط فيه، أكثر من تخبط المصريين في ضابهم.

ملفوليو : قلت ان هذه الغرفة مظلمة مثلما الجهل هو مظلم، حتى ولو كان

الجهل أشد ظلاماً من الجحيم، وقلت ان لم يسبق لرجل ان عانى معاملة اسوأ

مما عانيت أنا. لست مجنوننا، تماما كما انك لست مجنوننا. ولك أن تتأكد

من ذلك خلال استجوابي بطريقة منتظمة.

فاست : ما رأي فيتاغوروس بالنسبة الي الطائر البري ؟

ملفوليو : روح جدتنا يمكن أن تكون متممصة في شخصه.

فاست : ماذا تقول في هذا الرأي ؟

ملفوليو : أنا لي فكرة نبيلة عن الروح. لذلك لا أقره على رأيه.  
فاست : وداعا. ابق دائما في الظلام. لن أقتنع بسلامة عقلك قبل أن تساند رأي فيتاغوروس، وتخاف من أن تقتل دجاجة الأرض خشية أن تقضي على روح جدتك. وداعا.

ملفوليو : يا سير توبا، يا سير توبا.

سير طوبي : حبيبي أنت، يا سير توبا.

فاست : يا سيدتي، أستطيع الإبحار في كل اتجاه.

ماريا : كان باستطاعتك أن تفعل كل هذا، بدون حاجة الى اللحية وثوب الكاهن، ولم يكن ليراك.

سير طوبي : كلمه بصوتك الطبيعي، ثم أخبرني كيف تجده. أريد التخلص من هذه المهزلة. اذا كان بالامكان اطلاق سراحه دون عائق، فأنا أرغب في ذلك. لأنني الآن في مأزق مع ابنة أخي، ولا أستطيع إطالة هذه المهزلة الى أقصى حد. تعال حالا الى غرفتي ( يخرج سير طوبي وماريا ).

فاست ( يغني ) : أيها القاضي، أيها القاضي السعيد، قل لي كيف حال زوجتك ؟

ملفوليو ( ينادي ) : أيها المجنون.

فاست : زوجتي عديمة الشعور بدون شك.

ملفوليو ( ينادي ) : أيها المجنون.

فاست : يا للأسف، لماذا هي هكذا ؟

ملفوليو : أيها المجنون، هل تسمعي ؟

فاست : هي تحب رجلا آخر...

من ينادي ؟

ملفوليو : اذا كنت تريد مساعدتي، أيها المجنون، فائتني بشمعة وبريشة وحرير وورقة. أقسم لك بأنني سأبقى مدينا لك ما حيت.

فاست : يا سيدي ملفوليو.

ملفوليو : نعم، أيها المجنون.

فاست : يا للأسف، كيف فقدت رشذك ؟

ملفوليو : أيها المجنون، لم يسبق لإنسان أن تحمّل ما تحمّله أنا من أهانات، مع اني بكامل قواي العقلية، مثلك أنت تماما.  
فاست : اذًا، أنت مجنون. اذا كنت لا تملك حسا سليما أكثر مما يملك المجنون.

ملفوليو : لقد ألقى القبض عليّ وحُجزت في هذه الظلمات، وأرسل اليّ برسل، بل بحمير، وهم يفعلون كل ما يوسعهم لكي أفقد عقلي.  
فاست : انتبه الي ما تقول، لأن الرسول ما زال هنا. ( يبدّل صوته ) يا ملفوليو، يا ملفوليو، أتمنى لك أن تؤوب الي رشدك. حاول أن تنام، ودع هذه اللغة الغامضة.

ملفوليو : يا سير توبا.  
فاست ( يغيّر نبرة صوته ) : لا تكلمه، أيها الصديق. من أنا يا سيدي ؟ أنا لا أكلمه. ليكن الله في عونك، يا سير توبا. أنا موافق يا سيدي، أنا موافق.  
ملفوليو ( ينادي ) : أيها المجنون، أيها المجنون، أيها المجنون. هل تسمع ؟  
فاست : أرجوك، يا سيدي، أن تتمسك بالصبر. ماذا تريد مني ؟ أنا أعرض نفسي للملامة عندما أكلمك.

ملفوليو : أيها المجنون، أحضر لي ورقة وشمعة. أوكد لك اني أتمتع بعقلي كأني رجل في مقاطعة إليري.

فاست : يا للأسف ! ليتك تتمتع بعقلك !  
ملفوليو : اقم لك بأني أتمتع به، أيها المجنون. أعطني حبرا وورقة شمعة. ثم انتقل الي السيدة ما سأكتبه وستكون مكافأتك على عملك هذا عظيمة.  
فاست : سأفعل ما تريد. لكن قل لي بصراحة : هل أنت حقا غير مجنون، أم انك تكذب عليّ ؟

ملفوليو : صدّقتي، لست مجنوننا. أنا أقول لك الحقيقة.  
فاست : لن أصدّق رجلا مجنوننا قبل أن أعين دماغه. سأحضر لك شمعة وورقة وحبرا.

ملفوليو : سأجزل مكافأتك، أيها المجنون. أرجوك أن تذهب.

فاست ( يغني ) :

أنا ذاهب، يا سيدي  
وسأعود اليك حالاً  
لأقضي لك حاجاتك،  
بطرفه عين  
مثل المهرج القديم  
الذي سيفه الخشبي  
وفي ثورة غضبه  
مثل ولد مجنون.  
صرخ قائلاً : آه ! ثم آه !  
قلّم أظافرك يا والدي.  
وداعاً أيها السقيم.

( يخرج )

### المشهد الثالث

في حديقة اوليفيا

( يدخل سيستان )

سيستان : ما أبهج الهواء الطلق، والشمس الساطعة ! ان هذه الجوهرة التي اعطيتني إياها أتحمسها وأأملها. ومهما كانت النشوة التي تسكرني، فانها ليست بالجنون. أين انطونيو ؟ لم أجده في ضاحية الفيل، ومع ذلك كان هناك. وقد علمت بأنه غادر الى المدينة ليبحث عني. نصائحه مفيدة في هذه اللحظة ولا تقدر بضمن، لأن ذكائي ومعه حواسي، على يقين تام بأن هنا خطأ

ما، وان الأمر ليس مجرد جنون. مع ذلك، أرى هذه الحادثة، هذا الطوفان من النعم لا يصدق، ولا يمكن تفسيره، حتى اني لا بسعني أن أصدق عيني، بل أنا أخاصم عقلي وأنهم بالجنون، أو أنهم هذه السيدة بالجنون. لكنها لو كانت مجنونة، لما استطاعت أن تدير بيتها وتأمّر خدمها وتتولى أمورها بنفسها، وترسلهم في مهمات حسب الأصول، بكل هدوء وحزم، كما يتجلى ذلك في تصرفها. ان في الأمر لغزا. ها هي السيدة.

( تدخل اوليفيا والكاهن )

اوليفيا : لا تلمني على تهوّري. اذا كانت نوابك حسنة، تعال الآن معي برفقة هذا الرجل الصالح الى المعبد المجاور. وطمّني تحت هذا السقف المبارك كي تستطيع روحي القلقة ان تحيا بسلام. سيحافظ على سر زواجنا الى اليوم الذي تقرر فيه أن يصبح علنيا. عندئذ ستقيم احتفالا يليق بأصلي ومكانتي. فما رأيك في ذلك ؟

سيستيان : سأتابع هذا الرجل الطيب، ثم أذهب معك. ومتى اقسمت بأن تكوني وفية لي، سأكون وفيا لك الى الأبد.

اوليفيا : دلنا على الطريق أيها الكاهن الطيب، ولتطبخ السماء البهية بروتقها الزاهي ما سأقوم به من عمل خير. ( يخرج الجميع ).

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

في ساحة أمام منزل اوليفيا

( يدخل فاست وفيات )

فيات : والآن، اذا كنت تحبني، دعني أطلع على هذه الرسالة.

فاست : ماذا تعطيني بالمقابل ؟

فيات : كل شيء.

فاست : لا تطلب مني رؤية هذه الرسالة.

فيات : أنت تتصرف ازائني كما لو كنت اهديتك كلي، ثم طلبت منك مجددا مكافأة لي.

( يدخل الدوق ونيولا وكوريو وأفراد الحاشية )

الدوق : هل أنتم، أيها الأصدقاء، من أتباع السيدة اوليفيا ؟

فاست : أجل، يا سيدي، نحن نخصمها كأننا من أسيائها الكمالية.

الدوق : أنا أعرفك جيدا. كيف حالك أيها الفتى ؟

فاست : حالي مع أعدائي أفضل مما هو مع أصدقائي.

الدوق : العكس هو الصحيح. تريد أن تقول ان حالك أفضل مع أصدقائك.

فاست : لا، يا سيدي.

الدوق : وهل هذا معقول ؟

فاست : أصدقائي يمتدحونني ويشبهونني بالحمار، بينما أعدائي يقولون لي صراحة اني حمار. حتى اني بتّ أعرف نفسي بواسطة أعدائي، وبتّ مخدوعا على يد أصدقائي. فاذا كانت أربع سليات تعادل ايجائيتين فيما يتعلق بالتفكير، وكذلك فيما يتعلق بالقبيلات، فاني على حق عندما أصرح بأن حالي مع أعدائي أفضل مما هو مع أصدقائي.

الدوق : يا له من استنتاج رائع !

فاست : لا، يا سيدي. هذا خطأ جسيم رغم انك تريد أن تكون من أصدقائي.

الدوق : هذا الأمر لن يزيد حالتك سوءاً. خذ هذه الكمية من الذهب.

فاست : أنا أقبل منك هذا، اذا شئت أن تكون مرثياً.

الدوق : انت بذلك تقدم لي نصيحة مضلّة.

فاست : دع اللحم والدم، يا سيدي، يطبعان هذه المرة فقط.

الدوق : فليكن ما تريد. أنا موافق على اللجوء الى الرياء. خذ هذه الكمية من الذهب.

فاست : واحد، اثنان، ثلاثة. هذه لعبة رائعة. هناك مثل قديم يقول : الضربة الثالثة تعوّض عن كل خسارة. واحد، اثنان، ثلاثة.

الدوق : وعلى هذا الأساس، لن تحسم لي شيئا من المال الذي أعطيتك اياه.

اذا علمت سيدتك بأنني أنتظر هنا للتحدث اليها، واذا عدت بصحبتها، قد تستفيق أريحيتي أيضا.

فاست : حسنا، يا سيدي. بانتظار عودتي، هدهد أريحيتك. أنا ذاهب. لكني

لا أريد أن تعتقد بأن رغبتني في التملك هي خطيئة ناجمة عن شهوتي. ومع

ذلك، كما تقول، لنم اريحيتك قليلا، وسأوقفها حالا عند الحاجة ( يخرج ).

( يدخل انطونيو وبعض ضباط العلية )

فيولا : هذا، يا سيدي، هو الرجل الذي بادر الى نجدتي.

الدوق : اذكر جيدا وجهه، ومع ذلك، عندما رأيته مؤخرا كان وجهه يملوه

السواد من جراء دخان المعركة. لقد كان ربّان سفينة ضعيفة البنية تثير الشفقة

فصدم أفضل قطعة في اسطولنا. ورغم الهزيمة صرخنا قائلين : المجد والعزة للبطل. ما الأمر ؟

الضابط الأول : يا اورسينو، هذا هو انطونيو الذي استولى على حمولة السفينة وصدم بسفينته أفضل قطع أسطولنا حيث فقد ابن أخيك تيطوس ساقه. وقد عثرنا عليه هنا، وهو يتسكع في الشوارع أثناء مشاحنة خاصة، فألقينا القبض عليه.

فيولا : لقد أدى لي خدمة، يا سيدي، إمتشق حسامه للدفاع عني، لكنه وجّه اليّ كلمات غريبة لم أفهمها.

الدوق : أيها القرصان الشهير، يا قرصان المياه المالحة، أية جسارة مجنونة اسلمتك الي من جعلت منهم أعداءك في ظروف دموية رهيبة ؟

انطونيو : أيها السيد النبيل اورسينو، اسمح لي بأن أرفض الأسماء التي أطلقتها عليّ. لم يسبق لي أنا انطونيو ان كنت قرصانا، رغم اني، لأسباب كافية، عدو اورسينو. لأن حيلة سحرية جذبتني الي هنا. وهذا الفتى الناكر الجميل، الواقف الي جانبك، سبق لي أن أنقذته من أمواج البحر الهائج المتلاطم، كان مجرد حطام بشري يائس من حياته، فأعطيته الحياة، ومع الحياة الحب والاخلاص بلا تحفظ وبلا قيد ولا شرط. من أجله، وبدافع من صداقتي الخالصة له، عرضت نفسي للمخاطر في هذه المدينة المعادية وامتشقت حسامي للدفاع عنه، عندما هوجم. واذ ألقي القبض عليّ تنكّر لي بوحي جيباته ورفض أن يشاطرنني محتتي، بل أصبح غريبا عني بلمحة بصر. ورفض أن يعيد اليّ محافظة نقودي التي وضعتها في تصرفه منذ نصف ساعة تقريبا.

فيولا : متى تم ذلك ؟

الدوق : عندما وصل الي هذه المدينة ؟

انطونيو : اليوم، يا سيدي، ومنذ ثلاثة أشهر، نحن نحيا معا بدون انقطاع ليلا نهارا.

( ندخل اوليغا رحاشيتها )

الدوق : ها قد أتت الكونتيس، وهي ملاك سماوي يمضي الآن على الأرض. أما بالنسبة اليك أيها الصديق، فان كلامك جنون محض، اذ لم يمض على هذا

الفتى في خدمتي سوى ثلاثة أشهر. ستكلم في الموضوع بعد قليل. فاحفظوا به على انفراد.

اوليفيا : ماذا تريد، يا سيدي ؟ وأية خدمة يمكنني أن أسديها اليك ؟  
( تخاطب سيزاريو ) لم تف بوعدك، يا سيزاريو.  
فيولا : سيدتي.

الدوق : يا اوليفيا الجميلة !

اوليفيا : ماذا تقول يا سيزاريو ؟

فيولا : سيدي يريد أن يتكلم، وواجبي نحوه يفرض عليّ السكوت.  
اوليفيا : لن أردّد نفس الأغنية، يا سيدي، لأنها باتت مملة ومزعجة على سمعي تماما كسماع الصراخ بعد الموسيقى الهادئة.  
الدوق : أنت دائما قاسية.

اوليفيا : أنا دائما ثابتة، يا سيدي.

الدوق : في أي شيء ؟ في فساد الذوق طبعاً. أيتها المرأة المتصلبة، ألم أقدم على مذهبك المشؤوم الناكر الجميل، أعز القرايين التي يمكن أن يتصورها الرجل المخلص ؟ ماذا عساي أن أفعل ؟

اوليفيا : إفعل ما تشاء، يا سيدي، شرط أن يكون لانفا بك.

الدوق : لماذا ؟ اذا كنت شجاعاً، لن أفعل مثلما فعل اللص المصري عندما أشرف على الموت، فأقتل من أحب ؟ أيتها المغرورة المتوحشة التي لا تخلو أحياناً من النبل ! اسمعي هذا : بما انك ترفضين حبي، وبما اني أعرف الاداة التي تسلب مني حيك لي، فلا بد من أن أجهز على هذا الفتى الذي تحبينه، يا صاحبة القلب المتحجر، رغم اني أحبه. سأنتزعه أمام نظراتك القاسية حيث يتربع لإذلال سيده. تعال معي، أيها الخادم، لأضحى بالحمل الذي أحبه بهذه الحماسة التي تخفي في صدرها قلب غراب ( يهيم بالانصراف ).

فيولا ( تتبعه ) : وأنا كلي سرور وفرح، تراني مستعداً لأن أموت ألف مرة كي أصون لك سلامك.

اوليفيا : الى أين أنت ذاهب، يا سيزاريو ؟

فيولا : أنا ذاهب مع من أحب أكثر من نفسي ومن حياتي ومن أية امرأة. اذا

كنت أكذب فليعاقبني رب السماء على هذه الاهانة الموجهة الى حبي.  
اوليفيا : لتنزل عليّ العنة، لأنني مغرورة ا  
فيولا : من خدعك ؟ من أساء اليك ؟  
اوليفيا : هل نسيت نفسك ؟ هل مضى على ذلك وقت طويل ؟ احضروا  
الكاهن. ( يخرج أحد الخدم ).  
الدوق ( يخاطب فيولا ) : تعال.  
اوليفيا : الى أين يا سيدي ؟ سيزاريو هو زوجي، أرجوك أن تتوقف.  
الدوق : زوجك ؟

اوليفيا : أجل زوجي. هل يسمعه انكار ذلك ؟  
الدوق ( يخاطب فيولا ) : أنت زوجها، أيها المحتال ؟  
فيولا : كلا، يا سيدي. كلا أنا لست زوجها.  
اوليفيا : يا للأسف، حقارة خوفك قضت على كرامتك. لا تخش شيئا، يا  
سيزاريو. ابق كما يجب أن تكون، فصبح عظيما مثل الشخص الذي تخشاه.

( يدخل الكاهن ومعه الخادم )

أهلا بك أيها الكاهن. أستحلفك بربك أن تعلن هنا ما تعرفه. كان في نيتنا  
أن نحفظ بهذا السر. لكن مجرى الأحداث كشفه قبل الأوان. أرجوك أن  
تروي اذا ما حصل بيني وبين هذا الرجل منذ قليل.  
الكاهن : بينكما عقد لا يمكن انتهاكه، هو عقد الحب المثبت بتماسك  
أيديكما، والمتبادل بملامسة شفاهكما المقدسة وتبادل خاتميكما. وقد مهرت  
كل هذا بشهادتي، بحكم ممارستي مهنتي الدينية. ان ساعتني تقول لي بأني  
لم أتقدم نحو قبوري منذ ذلك الحين سوى مسافة ساعتين فقط.  
الدوق ( يخاطب فيولا ) : أيها المرآئي الصغير، كيف تصبح عندما سيخط  
الشيب شعرك ؟ انتبه لأمورك. فخيانة مبكرة مثل هذه ستوقعك في نفس  
الشرك الذي تكون قد نصبت له لسواك. وداعا. اتخذها زوجة لك. لكن سدّد  
خطاك نحو مكان لا سبيل لي ولك ان نلتقي فيه معا.  
فيولا : أنا أحتج، يا سيدي.

اوليفيا : لا تقسم، حافظ على أذني حد من كرامتك، مهما كان خوفك عظيما.

( يدخل سير اندريه وقد حلق رأسه )

سير اندريه : أستحلفكم بالله أن تحضروا لي طبيبا، وأن ترسلوا حالا طبيبا آخر الى سير طوبي.

اوليفيا : ماذا جرى ؟

سير اندريه : لقد شج لي رأسي، ولطخ بالدم شعر سير طوبي. أستحلفكم بالله أن تجدوني. أريد الوصول الى منزلي.

اوليفيا : من فعل بك هذا، يا سير اندريه ؟

سير اندريه : أحد نبلاء الدوق، ويدعى سيزاريو. ظنناه جبانا، فاذا به شيطان لعين.

الدوق : النبيل سيزاريو ؟

سير اندريه : والله هو، هو بالذات. ( يشير الى فيولا ) لقد كسرت رأسي من أجل لا شيء. اذ دفعني سير طوبي الى القيام بما أقدمت عليه.

فيولا : لماذا تكلمني هكذا ؟ أنا لم أسبب لك أي أذى. فامشقت حسامك في وجهي، دون أي سبب. وكلمتك بلطف ولم ألحق بك أي ضرر.

سير اندريه : أرى ان الشعر المخضب بالدم لا يعني لك شيئا.

( يدخل طوبي سكران، بقوده فاست )

ها قد وصل سير طوبي، يجز قدميه جراً، وسيخبرك بأمر أخرى.

الدوق (يخاطب سير طوبي ) : ما وراءك من أخبار، أيها النبيل ؟

سير طوبي : لا شيء. لقد جرحني. هذا كل ما في الأمر. ( يخاطب فاست )

أيها الأحق، هل رأيت الطبيب الجراح ؟

فاست : هو سكران منذ حوالي ساعة. وكانت حدقاته تقدحان شررا منذ الثامنة صباحا.

سير طوبي : ان ما أكرهه بعد كرهه للرقصة الثلاثية والرقصة البطيئة، هو هذا الوغد السكران.

اوليفيا : خذوه. من أوصلهما الى هذه الحالة المؤسفة ؟

سير اندريه : سأساعدك، يا سير طويي، وستُضمَد جراحنا معا.  
سير طويي : أتساعدني، أيها الحمار، أيها المجنون ؟  
اوليفيا : مدّوه على السرير، واعتنوا بجرحه. ( يخرج فاست وسير طويي  
وسير اندريه ).

سيستيان ( يخاطب اوليفيا ) : أنا مغتم، يا سيدتي، لأنني جرحت قريبك.  
لكني لم أكن أستطيع أن أفعل غير ما فعلت للحفاظ على سلامتي. أنت تنظر  
اليّ بطريقة غريبة، وأرى من خلال ذلك اني أهنتك. سامحيني أيتها الحسنة  
بحق الأمانى التي تجمعنا.

الدوق ( ينظر الى سيستيان وفيولا ) : نفس الوجه، ونفس الصوت ونفس  
اللباس، انما شخصان مختلفان.

سيستيان : انطونيو، أيها الحبيب انطونيو، كم تعذبت منذ أن أضعتك !  
انطونيو : هل أنت سيستيان ؟

سيستيان : هل تشك بذلك، يا انطونيو ؟

انطونيو : كيف افترقتما هكذا ؟ انتما أشبه بتوأمن، أيكما سيستيان ؟  
سيستيان ( ينظر الى فيولا ) : هل أنا أشبه الشخص الواقف هناك ؟ لم يسبق  
أن كان لي أخ. ولست ممن يتمتعون بموهبة الحضور في كل مكان. كانت  
لي أخت ابتلعتها الأمواج الغادرة ( يخاطب فيولا ) ما هي صلة القربى التي  
تشدني اليك ؟ هل أنت من مواطني ؟ ما اسمك، وما اسم عائلتك ؟

فيولا : أنا من ميسالين، وسيستيان كان والدي. وسيستيان آخر كان أخي  
الذي ابتلعه البحر الهائج، وهو يرتدي زياً مثل زِيّك. فاذا كان باستطاعة  
الأرواح ان تتخذ شكلا وترتدي لباسا فهذا يعني انك ظهرت لثربنا.

سيستيان : أنا روح. لكني أتخذ من الأحشاء أحجاما سميكة أتجسد فيها. اذا  
كنت امرأة، سأدع دعوي يتهم على وجنتيك وأصرخ : أهلا بك مشى وثلاثا،  
أيها الفرقة فيولا.

فيولا : كان لوالدي علامة فوق جبينه.

سيستيان : وأنا أيضا.

فيولا : لقد مات يوم أصبح عمر فيولا ثلاث عشرة سنة.

سيستيان : هذه الذكرى لا تزال حية في نفسي. اذ مات يوم بلغت أختي الثالثة عشرة من عمرها.

فيولا : اذا كان العائق الوحيد في طريق سعادتنا المشتركة هو هذا الحقير الذي انتحلت أنا شخصيته، فلا تعانقني قبل أن تساهم ظروف الزمان والمكان والحظ في اثبات كونني فيولا. ولكي أثبت ذلك، سأصحبك الى ربان موجود في هذه المدينة، سبق لي واثمته على ملاسبي، وأنا مدينة له بالنجاة، وبتمسير انخراطي في خدمة هذا الدوق النبيل. منذ ذلك الحين أنا أمضي وقتي متنقلة بين هذه السيدة والدوق.

سيستيان ( يخاطب اوليفيا ) : يستتج من ذلك انك كنت مخدوعة، أيتها السيدة. كنت تريدين الزواج من عذراء. وأقسم لك بحياتي بأن ظنك لم يخب من هذه الناحية، لأنك اقترنت برجل بتول.

الدوق : لا تبقي مرتبكة. هذا الشاب ينحدر من أصل نبيل. فاذا كان كل هذا صحيحا، تسعدني حادثة غرقك. ( يخاطب فيولا ) أيها الخادم، قلت لي ألف مرة انك لن تحب امرأة مثلما تحبني.

فيولا : وكل ما قلته لك، أريد أن أؤكد به باستمرار، ولن أتراجع عن تأكيداتني هذه ما دام الفضاء الفسيح يحتفظ بالشعلة التي تفرق بين الليل والنهار.

الدوق : أعطيني يدك، ودعيني أبصرك في زبي امرأة.

فيولا : الربان الذي قادني الى هذا الشاطئ يحتفظ بثيابي، وهو الآن في السجن بناء على طلب ملفوليو، أحد أتباع السيدة.

اوليفيا : سيطلق ملفوليو سراحه. أحضروا ملفوليو. لكنني تذكرت الآن انه في حالة سيئة. يا له من رجل مسكين !

( يدخل فاست حاملا بيده رسالة، يصحبه نيبان )

لقد أنساني جنونه جنوني ( يخاطب فاست ) كيف حاله، أيها الحقير ؟ فاست : بعث اليك برسالة، وكان ينبغي عليّ أن أوصلها اليك هذا الصباح. لكن بما ان رسائل المجنون ليس لها من اعتبار، فلا يهم أمر وصولها الي أصحابها.

اوليفيا : فضّها وقرأها.

فاست : ستزيد ثقتك عمقا، ما دام المهرج يترجم لك أفكار المجنون ( يقرأ بصوت وبحركات غير مألوفة ). بحق السماء، أيتها السيدة...

اوليفيا : هل أنت مجنون ؟

فاست : كلا، يا سيدتي. لكنني أقرأ حماقات. اذا كنت تريدان أن أقرأ كما ينبغي، فعليك أن تدعيني أقرأ بصوت ملائم.

اوليفيا : أرجوك أن تقرأ بتعقل.

فاست : هذا ما أفعله، يا سيدتي. واذ أقرأ هكذا، فانما أقرأ بتعقل. وما عليك الا أن تنتهي، أيتها الأميرة.

اوليفيا ( تخاطب فايان ) : اقرأها أنت، أيها الحقير.

فيان : بحق السماء، أيتها السيدة، كفي عن اهانتك إياي على هذه الصورة. فرغم أنك وضعتني في الظلام، وسلطت عمك عليّ، أرى ان عقلي لا يقل راحة عن عقلك. وما زلت أحفظ برسالتك التي حددت لي فيها الهندام الذي ينبغي عليّ أن أرثديه، وبالاستناد الى هذه الرسالة، باستطاعتي أن أبرر نفسي، يسمك أن تفكر فيّ كيفما تشائين. فأنأضع الاحترام جانبا، وأتكلم بوحى الالهانة التي تلقيتها.

( ملفوليو الذي أسيت معاملته )

اوليفيا : هل كتب ملفوليو كل هذا ؟

فاست : أجل، يا سيدتي.

اوليفيا : أطلقوا سراح فيان، واحضروه الى هنا. ( يخرج فيان ) يا سيدتي، اقبلني كأخت لك، كما كنت ستقبلني كزوجتك. ولتكلل في نفس النهار، اذا أردت هذا الاتحاد المزدوج، هنا في بيتي وعلى نفقتي.

الدوق : يا سيدتي، أنا أقبل عرضك هذا بسرور لا يوصف. ( يخاطب فيولا ) سيدك يصفرك من خدمته. لكنني لقاء الخدمات التي أدتها لي، وهي خدمات تناقض مزاي جنسك، كما انها لا تليق بنشأتك، ها أنا أمد اليك يدي لتصبحي من الآن وصاعدا سيدة سيدك.

اوليفيا : مستصحين أيضا شقيقتي.

( يدخل فيان ومعه ملفوليو )

الدوق : هل هذا هو المجنون ؟

اوليفيا : أجل، يا سيدي، هو بعينه. كيف حالك، يا ملفوليو ؟  
ملفوليو : لقد أهنتني، يا سيدي، بشكل لا يمكن تصوره، وإهانتك إياي  
كانت بليغة.

اوليفيا : أنا، يا ملفوليو ؟ لا، لا.

ملفوليو : أجل، أنت يا سيدي. أرجوك أن تقرأي هذه الرسالة. لا تستطيعين  
أن تنكري خطك ولا ختمك ولا أسلوبك. والآن إشرح لي، لماذا أظهرت  
علامات الود هذه في رسالتك ؟ وأمرتني بأن آتي اليك والبسمة تملو شفتي،  
وأنا أرتدي جواربي الصفراء، وأن أحتقر سير طوبوي وخدمي ؟ وعندما أظعتك،  
لماذا أذنت بأن أسجن في غرفة مظلمة، وأن يزورني كاهن، وأن أسي  
أضحوكة لا مثيل لها. فسُرِّي لي لماذا فعلت بي كل هذا ؟

اوليفيا : يا للأسف، يا ملفوليو، هذا الخط ليس خطي، أعترف بأنه يشبهه  
كثيرا هذا بدون شك خط ماريا، وأذكر الآن انها كانت أول من قال لي انك  
مجنون. أرجو أن تهديء روعك. أجل هي أول من قال لي انك مجنون.  
أرجوك ان تهديء. لقد كنت ضحية خدعة قذرة. لكن عندما ستعرف الدوافع  
والأشخاص الذين قاموا بذلك ستكون أنت الخصم والحكم في قضيتك هذه  
الغريبة.

فيان : أرجوك، أيتها السيدة، أن تستمعي اليّ، ولا تسمحني لأية مشاجرة  
لاحقة بأن تفسد عليّ هذه البرهة السعيدة. وعلى هذا الأساس، أعترف لك  
بصراحة بأنني أنا وسير طوبوي دبرنا هذه المؤامرة بحق ملفوليو تكفيرا له عن  
بعض التصرفات غير اللائقة التي وددنا أن نلومه عليها. فكتبت ماريا الرسالة،  
بناء على الحاح سير طوبوي الذي تزوجها مكافأة لها على مساهمتها. ومهما  
كانت خشونة المهزلة التي عقبته ذلك، فهي تحمل على الضحك لا على  
الحقد، اذا قابلنا أخطاء الفريقين بفريقة منصفة.

اوليفا ( تخاطب ملفوليو ) : يا للأسف، أنت مخدوع مسكين، نالك الكثير  
من الهزاء والسخرية.

فاست ( يلتفت الى ملفوليو ) : أيتها السيدة، هناك من يولدون عظماء، وهناك

من يكسبون الأمجاد اكسابا، وهناك من تفرض عليهم الأمجاد فرضا. لقد  
قمت أنا بدور سير توبا، يا سيدي، ولكن هذا عندي سيان. أقسم لك بحق  
السماء، أيها المجنون، بأنني لا أكذب.  
ملفوليو : سأنتقم منك ومن طغمتك. ( يخرج ).  
اوليفيا : كم خدعوه وكم سخروا منه !  
الدوق : إلحقوا به واحملوه على المصالمة. لم يقل لنا بعد شيئا عن الشيطان.  
عندما تجلي هذه المسألة، وتأتي اللحظة السعيدة، سيتم زواجنا. وحتى ذلك  
الحين، أيها الأخت العزيزة، لن نفارق هذا المكان. تعال يا سيزاريو. ستبقين  
في نظري سيزاريو، ما دمت تتزئين بزئي رجل. لكن عندما ستتزعين عنك هذا  
الزئي ستصبحين حبيبة اورسينو ومالكة قلبه. ( يخرج الجميع ).  
فامست ( يغني ) :

عندما كنت فتى  
في الهواء وتحت المطر،  
كان الجنون مجرد عمل صياني  
لأن السماء تمطر كل يوم.  
لكن عندما أصبحت رجلا  
في الهواء وتحت المطر،  
أصبح كل انسان يقفل بابه بوجه السارق  
لأن السماء تمطر كل يوم.  
لكن، يا للأسف، عندما تزوجت  
في الهواء وتحت المطر  
لم أعد أنجح في التهنك  
لأن السماء تمطر كل يوم.  
وعندما كنت آوي الى سريري  
في الهواء وتحت المطر  
كنت أسكر دائما مع السكارى

لأن السماء تمطر كل يوم.  
نشأ العالم منذ زمن طويل  
في الهواء وتحت المطر  
هذا لا يهم فقد انتهت مسرحيتنا  
وسنجاول أن نعدكم كل يوم.

﴿ تَمَّت ﴾



# حكاية الشتاء

تعريب

أ.ر. مشاطي



## أشخاص المسرحية

ليونتي : ملك صقلية.

ماميلوس : ابنه، أمير صقلية.

كميليو  
انتيفون  
كليومان  
ديون

بولكان : ملك بوهيميا.

فلوريزال : ابن بولكان، أمير بوهيميا.

ارشيداموس : نبيل من بوهيميا.

روجر : وجيه من صقلية.

اوتوليكوس : لص.

وكيل بولين

مدير السجن

ضباط عدل

راع عجوز

مهرج : ابن الراعي.

بحار

هرميون : زوجة ليونتي.

بردنيا : ابنة ليونتي وهرميون.

بولين : زوجة اتيفون.

اميليا : مرافقة هرميون.

مرافقتان أخريان.

مُبَسَا  
دركاس } راعيتان.

الزيمان : بهيئة جوقة إنشاد.

سادة وسيدات، وجهاء، حجاب، حرس، خدم، رعاة  
وراعيات، وُصفاء، قرويون متنكرون بزّي اصحاب مجون.

الاحداث تجري تارة في صقلية، وطورا في بوهيميا.

## الفصل الأول

### المشهد الأول

في صقلية — داخل حديقة القصر الملكي

(بدخل كميلو وارشيدهاموس)

أرشيدهاموس : ان كتب لك نصيحتك، يا كميلو، ان تزور بوهميا في سيل  
خدمة كالتى تشدني الى هذه الديار، سترى، كما قلت لك، فرقا شاسعا  
بين بوهميا وبلادك صقلية.

كميلو : أعتقد بأن ملك صقلية ينوي في الصيف القادم ان يرد زيارة اخيه  
في بوهميا، كما تقضى أصول اللياقة.

أرشيدهاموس : اذا كانت ضيافتنا لا تعجبك، فاد مودتنا لك تشفع بنا لديك  
لاننا حتما...

كميلو : أتوسل اليك...

أرشيدهاموس : أعترف لك حقا، بكل صراحة وقناعة، بأننا مقصرون في تقديم  
فروض التكريم والتفخيم لشخصك العالي، لاننا، ولا ادري كيف أعبر لك  
عن شعورنا... سنقدم لك شرابا متومًا كي لا تنتبه حواسك اليقظة الي عجزنا،  
لا طمعا بنائلك علينا بل للالتماس تفاضلك وعذرك عن عدم قيامنا بكل  
ما يليق بك.

كميليو : اراك ترد لي بأبهظ الاثمان ما أسديه اليك بدون كلفة.  
أرشيداموس : صدقتي، انا لا انطق الا بما توجيه اليّ معلوماتي وما يمليه  
عليّ واجبي.

كميليو : لن تفي يوما صقلية ما لبوهميا عليها من ديون المودة والتعاضد.  
لان مليكيها قد ريبا معا في ايام حدائتهما، وبينهما من صلوات المودة والتقدير  
ما لا تقوى تقلبات الزمان على زعزعته نظرا لرسوخه في ذهنيهما كالطود  
الأشّم. فمنذ افتراق جلاتيهما عند نضوجهما، ونزولا عند متطلبات مملكتيهما،  
لم تنفك علاقتهما، وإن على صعيد غير شخصي، عن ان تتواصل بواسطة  
الموفدين وتبادل الهدايا والرسائل عن طريق السفراء الى حد جعلهما، رغم  
غياب احدهما عن الآخر، يظلان كأنهما لا يزالان مجتمعين، لم تباعد بينهما  
المسافات الطويلة. فكانا يتصافحان بواسطة المندوبين رغم بعد المدى  
ويتمانقان، ان جاز التعبير، من وراء الآفاق السحيقة، بكل محبة واخلاص.  
وقى الله صداقتهما من كل شائبة.

أرشيداموس : أعتقد بأن لا مجال مطلقا لأي خبث او رزء في الدنيا ان  
يحول دون استباب هذه الأواصر الطيبة من التفاهم والتعاون بينهما. وهذا  
من دواعي السرور لك ولنجلك الامير ماميلوس الذي لا يفوقه وجيه في  
بلاطك حكمة وحكمة.

كميليو : انا أشاطرك آمالك فيما يتعلق به. فهو ولد لائق وأمير شهيم يملأ  
قلوب رعاياه عطفًا وارتياحًا، حتى ان من كان يستعين منهم بمكاز، عند  
مولده، يتمنى اليوم ان يحيا الي ان يراه فتى يافعا مكمل الرجولة.

أرشيداموس : بتعبير آخر، يموت وهو قرير العين.

كميليو : الا اذا كان له غير هدف ليعيش مدة أطول.

أرشيداموس : لو لم يكن للملك ابن، لتمنى الجميع ان تطول ايامهم ويمشون  
على العكاكيز حتى يرزق ولي عهد.

(بمخرجان)

## المشهد الثاني في صقلية - داخل القصر الملكي

(بدخل ليونتي وبولكسان وهرميون وماميلوس وكميليو وبعض رجال الحاشية)

بولكسان : تسعة تغييرات في الكوكب النير قد عدّها الراعي منذ ان غادرت  
عرشي. وستستغرق تشكراتي وقتاً أطول، يا اخي، دون ان يتسنى لي عند  
مفادرتي بلاطك، ان أفي بجزء مما انا مدين به لك الى الابد، من جميل  
الترحاب وحسن الضيافة. لذا يجدر بي ان اضيف صفرا الى يمين تشكراتي  
التي لا تحصى، لقاء ما اغدقته عليّ من جود وإكرام. ورغم مضاعفته هكذا  
عشرات المرات، اراني مقصّراً حيال جزيل لطفك وسخائك.

ليونتي : أجّل شكرك قليلا الى حين رحيلك.

بولكسان : انا مسافر غدا يا مولاي. لاني قلق على ما قد يجدرّ اثناء غيابي.  
أتمنى ان لا تهبّ على بلادتي رياح تضطرنني الى القول: ان افتراضاتي كانت  
في محلها. ثم ان مكوثي عندك طال الى حد سبّب العناء لجلالتك.

ليونتي : ان همتي لا تزال قعساء، يا اخي، فلا تحسبني ممن ينال منهم التعب.  
بولكسان : حقا، لا يسعني ان ابقى يوما واحدا آخر.

ليونتي : ارجوك ان تمكث اسبوعا ايضا.

بولكسان : لا، لا. لا بد لي من الرحيل غدا.

ليونتي : اذا لنقسم الفرق مناصفة، ولا أقبل لغير ذلك عذرا.

بولكسان : أرجوك ان لا تحرجني هكذا. فليس في الدنيا من كلام مؤثر  
يستطيع ان يستمليني اكثر من ألفاظك الرقيقة. ان كنت فعلا مصرا على  
استبقائي عندك، فلن يسعني ان ارفض طلبك. لكن اعمالي تستدعي رجوعي  
سريعا الى مقرّي. ان تشبك باستبقائي في ضيافتك يجعل من مودتك كارثة  
عليّ ويصبح مكوثي هنا مضرّة لي وإزعاجا لك. فلنكون نكونا كلالنا راضيين  
ومرتاحين، عليّ ان استودعك الله، يا اخي.

ليونتي (لهرميون) : ما لك ساكنة، اينها الملكة؟ تكلمي.  
هرميون : قصدت، يا مولاي، ملازمة الصمت حتى تتمكن من الحصول  
على وعد منه بالبقاء. فأنت، يا مولاي، تلح عليه ببرود. قل له انك واثق  
بأن الامور في بوهيميا تسير على احسن ما يرام. وهذا التأكيد يدعّمه آخر  
رسول قادم من هناك. قل له ذلك فيقع ويمدّد اقامته مطمئن البال.  
ليونتي : جميل قولك، يا هرميون.

هرميون : وان تحجّج بأنه مشتاق الى مشاهدة ولده، فهذا امر لا يحتاج  
الى نقاش، واصراره عنذر كافٍ ليذهب ان شاء. وان أقسم بذلك، فأنا لن  
أبقيه فيما بيننا، بل أرى لزاماً علينا حينذاك أن نشجّعه على الرحيل ونضطرّه  
اليه، ولو اقتضى لدفعه استعمال المغزل. (لبولكسان) هيا أود ان نتخفنا بيقائك  
عندنا اسبوعا آخر على الأقل. وحين تستقبل جلالته في بوهيميا سأسمح  
له بأن يمكث عندك شهرا زيادة عن الوقت المحدد لعودته. على كل حال،  
كن واثقا، يا ليونتي، بأنني لن احبك ذرّة واحدة أكثر مما يجب على المرأة  
ان تهوى زوجها. (لبولكسان) فهل نويت ان تبقى؟

بولكسان : كلا، يا سيدتي.

هرميون : لا، بل سبتقي.

بولكسان : حقا، لا استطيع.

هرميون : أحقا؟ انت تمنع في البقاء بحجج مائعة. لكنك مهما حاولت  
ان تضنّ حلفانك من دعم، اقول لك ان كلمة « حقا » التي تلفظها سيدة  
تعادل في قوتها ومفعولها نظيرتها يتلفظ بها مولى خطير مثلك. فهل انت  
لا تزال مصمما على الرحيل؟ تصرّف كما نشاء. انما ستضطرني هكذا الى  
حجز حريتك إما كضيف، واما كأسير. وعلى هذا الاساس يترتب عليك  
ان تدفع فدية قبل ان تنطلق وتوفر على نفسك سبلا من الشكر. فماذا تختار؟  
أن تكون ضيفي أم أسيري؟ فيموجب قولك « حقا » عليك أن تكون هذا أو ذلك.  
بولكسان : أفضل طبعاً ان اكون ضيفك، يا سيدتي. اذ اني عندما اصبح  
اسيرك اكون عرضة لاهانة يصعب عليّ ارتكابها كما يصعب عليك انت  
ان تلوّميني عليها.

هرميون : اذًا لن أكون سجانك بل مضيفتك السخية. دعني أستفسر عن  
الاكواخ التي كنت انت وزوجي تبنيانها ايام طفولتكما، وتبدوان فيها كسجينين  
وسيمين.

بولكسان : ايتها الملكة الرائعة، كنا صبيين لا يريان في المستقبل إلا غداً  
ماتلا للأمس، ويظنان ان الحداثة تدوم الى الابد.

هرميون : أولم تكن انت، يا مولاي، المشاغب الاكبر بين كليكما؟  
بولكسان : لا بل كنا كحملين توأمين نجري ونقفز في الشمس، ويفني  
احدنا للآخر ببساطة وبراعة جاهلين كل ما يمت الى الشر بصلة لا نتصور  
ان في الدنيا من يعرف بوجوده. ولو كنا اصلنا حياتنا على هذا المنوال،  
ولو لم يحمس ذهننا الساذجين دم أحمر من دمنا، لكننا اجبنا بشجاعة  
على هذا الاتهام بأننا غير مذنبين الا في ما يتعلق بالجرم المشهود.

هرميون : أستنتج من هذا الكلام انكما تعثرتما بعد تلك المرحلة.  
بولكسان : في الحقيقة، يا سيدتي الكريمة، منذ تلك الفترة تولدت الاغراءات  
في صدورنا. اذ يوم كنت صغيرا، كانت زوجتي لا تزال طفلة وكان شخصك  
العزير لم يسترع بعد أنظار زميلي الصغير السن.

هرميون : رحماك ألهما ارجوك يا مولاي ان لا تستنج اية فكرة خفية.  
وإلا اذعيت اني انا وزوجتك كنا من العفاريت. مع ذلك، نحن على أتم  
الاستعداد لان نكون مسؤولتين عن الاخطاء التي زينتما لنا ارتكابها، بشرط  
ان تكون ذنوبكما ابتدأت بصحبتنا واكتملت معنا فقط، بدون ان تشركا  
في ارتكابها معكما بنات حواء سوانا.

ليونتي (لهرميون) : هل اتخذ قراره اخيرا؟

هرميون : أجل، سيقتي، يا مولاي.

ليونتي : عندما طلبت انا منه ذلك، لم يقبل. حقا، يا عزيزتي هرميون، لم  
يكن وقع حديثك ابدا اكثر ملاءمة منه في هذه الساعة.  
هرميون : ابدا؟

ليونتي : نعم ابدا. ما عدا هذه المرة ومرة اخرى.

هرميون : ماذا تقول؟ هل تكلمت جيدا مرتين فقط في حياتي؟ ومنى كانت

المرّة الأولى؟ ارجوك ان تعلمني، ولا تبخل عليّ بالثناء، بل دعني أنتفخ زهواً كالديك. ان عملا صالحا مهما يجر وراءه ألوفا من أمثاله الى عالم النسيان. فالاطراء للمرأة هو في نظرها أئمن مكافأة. وهكذا ترانا نندفع الى الجري الف فرسخ لقاء قبلة عذبة، ولا مجال لجعلنا نمشي ميلاً واحداً بوخر المهماز. لعد الى حيث كنا. ان آخر عمل صالح قممت به هو التماسي منه ان يبقى. فما هو عملي الصالح الاول؟ هكذا خيل اليّ اني فهمت منك، فهل هناك من التباس؟ ام اني اسأت الفهم؟ تقول اني أجدت النطق في مرة سابقة؛ أليس كذلك؟ فمتى كان هذا؟ وفي اية مناسبة؟ ارجوك ان توضح لي تلميحك لاني اتوق الى معرفة ما ترمي اليه.

ليونتي : حسنا. كان ذلك بعد ثلاثة اشهر من انتظاري المرير، الى ان مددت اخيرا يدك اللطيفة الناعمة الناصعة البياض الى يدي، حين بحث لي قائلة في آخر المطاف: « انا لك الى الابد ».

هرميون : هذا التصريح، كان حقا اجمل ما فهمتُ به في حياتي، وكما تلاحظ، أجدت النطق مرتين: في الاولى، ربحت ملكا كزوج طوال العمر، وفي الثانية: صديقا لا أشك في وفائه.

(تدبدها الى بولكسان).

ليونتي (على حدة) : جميل جدا. فالخلط بين الاستلطافات الحميمة هو تمازج بين الاشخاص ايضا. وهذا يرعد فرائصي ويرقص قلبي لا من الفرح بل من الفزع والرية. اذ يتسنى للباقة ان تسير سافرة الوجه، ويمكن التسامح فيها الى بعض حدود حسن النية والكرم وطيبة القلب بدون اية اساءة، كما أفترضه وأتقبّله. انما بلوغ حد مصافحة اليدين والشدّ على الانامل، كما هو الحال الآن، وتبادل البسمات والنظرات المبطنة، واثارة التهذات كأنها صيحات في مطاردة غزال اثناء الصيد، ففي الحقيقة، هذه المجاملات لا يرتاح اليها فؤادي ولا تعلّي جيني. هل انت فعلا ولدي من صليبي، يا ماميلوس؟

ماميلوس : أجل، يا مولاي الكريم.

ليونتي : أحقا هذا هو وريثي وولي عهدي؟ كيف وسّخت انفك، يا عزيزي؟

يقال انه نسخة طبق الاصل عني. ارجوك، ايها الغلام، ان تحافظ على ستر عورتك، اقصد القول ان تظل مشكور السيرة ايها الامير الصغير. لأن الثور والبقرة والعجل كلها بطبيعة الحال من ذوات القرون. (ينظر الي بولسكان وهرميون) هو لا يزال يربت على يدها. (لماميلوس) ايها الوعل الوقح، هل حقا انت وعلي؟

ماميلوس : اجل، يا مولاي، ان شئت ان اكون انا هو. ليونتي : ينقصك رأس غير منسق وأطراف كأطرافي لتشبهني تماما. مع ذلك، يُقال اننا كلانا تشابه نظير بيضتين. هكذا تقول النساء عندما يصفنا. لكنهن مهما كنّ غشاشات نظير أسود الصبّاغ والهواء والماء، خداعات نظير زهر اللبب الذي يتناه الماكر عندما يريد وضع حد بين ما يخصه وما يخص سواه، فلن يكون الحق ابدا بجانبهن في تأكيدهن ان هذا الابن يشبهني. هيا، ايها الغلام، انظر الي بعينك السماوية، يا عزيزي الرذيل الحلو، يا فلذة كبدي، هل يتسنى لوالدتك ان... هل هذا ممكن؟ ايها التخيّلات، ان خنجرك يطعن رجولتي في الصميم. هل يصبح المستحيل ممكنا؟ انت تخلط بين الحلم واليقظة. فكيف يجوز ذلك؟ انت تمزج بين الوهم والحقيقة وتزج افتراضاتك في وهدة العدم. أفلا يمكن ان تكون افكارك مطابقة للواقع؟ ها هي الان امام ناظري، اشعر بها كحقيقة ملموسة لا تقبل الشك. وهذا ما يشئت افكاري ويضعع عواطفني ويندى له جيني عارا.

بولسكان : ما بال ملك صقلية شارد الذهن؟

هرميون : يبدو عليه انه متعب قليلا.

بولسكان : بماذا تشعر يا مولاي؟ وكيف حالك يا أعز أخ لي في الدنيا؟ هرميون : يظهر عليك بعض القلق. فهل هناك ما يكدر صفو خاطرك، يا مولاي؟

ليونتي : كلا. لا شيء. ان الطبيعة تهزأ احيانا بمشاعرنا واحساساتنا حتى لتكاد تسخر بنا وتجعلنا أضحوكة لقساء القلوب. عندما أتفحص ملامح وجه ولدي، يخيل اليّ اني ارى ذاتي كما كنت قبل ثلاثة وعشرين عاما، وأراني بدون سروال رسمي لابسا سترتي المخملية الخضراء، وعلى جنبي خنجري

المغلف بقرابه خوفا من ان يجرحني ويؤذي، كما هو حال كثير من الزخارف،  
وأتساءل كم انا اشبه هذا الصبي، هذا الغرّ، بل هذا الأمير الصغير الرفيع  
الشأن. (لماميلوس) يا صديقي النبيل، أيمكنك ان تخطيء بغباوة وتستبدل  
المصباح المنير بقرعة جافة؟

ماميلوس : انا أفضل القتال، يا مولاي.

ليونتي : أنت تقائل؟ وهل لك هذا الحظ السعيد؟ (لبولكسان) يا اخي،  
هل انت هائم حتى الجنون بحب ابنك الامير، كما هو حالي حيال ولدي؟  
بولكسان : في نظري، يا مولاي، هو كل كياني، وكل فرحي وكل همي.  
هو تارة صديقي الحميم وطوراً عدوي اللدود، هو مزاحمي كما هو حارسي  
ورجل دولتي. هو كل ما في الدنيا، ولا يستبعد ان يجعل أطول أيام الصيف  
كأقصر ايام الشتاء، وبأهوائه الصيبانية يبدد احزاني المضنية التي تكثف دمي.  
ليونتي (يشير الى ماميلوس) : مرافقي هذا يمارس حيالي عين الوظيفة التي  
تحدث عنها. فنحن ننزّه كلاتا معا، ولأجله أرتضي سلوك طريق الخطر...  
ارجوك، يا هرميون ان ترينا مقدار محبتك لنا في استضافة اخيك، فلا تضني  
عليه بأغلى ما في صقلية واسترخصي في سبيله كل نفيس. لانه بعدك وبعد  
ولدي الصغير سيكون ورثتي العتيد المحبوب.

هرميون : ان شئت ان تنضم الينا فنحن ننتظرك في الحديقة، وكل املنا  
ان توافينا.

ليونتي (لبولكسان) : تدبر امرك كما يحلو لك. سلتفك على كل حال اذا  
بقيت تحت سماتنا. (على حدة) انا الآن اصطاد في الماء العكر، وان لم  
تروا كيف ألقى شبكتي. هيا، هيا (يراقب بولكسان) يا للهول كيف تمد  
لها يديك وشفيتك، ايها المحتال. بماذا تتدرّع لاستباحة حرية المرأة في  
حضور زوجها السموح. (يخرج بولكسان وحاشيتهما) ها هم قد ذهبوا  
ليغوصوا في الاحوال حتى الركب. وأنا الزوج المخدوع آخر من يعلم.  
(لماميلوس) انصرف الى لعبك ايها الصبي. لعب، فوالدتك تلعب، وأنا ايضا  
ألعب، وأقوم بدور مخجل الى درجة ان الخاتمة ستلفني ككفن من العار  
والاشمزاز والسخرية. امض الى لعبك، يا ولدي. فكم من زوج مخدوع

نظيري، اليوم وفي كل حين، يتأبط ذراع زوجته، حتى في هذه اللحظة، بدون ان يدري بأن غيابه ارخى لها الحبل على الغارب وأفسح المجال لجاره ان يصطاد في الماء الآسن. ابتسم، يا مولاي، لذكر جارك. أجل، هناك تعزية أستخلصها من قولك لي ان غيري من الرجال لهم ايضا ابواب، وان هذه الابواب تفتح مثل ابوابي بدون رضاهم. لو ان جميع النساء الثائرات يسن لضاع عشر البشرية سدى، ما دام لا دواء لهذا الداء الوييل. لاننا في هذه الدنيا نخضع جميعنا لقدر غاشم هذام يفسح المجال لسيطرة كل متجبر متفطرس مستبد يكيل لي الصدمات من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب، حيث انا موثق بأن لا حدود لجشع البطون فيتسنى للعدو الدخول والخروج بسلامه وعتاده على هواه. هناك ملايين بيننا مصابون بهذا المرض العضال، وهم لا يعلمون. فكيف حالك أنت، يا ولدي؟

ماميلوس : انا مثلك تماما، على ما يقال.

ليونتي : هذه تعزية كبيرة لي. (يلمح كميليو) ماذا ارى؟ كميليو هنا؟ كميليو : أجل، يا مولاي الكريم.

ليونتي : انصرف الى لعبك، يا ماميلوس، فأنت فتى شريف. (يخرج ماميلوس) هو ان كميليو، السيد الخطير، ينوي تمديد اقامته في ربوعنا. كميليو : لقد عانيت الكثير حتى حلت دون سحبه مرساته للاقلاع، وهو يحاول ان يسحبها كلما منعت انت في رحيله.

ليونتي : هل لاحظت ذلك.

كميليو : لم يشأ ان يبقى عندما طلبت منه انت ان يمدد اقامته، وتذرع بأن اعماله تستدعيه بالحاج.

ليونتي : أجل، لاحظت هذا. وها هو يتمم وبهمس مثلي: ان ملك صقلية هو... كذا وكذا. وسيقتضي وقت طويل كي أبتلع كل هذا. ما الذي أقع كميليو بالبقاء؟

كميليو : الفضل كله للملكة الرصينة.

ليونتي : لا انكر فضل الملكة. لكني هنا يصعب عليّ مجازاتك على الامانة، لانها في الواقع مفقودة. ولا ادري ان كان غيري يدرك ما اخشى حتى

مجرد التفكير في احتمال حدوثه. فقطنتك المتساهلة لا تأبه للتجاوزات  
السمجة. وأظن ان هذا الأمر لا يفوت الذهن الثاقب والمتبصر البعيد النظر.  
اما العامة من الناس فقد لا يرون من غرابة في ما يجري حولنا.  
كميليو : ماذا يجري، يا مولاي ؟ أعتقد بأن أغلب الأصحاب قد علموا بأن  
ملك بوهيميا قد مدد اقامته في ربوعنا.

ليونتي : ماذا تقول؟

كميليو : مدد اقامته هنا.

ليونتي : نعم ، ولماذا؟

كميليو : ارضاء لسموك، ونزولا عند الحاح مولاتي النبيلة الرائعة.  
ليونتي : نزولا عند الحاح مولاتك... نزولا عند الحاحها. هذا يكفي. لقد  
اثمنتك يا كميليو، على أعز اسرار قلبي وحياتي. لانك كنت المرشد الذي  
طهّر نفسي، وكنت اغادرك كالمذنب الثائب. غير اني اخطأت في وضع  
تقتي في استقامتك او بالحري ما ظنته فيك من صلاح.  
كميليو : معاذ الله، يا مولاي.

ليونتي : انا اثق بك اكثر من اللازم. فأنت لست وفياء، وان كنت تنظاهر  
بالاخلاص. انت جبان، طعنت الامانة في الخفاء لتمنعها من سلوك السراط  
المستقيم. لذا يجب عليّ ان أراقبك كخادم متشبث بثقتي ورضاي، لكنك  
شديد الاهمال ولن تحتفظ بهما طويلا، او كفني يراني اسحب ثروتي الطائلة  
من ايدي الغشاشين ويحمل تصرفي على محمل الهوس.

كميليو : مولاي الجليل، قد أكون مهملا وغيبيا وجبانا. اذ لا احد يخلو  
من هذه النقائص، ولا مجال لان يكون واثقا في غمرة أحداث هذا العالم  
التي لا تحصى، بأن لا تظهر في شخصه بوادر هذه المعايير. فان اتفق  
لي ان أكون في امورك مهملا عن عمد، فهذا يعدّ مني حماقة لا تغفر.  
وان صدر مني بعض الحمق فهو من باب الاهمال ولا يقام وزن لتبجته.  
وان خشيت اتيان عمل شككت بنجاحه وتبجته خطره فهذا لا ينجو منه  
أرضن العقلاء. هذه يا مولاي، شوائب مقبولة لا يخلو منها اي ولاء. لكني  
ألتبس من جلالتك ان تكون اكثر صراحة حيالي، وأرجوك ان تبين لي

الخطأ الذي ترميني به، كما تراه بوضوح كي انفيه عني لانه حتما ليس صادرا عني.

ليوتي : ألم تبصر كميليو؟ لا بد من ان تكون شاهده، وإلا لكانت نظراتك أغلظ من قرنيّة عين الرجل المخلوع. ألم تسمع ما يقال؟ فأمام المشاهد الاخاذة لا سبيل للاشاعات ان تكون خرساء. ألم تخامرك الظنون — ولا تسنّ ان لا وجود للفكر في رأس غير المؤمن — بأن زوجتي غير وافية. ان كنت تقر بذلك، عليك ان تعترف به. وإلا، اذا كنت تنكر بوقاحة ان لك عيوننا وأذاننا وأفكارنا، فان زوجتي فرس من خشب، وهي تستحق اسما يخلع على أحقر مستهترّة تستسلم قبل عقد خطوبتها. قل هذا، وتوسع في الموضوع بلا تردد ولا وجل.

كميليو : انا لا اقبل بالمكوث هنا لأسمع ما يسود صفحة مولاتي المكلّة، بدون ان أثار لسمعتها فورا. لتصب اللعنة على رأسي ان سكتّ عما تذييه انت بحقها من كلام بذيء يشكل تكراره ذنبا أفظع من المعصية ذاتها لو صح وقوعها.

ليوتي : أوليس مريا ان يتحدث اثنان بصوت خافت؟ وأن يسندا خدا الي خد، وأن يلامس انف الواحد انف الآخر؟ وأن تنهافت الشفاه في قبلات مشيرة؟ وأن تختلط البسمات العريضة بالتنهدات العميقة كدليل قاطع على انهيار الفضيلة؟ وأن تلتف الرجل على الساق، وأن يختبيء مشتاقان في الزوايا وأن يتحميا لو تسرع مسيرة الزمان. فصبح الساعة دقيقة والظهر يسمي منتصف الليل، وأن تصاب الأنظار بالعمى، فلا يشاهد الجرم احد. واذا كان كل هذا لا وجود له، فالعالم أجمع اذاً وما فيه ليس له وجود، والسماء التي تملوه ليس لها ايضاً من وجود. وكذلك زوجتي تكون غير موجودة ان لم يكن لكل ما عدته لك الان اي اثر في الوجود.

كميليو : حسنا، يا مولاي، اطرده عنك حالا هذه الخواطر السقيمة لانها تشكل على صحتك افدح الاخطار.

ليوتي : مهما كان الحال، فهي صحيحة.

كميليو : كلا، كلا، يا مولاي.

ليونتي : بلى، هي صحيحة. وأنت تراوغ، لانك منافق، يا كميليو. ولذا انا اكرهك، لانك غبي احمق ودسّاس بلا ضمير، لا تميز بين الخير والشر. فان كان ايمان زوجتي فاسدا كحياتها، فلن تحيا أكثر من فترة تاتر الرمل في الرملة.

كميليو : ومن ذا الذي افسدها؟

ليونتي : من يعلقها كمدالية في عنقه، هذا البوهيمي الذي... لو كان حولي خدام أوفياء تسهر عيونهم على سعادتني كما يهتمون بمكاسبهم ومصالحهم الخاصة، لما وصلت بنا الامور الى هنا. أجل، انت الذي تسقيها وتسكرها، انت الذي انتشلتك من الحضيض ورفعتك الى مصاف ذوي السلطان، انت الذي تعان بوضوح من علياء سمائك ما يجري على الارض، كما تبصر من الارض ما يتلألأ في كبد القبة الزرقاء، كم انا مستاء من تصرفك، لانك تجرع كؤوس من تتشي من رائحة الخمرة التي أعتبرها انا إكسيرا لقلبي الجريح.

كميليو : مولاي، وإن استطعت ان افعل ما تتهمني به، فان ما اسقيه من شراب خفيف النشوة، سلس لطيف يشرح الصدر، لا كالسّم القاتل مفعوله يفضح. لكنني شخصياً لا أظن بأن شرف مولاتي قد تدهور الى مثل هذه الهوة، وقد عهدنا فيها الوقار... لا سيما انا الذي اخلصت لك الود الى ابعد الحدود. ليونتي : لا بل عليك ان لا ترفع عنه الشبهات، وأنت لست غريبا عنها. أتخالتي مغفلا عديم الادراك، تزجني هواجسي بدون داع في مستنقع هذا العذاب؟ وأن ادع اشواك الظنون تقض مضجعي وتلطح بياض صفحتي التي حرصت دائما على حفظها نقية من كل الارجاس كي لا تلدغي الافاعي والعقارب، ولا تلوث أقدار الفضيحة دم ولدي الامير الذي أعتقد بأنه من صلي وأحبه أكثر من نفسي. لولا البراهين القاطعة التي ألمسها، أتظني أشغل بالي بافراضات تافهة وأشتت افكاري برهات لا طائل تحتها؟

كميليو : عليّ ان أصدقك، يا مولاي. لذا سأسعى بكل طاقتي لازالة ملك بوهيميا من الوجود، بشرط ان تشمل الملكة حالا بعد غيابه، بعين رعايتك وعطفك كالسابق، لا لحجة سوى كمّ الافواه عن نهش صيت ولدك واخراس

اللسنة الطويلة في البلاطات والمناطق المعروفة بالولاء لشخصك الكريم.  
ليوتي : رأيك هذا ينطبق تماماً على ما كنت أوتد العزم على القيام به. وأنا  
أنوي أن أزيل أيضاً كل غبار عن شرفها الذي كان من المفروض أن أعتز به ؟  
كميليو : هيا، يا مولاي، أظهر لملك بوهيميا وللملكة زوجتك أصفى معالم  
وجهك المشرق كأنك في ابهج ايام افراحك وليالك الملاح. انا خادمك  
الامين، ان لم أسقه كأس الحمام، لا تحسبني من أتباعك المخلصين.  
ليوتي : كفى. تم ذلك ولك كل مودتي وعرفاني بجميلك، وإلا حكمت  
على نفسك بالخزي والنفي.

كميليو : انا أتعهد لك بتنفيذ رغبتك حرفياً، يا مولاي.  
ليوتي : هذا اختبار لما تحفظه لي من صداقة، وأنا واثق كل الثقة بأمانتك  
وبصواب نظرتك

(مخرج).

كميليو : يا لك من ملكة شريرة! لكن في أي مأزق زججت نفسي؟ علي  
ان اقتصي بالسم على بولكسان الكريم. ودافعي الى اقرار هذا الاثم، هو  
الخضوع لمشيئة مولاي الذي يأبى لأعوانه الا الامتثال لاهوائه المستبدة.  
ان سيرتي في ركابه خير ضمان لترقيتي. فكم أتمنى ان الاقي مثلي بين  
الناس من باع سيده وازدهرت احواله فيما بعد. ضميري ليس مرتاحا الى  
هذا العمل المشين، انما هناك ليس من نحاس ولا حجر ولا ورق ليقوم  
دليلاً على هذا الصنيع. ألا قبَّح الله الطمع، لا بد لي من مغادرة البلاط،  
ان تم الامر او لا، لانه في الواقع ورطة جسيمة. يا نجمة حظي ان لك  
ان تلمعي، فالى ملك بوهيميا اذا.

بولكسان : امر غريب عجيب. يبدو لي ان نجم طالعي يهوي ويميل الآن  
الى الأفول. ألا تكلمني؟ نهارك سعيد، يا كميليو.

كميليو : السلام عليك، يا صاحب الجلالة.

بولكسان : ما وراءك من اخبار البلاط؟

كميليو : ليس من امر هام، يا مولاي.

بولكسان : ان من يشاهد الملك يظن انه فقد مقاطعة من اراضيه، عزيزة

جدا على قلبه. لقد قابلته منذ لحظة بالاجلال المعتاد. فما كان منه الا ان أشاح عني بأظفاره ازدراء، كأنه يتهرب مني ويريد ان يفهمني ان ما يجول في خاطره قد تحوّل عني.

كميليو : لا اجسر على معرفة ذلك، يا مولاي.

بولكسان : كيف لا تجسر؟ ألا تدري بما يخامره من وساوس؟ لا أظنك تجهل ما يربك تفكيره. هذا ما يستشف من اجوبتك. لاني واثق بأنك مطلع على خفايا الامور، ولا يسعك ان تصرح بأنك لا تجسر على البوح بسر مكتوم. عزيزي كميليو، ان تبدل ملامحك الان برهان قاطع على ما طرأ من تحوّل على امكانيات جلالته، ولا أشك بأن لي في القصة نصيبا لا بأس به، ما دمت انا قد تأثرت هكذا بهذا الوضع الجديد.

كميليو : هناك شر، زرع بذور الفوضى فيما بيننا. غير اني لا اقوى على تعين العلة، ولا بد من ان تكون قد سرت عداوها منك، مع ما تتمتع به انت من صحة وعاقفة.

بولكسان : كيف سرت العدوى مني؟ لا تنسب اليّ منشأ هذا التغيير. ان عيني وقعت على ألوف الاشخاص فيما مضى، ولم تنتقص مقدار ذرة من حسن حالهم، ولم تصب احدا بأي اذى. فاذا كنت، يا كميليو نظيري، على يقين بأنك رجل شهم، واذا كنت بخيرتك ورضانة سيرتك التي يتجلى بها نبلا نظير الاسم الكريم الذي خلفه لنا أجدادنا الأماجد، أتوسّل اليك، مهما كنت تعرف القليل عما جدّ، ان تعلمني به ولا تتركني سجين جهلي الخجول لما يجري حولي.

كميليو : لا يسعني ان اجيبك يا مولاي.

بولكسان : نقول ان العلة كامنة فيّ، وان كنت انا سليما معافى. هذا يستوجب ردا. اسمع، يا كميليو، أستحلفك بكل عزيز لديك وبشرفك كإنسان لا تنقصه الشجاعة والمروءة، وأتوسّل اليك ان تكشف لي عما بدر مني من اساءة، من قريب أو من بعيد، وبدون علمي، قلبت بيننا موازين المواقف التي أتمنى ان تعود الى سابق عهدها.

كميليو : سأعلمك، يا مولاي، بما انك تستحلفني بشرفي وبمن يعز عليّ

شرفها كثيرا. انما انتبه جيدا الى نصيحتي التي آمل ان تبعها بحذافيرها وبأسرع وقت ممكن. وإلا اضطررنا، انا وأنت، الى الهتاف: «أسفا، لقد ضاع منا كل امل». وعلى هذا اقول لك: عمت مساء.

بولكسان: تكلم، يا كميليو، ولا تخف.

كميليو: انا الرجل المكلف بقتلك، يا مولاي.

بولكسان: ومن الذي كلفك بذلك، يا كميليو؟

كميليو: الملك نفسه.

بولكسان: لماذا؟

كميليو: لانه يعتقد، ماذا اقول؟ بل يقسم جازما بأنه رآك او بأنه تجسس عليك، في استهتارك عندما اتصلت بالملكة وأشركها بهتكت في مغامرة مجنونك.

بولكسان: لو صح ذلك، لتمنت ان يتحول دمي الى أقدر ماء آسن، وأن يقرن اسمي بوصمة من خان العادل الديان، وأن تصبح سمعتي العاطرة أكثر نثانة من جيفة يهرب الجميع من نثانتها الكريهة حيثما توجهت وأنا حلت. فيتجنبني الناس كالأجرب ويرذلونني كالشيطان الرجيم على مدى العصور حسبما تقتضيه تقاليد التاريخ.

كميليو: مهما اقسمت له من ايمان مغلظة على عكس ما هو مقتنع به كواقع اكيد، واستشهدت بجميع كواكب السماء وثيراتها، يظل خضوع البحر لناموس جاذبية القمر أسهل من زعزعة ايمانه بما يخامره في اخلاصك من شكوك جنونية مهينة قد تغلغلت الى أعماق صدره ولا سبيل الى انتزاعه ما دامت في عروقه نبضة من حياة.

بولكسان: وكيف ارتسمت في ذهنه هذه الفكرة المشؤومة؟

كميليو: لست ادري. انما ما أوكدته لك هو ان احتراسك منه أسلم من فهم كيفية ولادة هذا الريب في قلبه. فان كنت لا تخشى الثقة بنزاهتي المدفونة الى الأبد في هذا الصندوق (يدق كميليو على صدره) طواعني على الذهاب معي هذه الليلة بالذات. سأعلم رجالك بالامر كي يتسللوا كل اثنين او ثلاثة على حدة، وينسجوا بطرق مختلفة، وأنا اخرجهم من المدينة. أما

من جهتي فاني اضع تحت تصرفك جميع امكانياتي و ثروتي التي قد اضعنها هنا بما افضيت به اليك من سرّي. فلا يخامرناك اي شك من نحوّي، لانني قسما بشرف اجدادي، ما بحث لك بسوى الحقيقة الاكيدة. واذا اردت برهاننا على صدق اقوالي، لن اتأخر عن ابرازها لك. وهكذا لن تكون هنا في مأمن اكثر من محكوم عليه بالاعدام، اقسام الملك على تنفيذة فيه مهما كلف الامر.

بولكسان : اني اصدق كلامك. فقد رأيت على محياه ما يختلج في صدره. أعطني يدك وكن دليلي فيصبح مكانك دوما الى جانبي. ان سفيتي جاهزة، ورجالي يتظرون رحيلي منذ يومين. اما هذا الحسد فبطلته سيدة نبيلة الاخلاق، نادرة الوجود كجوهرة عالية الثمن. وكلما تفاقمت الغيرة، كلما باتت أعنف بطشا. وبما انه يظن ان شرفه قد دنسه رجل يعتبره من اوفى اصدقائه سيكون انتقامه أشرس من المودة التي كان من المفروض ان يبادلها اياها. انا اخشى ظل وجوده هنا. فهلا حالفتنا الحظ في الهرب من هذا المكان بسلامة وأمان، على ان نظل مخلصين للملكة النبيلة التي لا تزال في متناول يده ولا تستحق ما يحاك حولها من دسائس ومكائد ذنينة. تعال، يا كميليو. سأحترمك كوالدي ان انقذتني من هذه الورطة. هيا الى الهرب.

كميليو : نظرا الى ما أتمتع به من سلطة، فان يدي تصل الى مفاتيح جميع المخارج، فاغتنم، يا صاحب السم، هذه الفرصة وعجل في الذهاب. هيا يا مولاي نسلك طريق الهرب.

## الفصل الثاني

### المشهد الاول

#### دائما في القصر

(تدخل هرميون وهي تقود ماميلوس وتبعها سيدات من حاشيتها)

هرميون : اخذي الصبي معك. لأنه يتعني الى أبعد حدود الاحتمال.  
السيدة الاولى (تمد يدها الى ماميلوس : هيا، يا مولاي الصغير، ألا تريد  
ان أشاركك في ألعابك؟

ماميلوس : كلا. انا لا أحبك.

السيدة الاولى : لماذا يا مولاي اللطيف؟

ماميلوس : لانك تقبليني بحنو زائد، وتكلميني كأنني لا ازال طفلا صغيرا.  
(لسيدة غيرها) انت أحبك أكثر منها.

السيدة الثانية : وما الداعي ايها الامير الكريم؟

ماميلوس : ليس لان حاجيتك أشد سوادا، مع ان الحاجبين السوداوين يليقان  
جدا ببعض النساء شرط ان لا يكونا كثيفين وأن يرتسما كقوسين فوق  
العينين كأنهما هلالان خطتهما ريشة بارعة.

السيدة الثانية : من علمك هذا؟

ماميلوس : وجه النساء. (للسيدة الاولى) قولي لي، ما هو لون رموش عينيك؟

السيدة الاولى : ازرق يا مولاي.  
ماميلوس : هل تسخرين مني! لقد رأيت انف سيدة ازرق، لكبي لم ابصر ابدا رموشا بهذا اللون الازرق.  
السيدة الثانية : اسمع، يا مولاي. ان امك الملكة، يكبر بطنها بسرعة، ونحن على وشك ان نقدم خدماتنا لامير جميل جديد في يوم قريب، وسيسرك ان تلعب معنا، ان اردنا اشراكك بتسلياتنا.  
السيدة الاولى : من عهد قريب اخذ بطن والدتك يتضخم بروعة. فتمنى ان يسعدها الحظ بمولود حلو لطيف مثلك.  
هرميون : علام يدور حديثكم؟ (لماميلوس) تعال ايها الامير الصغير، انا الان متفرغة لك. ارجوك ان تجلس بجاني، وأن تقص علينا حكاية.  
ماميلوس : كيف تفضّلها، حزينة ام مرحة؟  
هرميون : نريدها مرحة للغاية.  
ماميلوس : ان الحكاية الحزينة أنسب بكثير لأيام الشتاء. وأنا اعرف واحدة تتحدث عن عائدين من القبور وعن شياطين صغار.  
هرميون : قص علينا هذه الحكاية، ايها الامير. تعال اجلس هنا. هيا افزعنا بالعائدين من القبور، لانك تجيد هذا النوع من الحكايات.  
ماميلوس : كان في قديم الزمان وسالف العصر والوان، رجل...  
هرميون : هيا تعال اجلس بقربنا. والآن أكمل.  
ماميلوس : يقيم في مدفن. سأرويها لكنّ بتأن، لاني لا أود ان تسمعني الصراخ.  
هرميون : اقترب اذًا، واهمسها في أذني.

(يدخل ليوتي واثنين وبعض الوجهاء ثم الحرس)

ليوتي : لقد صادفناه هنا، هو وحاشيته ومعه كميليو.  
الوجيه الاول : شاهدته وراء اشجار الصنوبر. ولم أبصر اناسا يكنسون الطريق بمثل هذه السرعة. فنجتهم بأنظاري حتى وصلوا الي سفنهم.  
ليوتي : كم كنت مصيبا في تقديراتي وفي ظنوني، يا للاسف! وكم وددت ان لا ارى ما عانيت! وكم ألعن ذاتي لان نبوءاتي تحققت. قد يوجد عنكبوت

في قعر الكأس، وربما تمكن المرء من الشرب ومن ابعاد شفتيه بدون ان يلتقط أي مقدار من السم، لان خياله غير مضطرب. أما أن يقع نظره على هذه المادة القاتلة، وأن يدري بما شرب، فعليه ان يصق حالا كل ما في جوفه، إن تطلّب ذلك منه أعنف الجهود. فأنا قد شربت، رغم اني ابصرت العنكبوت، وكميليو كان العميل الوسيط. هناك مؤامرة على حياتي وعلى تاجي. وكل حذري كان في محله. تبا لهؤلاء الخبيثاء الذين اردت استخدامهم فاستخدموني. لقد شاء ان يوح بمقاصدي، وأنا ظللت أتألم، أجل، كمجرد درع يتسلى اللؤماء به على هواهم. كيف فتحت المخارج بمثل هذه السهولة؟ الوجه الاول : بفضل سلطانه الواسع الذي مارسه غالبا بناء على اوامرك. ليونتي : انا أعرف ذلك جيدا. (لهرميون) اعطني الولد. اراني مسرورا لأنك لم تغذيه بلبانك. ومهما كان كثير الشبه بي، فقد منحتك انت كثيرا من دمك. هرميون : ماذا تعني بهذا القول؟ هل هو على سبيل المزاح؟

ليونتي : لا بد من ابعاد هذا الطفل من هنا كي لا يدنو منك بعد اليوم. أقصوه عنها، ولتسلّ بالذي تحمله في أحشائها لانه ثمرة بولكسان الذي نفخها هكذا.

هرميون : لا يسعني سوى رفض فكرتك. وأنا اقسم بأنك لن تصدقني، لانك تميل الى المشاكسة.

ليونتي : انظروا اليها، يا سادة، وراقبوها، ولا يفرنكم بهاؤها فهتفتوا : « ما اجمل هذه المرأة! »، فان عدالة وجدانكم تضطركم الى اضافة هذه الكلمات : « ولكن ما أحقرها! لانها غير شريفة وغير محترمة ». يمكنكم ان تمتدحوا فقط جمالها الخارجي الذي لا انكر انه يستحق كل ثناء. انما ستهزأون بها حالا وتغمغمون متأسفين لما انتاب هذا الجمال من ذبول وما لانه الألسن عنه من نيمية. لا، لا، انا مخطيء هي تستحق الغفران لان النيمية لا تغتاب سوى الفضيلة. أما التهكّم والهمهمات، عندما تقولون انها جميلة، فتبدر منكم قبل ان يتسنى لكم القول انها فاضلة. اذ عليكم ان تعلموا ممن اختبرها وأنف انحرافها، بأنها زانية.

هرميون : لو نسب اليها هذه المذلة اكثر المجرمين انحطاطا لكان عندئذ

مجرما مرتين. فأنت، يا مولاي، بكلامك هذا تغالط نفسك.  
ليوتي : انت. التي تغالطين نفسك، يا سيدتي، عندما تعتبرين بولكسان بمقام  
زوجك ليوتي. انت ابتها الخليفة التي لا أريد ان أسميك بأمثالك خضية  
ان تسمح البربرية لذاتها بأن تحذو حذوي في وصم من هنّ في مقامك  
الرفيع بسمتك الوضيعة وتنزيل الفوارق بين الامير النبيل والمتسول الحفير.  
قلت انها زانية ويُنْت مع من، بل هي تعدت ذلك وارتكبت جرم الخيانة  
العظمى، وما كميليو الا شريكها في المكيدة. لانه يعرف السر الذي لا  
يد من ان يخجل منه لمساهمة فيه نظير المجرمة الرئيسية. هو يعلم بأنها  
لطلخت سريرها بالعار نظير العاهرات اللواتي يخلع العوام عليهن اقبح النعوت،  
أجل، لانها مستودع شذوذهن.

هرميون : لاء، لاء، اقسام بحياتي اني لست مستودع شذوذ احد. ستندم حتما  
عندما تتضح لك الحقيقة، ويتبين لك انحطاط تشهريك بي. آه، يا مولاي  
السموح، دعني أصارحك بأنك لن تعوض عن ذرة مما تلحقه بي من اذلال  
حتى لو اعترفت بأنك اخطأت بحقي.

ليوتي : كلا، كلا، لن اراجع عما انا مقتنع به، ولو هبطت السماء على  
الارض وارتفعت لجاج البحر الى قمم الجبال. (يشير الى هرميون) خذوها  
واحبسوها. وكل من يدافع عنها سيحكم عليه بالموت كأنه شاهد زور.  
هرميون : حتما هناك كوكب مشؤوم يسيطر على دنياي. فصبراً الى ان  
تسم السماء بالحلم والسماحة. سادتي الكرام، انا غير مستعدة للبكاء، كما  
هو حال بني جنسنا نحن البشر. ففي غياب لآلىء الندى، قد تصمت شفقتكم،  
لكني اشعر هنا (تضع يدها على قلبها) بألم نبيل، ألم يكوي القلب بعنف  
ويطفئه في سبيل الدموع؟ أستحلفكم جميعا، يا سادتي، بأن لا تدينوني  
الا بموجب رحمة افكاركم التي تستوحونها من وجدانكم، وعلى هذا الاساس  
فلتم مشيئة الملك.

ليوتي (للحرس) : ألا تسمعونني؟

هرميون : من يذهب معي؟ ألمس من سموك ان تسمح لنسائي ان يرافقني.  
فكما نعلم جميعنا جيداً، ان وضعيتي الخاصة تقتضي ذلك (لنساؤها) لا تبكين،

يا ههروسات، اذ لا داعي للوعيل والتعجب. عندما تعلمن ان ملكتكن قد استحققت السجن، حينئذ اسكين الدموع السخينة عند أقدامي. أما المحاكمة التي أتعرض اليها الآن فهي آتلة الى أعظم أمجادي. وداعا، يا مولاي. كم تمنيت ان لا اراك مغموما. انما الان، لن تتجو من الهواجس والهموم. تعالي يا نسائي — فمرافقتي مسموحة لكنّ.

ليونتي : هيا، نفذّن أوامري، واخرجن. (يخرج الحرس آخذين معهم هرميون والنساء).

الوجيه الاول (ليونتي) : أستحلفك بكل عزيز ان تستدعي الملكة، يا صاحب السموم.

انتيفون : تيقنّ مما تقدم عليه، يا مولاي، خشية ان يتقلب عدلك الى ظلم وهكذا يذهب ضحية جورك ثلاث ضحايا كبار، هم شخصك الكريم بالذات والملكة زوجتك، وابنتك ولي عهدك.

الوجيه الاول : من جهتها هي، يا مولاي، اجرؤ على التأكيد، ان قبلت بوجهة نظري، ان الملكة طاهرة نقية امام السماء وأمامك من كل عار تهمها به. انتيفون : واذا ثبت انها غير بريئة، فاني أنوي أن أجعل من مقرها، إن كانت زوجتي، اسطبلا للدواب، وأن لا امشي الا مربوطا الى جانبها، ولن اتق بها الا عندما اشعر بها وأراها بقربي، اذ لن يبق حيفظ ظفر امرأة بل ذرة من جسد ابنة حواء لا يكون مجبولا بالغش والخداع، اذا كانت الملكة فعلا تستحق اللوم.

ليونتي : اصمنا كلاكما.

الوجيه الاول : مولاي الكريم.

انتيفون : نحن نتكلم لصالحك لا لصالحنا. انت ضحية منافق متآمر لا بد من معاقبته. أود من كل قلبي ان اعرف من هو هذا اللئيم، فأتولى محاسبته هنا في هذا المكان. ان كانت هي مستهتره في المحافظة على عفتها — انا لي ثلاث بنات، البكر منهن عمرها احدى عشرة سنة، والثانية تسعة، والثالثة تناهز الخامسة — أكرر عليك، ان كانت حقا مذنبه، فاني سأعاقب بناتي ايضا. أقسم بشرفي بأنني سأشوّه وجوههن جميعا ولن يلفن ربيعهن

الرابع عشر لكي يلدن جيلا من اللقطاء. هن وريثاتي، وأنا لن ارضى ابدا  
الا ان يخلفن ذرية شرعية صالحة ترفع الرأس عاليا.  
ليونتي : كفى. لا أريد سماع كلمة اخرى. انك تشم هذه القضية بأنف  
مزكوم يشبه حاسة الاموات. (يمسك بيد انتيفون) اما انا فأراها وأشعر بها  
كما تحس بقبضتي وكما تبصر يدي التي تمسك بك.  
انتيفون : ان كان الامر حقا كذلك، فلا حاجة بنا الى قبر لدفن شرفنا.  
ولن يبقى بنفسجة خير تعطر وجه هذه الارض المكسوة بالافتذار.  
ليونتي : ماذا اسمع؟ هل حجبت عني ثقك؟  
الوجه الأول : أفضل أن تحتجب الثقة عني لا عنك، يا مولاي، في هذا المجال  
لاني انظر بسرور الى تبرير شرفها وتكذيب ظنونك مهما تعرضت سيادتك  
للملامة.

ليونتي : ماذا يدعوك الى مناقشة هذا الموضوع؟ لماذا لا تتبع بالحري اتجاه  
مشاعرنا التي قل أن تخطيء. ان مبادرتي لا تحتاج الى نصائحك، وان  
كاشفتك بالامر، فذلك عائد الى طيبة قلبي واستناسي برأيك. فان تغلبت  
عليك الغباوة طوعا او قسرا فلم تعد ترى او تقدّر نظيري هذه الحقيقة  
المرّة. اعلم جيدا اني عند ذاك استغني عن مشورتك. ففي هذه القضية،  
سواء في كسبها او خسارتها، الرأي الأخير والقرار النهائي متعلق بي شخصيا.  
انتيفون : ان ما أرغبه يا مليكي، هو ان يجري التحقيق في هذه القضية  
بصمت لا علانية.

ليونتي : وكيف يمكن ذلك؟ هل أصابك العجز قبل الاوان، ام اصبحت  
مغفلا؟ ان هرب كميليو قد زاد الطين بلة، ودل على العلاقة الحميمة التي  
ترتبط بينهما. وهذا امسى بديها لا يحتاج الى برهان لانه ظاهر للعيان تفضحه  
الظروف من كل صوب والهمهمات من جميع الافواه. ولذلك عجلت بالبت  
في ملاحظتها. على كل حال، لزيادة التأكيد، لان مسألة كهذه تضر بها  
العجلة، أرسلت الى معبد أبولون في المدينة المقدسة « دلف »، كليومان  
وديون اللذين تعرف انت مقدرتهما. وهكذا تكون استشارة الالهة دعما للقرار  
النهائي، فإما ان أتريث وإما ان أنفذ الحكم. أوليس هذا هو الحل الأفضل؟

الوجه الأول : حسناً فعلت، يا مولاي.

ليونتي : مهما كنت مقتنعا، ولا أبحث عن مزيد من الأدلة، أعتبر الاستشارة أريح لأذهان أمثالك الذين، لغباوتهم وجهلهم، لا يريدون ان يصدقوا الحقيقة المجردة. وعلى هذا الاساس، رأيت الأنسب ان أحجزها بعيدا عن نظرتي المتحررة، خوفا من أن يؤدي بها هرب الخونة الى تعلم درس اخير منهم. تعال اتبعني. فسأذهب الى جمهور الشعب، لان هذه القضية قد تؤدي الى هلاكنا جميعا.

انتيغون ( على حدة ) : أجل، من الضحك، ان ثبت افتراضي، وبانت الحقيقة على جليتها.

(يخرج الجميع).

## المشهد الثاني

### في مدخل السجن

(تدخل بولين وحاشيتها)

بولين : أين مدير السجن. ارجو ان تستدعوه وتعلموه من انا (يخرج واحد من جماعتها) اينها الملكة، ليس في كل اوروبا من محكمة صالحة للنظر في قضيتك. ماذا تفعلين هنا في السجن؟

(يدخل مدير السجن، وامامه حاجب)

(للمدير) سيدي العزيز، انت تعرف من انا، أليس كذلك؟

المدير : انت سيدة نبيلة أقدرها حق قدرها.

بولين : في هذه الحالة، ارجوك ان تقودني الى الملكة.

المدير : لا استطيع، يا سيدتي، فهذا محرم عليّ بموجب امر خاص مشدد.

بولين : وما الداعي الى منع دخول الشرفاء الافاضل للزيارة. هل مسموح ان ارى اية واحدة من نساؤها؟ اميليا مثلاً؟  
المدير : من فضلك، يا سيدتي، اسحبي جماعتك من هنا، وأنا مستعد لان أستقدم لك اميليا.  
بولين : ارجوك ان تناديهما (لجماعتها) انسحبوا انتم.

(يخرجون)

المدير : فضلاً عن ذلك، يا سيدتي، عليّ ان احضر المقابلة.  
بولين : حسناً. ارجوك ان تعجّل. (يخرج المدير) ما أصعب فرض الشبهة على من لا تطلقها اية شائبة.

(يدخل المدير وتصحب اميليا)

(لاميليا) سيدتي العزيزة، كيف حال جلالة الملكة؟  
اميليا : على أحسن ما يسمح بالجمع بين العظمة والمذلة. فيسبب هلعها وآلامها، اذ لم تشعر أبداً امرأة مثلها بأشنع مما تحمّله، طراً عليها المخاض فجأة فولدت قبل الأوان.  
بولين : صيباً؟

اميليا : بل بنتا، آية في الروعة والصحة، جاءت تعزية كبيرة لوالدتها الملكة حتى انها خاطبتها قائلة: « ابنتا السجينة المسكينة، ثقي بأني بريئة نظيرك ». بولين : لا أتردد في الحلفان تأكيداً لذلك. فلتحلّ اللعنة على « هلة » الملك الخطرة المشؤومة. لا يد من مجابهة هذا الاستبداد، فهذا واجب يؤول بنوع خاص الى امرأة، وأنا سأتولج مواجهته. فاذا كانت حلاوة العسل على شفتيّ او كان لساني لهيباً محرقاً ينفث نار غضبي، ارجوك يا اميليا ان تقدمي للملكة اخلص وفائي وخدماتي، وان كانت لا تخشى من ان تأتمني على رضيعتها فاني مستعدة ان اقدمها للملك وأن أدافع عنها بكل شجاعة. لست ادري مدى تأثير منظر الطفلة على جلالته. فغالبا ما يقنع صمت البراءة كأقوى حجة وينجح حيث ييوء بالفشل أفصح الكلام.

اميليا : سيدتي المحترمة، ان ولاءك وطيب عنصرك ظاهران للعيان، وكرم اخلاقك لا يسهه الا ان يفوز بالنهاية السعيدة، ولا احد غيرك جدير بهذه

المهمة الخطيرة. فأرجو من سموك ان تذهبي الى الحجرة المجاورة. سأعلم الملكة فوراً باقترحك النبيل. فهي في هذا النهار بالذات فكرت في الامر. انما لم تجرؤ على طلب الوساطة الخطيرة من احد، خوفاً من ان يكون نصيبها الرفض والفشل.

بولين : قولي لها، يا اميليا، ان طلاقة لساني اذا آزرتها البلاغة وساندها البسالة كفيلة بأن تحرز الفوز وتبلغ الغاية المنشودة في خلاصها.  
اميليا : لتحلّ عليك جميع البركات. انا ذاهبة الى الملكة، فتفضلي بدخول اقرب غرفة الى هذا المكان.

المدير (لبولين) : اذا شاءت المكلة ان ترسل اليك الطفلة، يا سيدتي، لست ادري لأي خطر أتعرض اذا انا اذنت لك بأخذها.

بولين : لا بأس عليك، يا سيدي. فالطفلة كانت سجيناً في أحشاء والدتها، وناموس الطبيعة وحده سمح لها بالخلاص والانتاق. ولا مجال لغضب الملك ان يتناول عليها. فهي غير مذنبه، ولو كان هناك من ذنب يقع على امها.  
المدير : انا مؤمن بذلك مثلك.

بولين : لا تخف اذاً. أقسم لك بشرفي بأنني سأحول دون تعرضك لأي شر او ضرر.

(يخرج الجميع).

## المشهد الثالث

في صقيلة — في قاعة العرش،  
وفي صدرها باب مفتوح تظهر من خلاله غرفة

(يدخل ليونتي، يتبعه انتيفون ووجهاء وحجاب  
وحرس بصطفون في صدر المسرح)

ليونتي (وحده عند باب الغرفة) : لا راحة في النهار ولا في الليل. ومن الضعف ان يرزح المرء تحت وقر الشقاء على هذه الصورة، بل يزداد الضعف حين يكون هناك امل لحل المسألة بشكل او بآخر. فأنا امسك على الاقل بأطراف القضية التي تدور عليها قصة هذه الزانية. اما الملك المتهتك فلا ذنب عليه ولا تتناول عليه يدي ولا نعمتي، لانه يتنصل من المؤامرة الدنيمة. غير اني استطيع ان أوقعه في الفخ. فعندما تختفي هذه المرأة عن المسرح بعد اهلاكها، يتسنى لي أن أنعم بنصف الراحة، وسأبذل كل جهدي للحصول على النصف الآخر من راحتي مهما كلف الامر. لكن، من الآتي الى هنا يا ترى؟

الحاجب الاول (يتقدم) : مولاي.

ليونتي : كيف حال الصبي؟

الحاجب الاول : لقد نام هذه الليلة بهدوء، ولامل كبير بأن يكون قد شفئ من مرضه.

ليونتي : نظرا الى اصله النبيل، وحالما علم بعار امه، اخذت صحته تنهار وتدهور بسرعة. لانه لم يطلق تحمُّل هذه المذلة، ففقد نشاطه وشهته للأكل، وجفاه النوم فسقط من الاعياء. اتركني وحدي واذهب لترى كيف هو الآن. (يخرج الحاجب) تبأ له من رجل فاسق. ان رغبتني في الانتقام منه ترتد عليّ لانه شديد البأس، قوي جدا بشخصيته وبأنصاره وبمخالفاته. فليعش حتى يحين الوقت المناسب لإزالته والتخلص منه، اذ لا سبيل الان للانتقام

فورا. فلتنصّب نعمتي عليها وحدها في الحاضر. ان كميلو وبولكسان يهزان بي في هذه الساعة ويتشفيان بإيلامي. ولو كنت قادرا على النيل منهما لما ضحكا ابدا، كما انها هي لن يتسنى لها ان تضحك لأنها في قبضتي. (يجلس على العرش ويبدو مفكرا).

(تظهر في مدخل القاعة بولين حاملة طفلة)

الوجه الاول (يتجه نحو الباب) : من الافضل ان لا تدخلني.  
بولين : ارجوكم ان تساعدوني، يا سادتي الكرام. ان غضبه المستبد يقلقكم، وأسفاه، اكثر من حياة الملكة البريئة الكبيرة النفس الطاهرة الذليل، وأكثر مما هو غيور حسود.

انتيغون (لبولين زوجته) : كفى، كفى.  
الحاجب الثاني : الملك لم ينم هذه الليلة، وقد اصدر امرا بأن لا يتصل به احد.

بولين : لماذا كل هذا الحرص، يا سادة؟ انا آتية لأجلب له الطمأنينة والرقاد. ان اشخاصا مثلكم يحومون حوله كالاشباح ويشهقون لدى كل تنهدة مصطنعة تخرج من صدره، هم انفسهم الذين يسببون له السهاد والارق. انا آتية لأسمعه كلاما صريحا شريفا شافيا.

ليوتني (يلتفت) : ماذا يجري هنا؟ ما هذا الضجيج؟  
بولين (تتقدم نحو الملك) : هذه ليست ضجة، يا مولاي، بل حديث ضروري عن موضوع يعذب ضمير جلالتك.

ليوتني : ماذا تعنين؟ ابعدوا عني هذه المشاغبة. يا انتيغون، ألم أكلفك بأن لا تدع احدا يأتي الي؟ كنت عالما بأنها ستغلب عليكم.  
انتيغون : لقد منعتها، يا مولاي، وهددتها بغضبكم واستيائي، وحذرتها من المشول امامكم.

ليوتني : ما هذا؟ أوليس لك من سلطة عليها؟  
بولين (للملك) : أجل، له سلطة كي يعنني من عمل الشر. لكن هنا، الا اذا لجأ الى عين الوسائل والاساليب التي تستخدمها، وأسلطني الى السجناء جزاء ما افعله من خير، فكن مطمئنا انه لن يكون له عليّ اي سلطان.

انتيفون : أسمعتها؟ عندما تعض على الشكيمة لا يسعني ان امنعها عن الجري، وهي لا تبالى بأحد.

بولين (للملك) : ايها الملك الكريم، أتوسل اليك ان تعيرني أذنا صاغية، لانني آتيت اليك كخادمة ودية، بل كطبيب شافٍ وكناصح متواضع يتوحي ان يريحك من عذاب ضميرك، ولا يبغى ان يتشامخ مفتخرا بتفانيه في سيلك نظير هؤلاء المتظاهرين امامك بالولاء، اقول لك اني آتية من قبل زوجتك الملكة الفاضلة.

ليونتي : الملكة الفاضلة!

بولين : أجل، الملكة الفاضلة، يا مولاي، أكرر قولي: الملكة الفاضلة. وأنا مصممة على اثبات فضيلتها لك، وسلاحي في يدي، ولو لم اكن رجلا، وأنا بطبيعة الحال أضعف منك بنية.

ليونتي : اطردها فوراً من هنا.

بولين : من اراد ان يفقد عينيه بأبخت ثمن فليتقدم ويلممني. سأخرج حين اشاء، لكن ليس قبل أن أنجز مهمتي ( للملك ) أقول الملكة الفاضلة، لأنها حقاً فاضلة، أنجبت لك ابنة، ها هي، لتحميها بحنان شهامتك ومروءتك. (تضع الطفلة عند قدمي الملك)

ليونتي : ابعدها. سحقاً لها من ساحرة مسترجلة. اخرجوها من هنا، واغلقوا الباب وراءها. تبا لها من عاهرة لا تستحي.

ليونتي ( للوجهاء ) : أيها الخونة، ألا تريدون أن ترموها خارجاً ؟ ردوا اليها هذه اللقطة. (لأنتيغون) وأنت ايها الجبان الخسيس الذي تسيطر عليك غانية مستهتره بدلا من سيدة محترمة، خذ هذه اللقطة من امامي. خذها، اقول لك، وردّها الى هذه الفاجرة الوقحة. (يتقدم انتيغون نحو الطفلة).

بولين (لأنتيغون زوجها) : لتشل يدك، ان لمست هذه الاميرة، نزولا عند طلب هذا الدنيء الخالي من العاطفة والضمير. (يتراجع انتيغون).

ليونتي : هو يخاف من امرأته السفهية.

بولين : كم أتمنى ان يكون هذا حالك ايضا، ففتخر حينئذ بأولادك.

ليونتي : قبحاً لكم من عصابة خونة!

انتيفون : أأنا الان خائن؟ اقسم بهذا النور المقدس، اني امين وفي.

بولين : لا، لا انا، ولا احد من جميع الحاضرين هنا، لسنا من الخونة، بل هو وحده الخائن العادر (تشير الى ليوتي) لان الملك وحده يستهتر بشرف السلطة المقدسة والملكة المظلومة وابنها صاحب المستقبل الباسم، وأيضا هذه الطفلة التي تحوم حولها الشبهة والنميمة، بينما هي تجاهه كسيف مرهف الحدّين. انه لا يريد ادراك الحقيقة، وهذا شر ما في البلية. وفي هذا الحال يضطرنني الى اعلان الحقيقة على رؤوس الاشهاد، لانه لا يريد اقتلاع جذور الفساد المتأصل كشجر البلوط والمتحجّر كالصخر الأصم.

ليوتي : انظروا الى هذه الحمقاء الزلقة اللسان التي تخزل زوجها وتريد ان تحطمني انا ايضا. هذه الطفلة ليست من صليبي، فهي ابنة بولكان. خذوها عني، وابعدها مع والدتها، وألقوها في النار المحرقة.

بولين : هي ابتك، وأنا أذكرك بأن هذه الثمرة من ذلك الفصن. انظروا، يا سادة، مهما كانت ملامحها ناعمة، فهي صورة مصغرة عن ابيها: عيناها وانفها وشفاتها وحاجباها وجبينها، حتى خدآها وابتسامتها وشكل يديها وأظفارها وأناملها، كلها تشبهه. والطبيعة التي كوّنّت هذه الطفلة جعلتها طبق الاصل عنك انت والدها. فان قصدت ان لا تزهد روح الانسانية في صدرها فلا تدعها تستمد من حقدك حقارة الضغينة والدناءة، خشية ان تظن مثلك في مستقبل الايام ان اولادها ليسوا من زوجها.

ليوتي : يا لك من خبيثة ماكرة (لأنتيفون) انت تستحق الموت شنقا، ايها الغبي، لانك لا تقوى على قطع هذا اللسان السليط.

انتيفون : عليك ان تأمر بشنق كل الأزواج الذين لا يستطيعون القيام بهذا الاعتداء، فلا يقي احد من رعاياك.

ليوتي (للوجهاء) : مرة اخرى، أقول لكم، خذوا هذه السافلة من امامي.

بولين : ان أحط زوج فيهم لن يتصرف نظيرك انت.

ليوتي : سأمر باحراقك.

بولين : هذا لا يخيفني. فالكافر الزنديق هو من يوقد النار لا من يحترق فيها. انا لا أريد ان ادعوك طاغية. لكن معاملتك للملكة زوجتك بهذه الشراسة،

وبدون ان تتمكن انت من ابراز أي دليل حسي لإثبات اتهاماتك سوى أهوائك التي لا تستند الى اي اساس، هي عين الهمجية، وهي كافية لتجعل منك أخط صعلوك في أشنع فضيحة عرفها العالم حتى الان.

ليونتي (للوجهاء) : باسم ما يتحتم عليكم نحوي من الخضوع، أستحلفكم ان ترموها خارج هذه القاعة. فلو كنت حقا مستبدا، ترى أي ويل كنت انزلت بها؟ وهل كانت تجاسرت على نعتي بالطغيان لو كنت فعلا أمارسه. خذوها، هيا خذوها.

(يقرب منها رجال العاشية)

بولين : ارجوكم ان لا تلمسوني. فأنا اخرج من تلقاء ذاتي. إسهر على طفلتك، يا مولاي. فهي حقا ابنتك. وآمل ان تمنّ عليها السماء بحارس أرحم منك. (للوجهاء) لماذا كل هذا الامتعاض مني؟ انتم الذين تشفقون على هوسه، لن يجد فيكم ابدا خذام أمناء. حسنا، حسنا. الودع، أنا ذاهبة.

(تخرج)

ليونتي (لأنتيفون) : انت خائن، دفعت هذه المرأة للمجيء الى هنا. ابعدوا هذه الطفلة عن نظري. (لأنتيفون) انت الذي تشفق عليها خذها من هنا حالا واجعلها طعمة للنار. انت وحدك مسؤول عنها. خذها سريعا، وقيل مرور ساعة من الزمن، عليك ان تبشرني بأن الامر قد قضي، وأن تثبت لي ذلك بشهادة ناظر عيان، وإلا خطفت روحك مع كل ما تملك. واذا رفضت وعارضت مشييتي، صارحتي كي أهشم رأس هذه اللقيطة بيدي وأسحق دماغها بقدمي. خذها حالا الى النار، فأنت الذي حركت زوجتك وأثرتها عليّ.

انتيغون : هذا خطأ، يا مولاي. ان رفاقي النبلاء، ان ارادوا، امكنهم ان يبرروا تصرفي.

الوجه الاول : أجل، نحن نستطيع، ايها الملك المعظم، فهو ليس مسؤولا عن تصرفات امرأته.

ليونتي : انتم جميعكم منافقون جبناء.

الوجه الاول : ألتمس من سموك ان تمنحنا الامان. نحن خدمناك دوما

بولاء، فمسأل سموك أن لا تظلمنا. ها نحن نجثو أمامك متوسلين، ملتصمين  
أن لا تحرمنا جزء أمانتنا الماضية والمستقبلية، وأن تبدل قرارك الدموي المريع  
حتى لا تنهال علينا الكوارث. ها نحن نجثو أمام جلاتك بكل خضوع.

(يركع رجال الحاشية).

ليونتي : اراني كريشة في مهب الرياح. هل تحم علي ان أبصر هذه اللقطة  
تركع امامي وتدعوني والدها؟ ان احراقها افضل الف مرة من صب اللعنات  
عليها. تريدون ان أدعها تحيا، فليكن ما تشاؤون. لكن، كلا ثم كلا، لن  
تعيش. (لأنتيغون) اقرب يا صاح. انت توسلت بإلحاح الي القابلة القانونية  
مركون لتتخذ حياة هذه اللقطة، التي ليست سوى ابنة الخيانة والعار، بدون  
اي شك كما ان هذه اللحية قد وخطها الشيب. فيماذا تريد ان تغامر الان  
لانقاذ حياة هذه الطفلة؟

انتيغون : اقوم بكل التضحيات الممكنة، يا مولاي، نظرا الي نبل محتدي  
ونفوذ مقامي الرفيع لديك. انا مستعد لان اجود بالدم القليل المتبقي في  
عروفي كي أنفذ هذه البرية، ولن أدخر وسعا في هذا السيل.  
ليونتي : ان ما اطلبه منك ممكن جدا. فاقسم لي بهذا السيف، انك ستنفذ  
رغيتي.

انتيغون : اقسم لك، يا مولاي.

ليونتي : اسمع واطع. لان اصغر هفوة او اهمال سيجر الموت ليس فقط  
عليك بل ايضا على زوجتك الوقحة التي أسامحها هذه المرة. انا اكرمك  
نظرا الي ما ابديته نحوي دائما من الولاء والاخلاص، وأطلب منك ان تأخذ  
هذه اللقطة وتنقلها الي أي شاطئ بعيد خارج مملكتي، وأن تتركها هناك  
بدون شفقة، تحت رحمة الانواء. فكما جاءتني في ظروف غامضة، أريد  
حتما تحت طائلة الاتقصاء منك في حال مخالفتك اوامري، ان تتركها  
في مكان مجهول حيث يحكم نصيها عليها بالحياة او بالموت. المهم ان  
تأخذوها من امامي.

انتيغون : أقسم لك بأن أنفذ ارادتك، مع ان هلاكها حالا هو الحل الارحم.  
تعالى ايها الطفلة المسكينة. أتوسل الي الارواح الخيرة ان ترسل لك الصقور

والغربان لإرضاعك وتربتك. يقال ان الذئاب والديبة، رغم شرستها تحن وتعطف أحياناً. أرجوك، يا مولاي، أن ترقّ لحال هذه الطفلة التي لا تستحق منك هذا الظلم. وأنت، فلتحرسك بركة السماء وتحميك من كل سوء ووحشية، ابتها البريئة المحكوم عليك بالموت  
(يخرج وهو يحمل الطفلة).

ليونتي : كلا، لن اربي طفلة غيري.  
الحاجب الثاني : العفو يا صاحب السمو. هناك رسولان آتيان بأبناء استشارة الآلهة، وصلا منذ ساعة، وهما كليومان وديون القادمان من « دلف » وقد غادرا السفينة وأسرعوا الى البلاط.  
الوجه الاول : ان استعجالهما، يا مولاي، قد تعدّى ما كنا نترقبه منهما.  
ليونتي : لقد مضى على غيابهما ثلاثة وعشرون يوماً وهذه سرعة نادرة حقاً.  
يقال ان الإله الاعظم أبولون شاء ان تبرز الحقيقة بسرعة فائقة. فاستعدّ، يا مولاي، واستدع المجلس لتعرض عليه قضية زوجتك المذنبه. ولأن اتهامها كان علينا يجب ان تتم محاكمتها كذلك بصورة علنية وعادلة. فما دامت على قيد الحياة، سيظل كابوس ثقيل جائئاً على صدري. اتركوني الان وحدي، ونفذوا اوامري بكل دقة.

(يخرج الجميع)

## الفصل الثالث

### المشهد الاول

على الطريق — امام نزل الغرباء

(بصل كيلومان وديون)

كيلومان : الطقس جميل والهواء عليل والجزيرة خصبة والمعبد رائع رغم كل ما يصفونه به من نعوت هزيلة.

ديون : ان ما لفت نظري بنوع خاص تلك الملابس الفخمة التي لا يسعني ان أصفها بغير ما ذكرت، وكذلك جو الوقار والرهبة المخيم عليه. أما الذبيحة فكانت جليلة للغاية تفوق مراسها، عند التقدمة، طاقة معظم البشر.

كيلومان : والاروع كان دويّ الرعد والصوت الجهوري الذي اعلن المشورة كأنه صاعقة ألقى بها الإله المشتري، فثلّت جميع حواسي، وكدت اهلك فرعا.

ديون : ان افضى سفرك الى انقاذ حياة الملكة، والى ما فيه الخير لنا ايضا، كما تشاء السماء على ما يبدو لي، فلن نكون أضعنا وقتنا سدى.

كيلومان : نسأل الإله أبولون تدبير الامور على احسن ما يرام. ان اتهام هرميون بهذه الطريقة العلنية لا يعجبني كثيرا.

ديون : وهذا العنف قد عجلّ النهاية سواء كانت يمنا او شؤما. اما المشورة

كما ارتآها الكاهن الاكبر ابولون فقد فضحت السر بما اوحت به من حكم لا أعدل منه. هنا استبدل الجياد، وتعال نتابع طريقنا آمليين ان تكون الخاتمة خيرا.

## المشهد الثاني في صقلية — يوم المحاكمة

(ليونتي والوجهاء وهيئة المحكمة جالسون في امكتهم الخاصة)

ليونتي : اعلن بكل اسف ان هذه المحاكمة طعنة نجلاء في صميم قوادبي. فالمتهمة ابنة ملك، وهي زوجتي الحبيبة. فلا يلومني احد ويصف تصرفي بالطغيان، بما ان المحاكمة تتم علنا فالعدل سيأخذ مجراه حتى اصدار الحكم بالعقاب او بالبراءة. اجلبوا المتهمة.

احد القضاة : شاء سموه ان تمثل الملكة شخصا امام محكمتكم الموقرة. فأرجو السكوت والاصغاء.

(تدخل هرميون يحيط بها الحرس، وترافقها بولين ونساؤها)

ليونتي : ليتلى نص الاتهام.

كاتب الوقائع (يقرأ) : هرميون زوجة صاحب الجلالة ليونتي ملك صقلية المعظم، المائلة ها هنا متهمة بالخيانة العظمى، بارتكابها جناية الزنى مع بولكسان ملك بوهيميا، ومتآمرة مع كميليو على قتل زوجها ومولاك الملك. وقد كشفت بعض الظروف والملابسات خطتك الدنيئة، يا هرميون، خلافا لما يجب عليك ان تبديه من حب ووفاء كاحدى رعايا الملك المبجل الذي يتحنم عليك ان تدينى له بالولاء والاخلاص عوضا عن تسهيل مهمة المتآمرين عليه ومساعدتهم على الهرب ليلا.

هرميون : بما ان ليس لدي ما أرد به سوى نفي التهمة عني، وبما ان الشاهد الوحيد على براءتي هو الطفلة التي انجبتها من صلب الملك، فلا داعي لان أؤكد لكم اني غير مذنب. ولأن أمانتي انتقلت في نظركم الى خيانة فانكم تعتبرون تصريحى هذا كاذبا. كل ما اعرفه هو ان كميليو رجل شريف. لكن لماذا غادر البلاط، هذا ما تجهله الآلهة ذاتها لانها لا تعلم اكثر مما اعلمه انا.

ليونتي : انت كنت عارفة برحيله كما كنت عالمة بما كان عليك ان تفعله اثناء غيابه.

هرميون : انك تتكلم لغة لا افهمها، يا مولاي، ولأن حياتي تحت رحمة تخيلاتك، انا اترك امرى للأقدار.

ليونتي : اعمالك هي التي تدينك. ولذا اطلب الاقتصاد منك لانك انجبت لقيطة من صلب بولكسان. وهكذا فقدت كل حياء كأية زانية في مثل حالك، وتكررت لكل اعتبار، فأصبح انكارك شاهدا عليك يثبت جرمك. ألا اعلمى ان طفلتك قد ألقيت خارجا لتحكم بمصيرها الاقدار، ما دام لا اب لها يتعرف عليها ويحميها، ومسؤولة حفظها المشؤوم انت تحمليها اكثر منه. فترقى حكم العدالة الصارم الذي لن يكون سوى موتك.

هرميون : خفف تهديداتك، يا مولاي. ان العدالة التي تقصد ان تفزعنى بها، انا ابحث عنها. لان الحياة لن ترأف بى بعد الآن ما دام هذا موقفك تجاهى. وهكذا اعتبر التاج والفرح والحياة والامتيازات جميعها باطلة، ولست آسفة على ضياعها من يدي. ان ابني البكر، هو ثاني تعزية أحرّم منها في الحياة، كأنى مصابة بداء البرص. اما التعزية الثالثة التي جاد بها على حظي العاثر، فهي ابنتى البريئة التي أروضتها من ثديى ولم يجف حليبي بعد على شفيتها الطاهرتين حتى ارسلتها الى الموت الرؤم. ولقد شهّرت بى في كل مكان كعاهرة حقيرة لان حقدك الجبان حرمنى مما يحق لى كوالدة مميزة نظير اية سيدة في مستواى، وها انا مطروحة في هذا المكان، معرضة لجميع الرياح الهوجاء التي تذهب بالبقية الباقية من قواى. والان قل لى، يا مولاي، ما هي السعادة التي اخشى فقدها في هذه الدنيا وتحملنى على الخوف

من الموت؟ واصل ظلمك إذا. انما اصغر الى ما اقله لك: لا تحاكمني. فأنا لست متشبثة بالحياة التي لم تعد تساوي عندي شروى نكير. أما نظرتي فأريد ان ابرها. ان حكم عليّ استنادا الى شكوك لا برهان يدعمها سوى حسدك وغيرتك، فأنا اعتبر ان عدالتك ليست الا ظلم واستبداد (لهيئة المحكمة) لتسمعي هيتكم الكريمة، يا سادة، اني خاضعة لتوجيه المشورة، وليكن ابولون ديّاني العادل.

الوجه الاول (لهرميون) : انت محقة تماما في طلبك. ولذا، باسم ابولون نستمع الى فحوى الاستشارة (يخرج بعض أركان المحكمة).  
هرميون : كان والدي امبراطور روسيا. ليته الان حي ليشهد محاكمتي انا ابنته. ليته ينظر الى هول بؤسي وشقائي بعين الشفقة و الرأفة لا بعين البغض والانتقام.

(بعد اركان المحكمة، يتجهم كليمان وديون)  
موظف (في يده ورقة) : ستقسمان على سيف العدل هذا، بأنكما، انت كيلومان، وأنت ديون، ذهبتما الى « دلف » ومنها عدتما بهذه الاستشارة المختومة، كما استلمتماها من يد الكاهن الاكبر ابولون، وانكما منذ ذلك الحين لم تجسرا على فض الختم المقدس، وقراءة السر الذي يحتوي عليه.  
كيلومان وديون : نقسم على صحة ذلك.  
ليونتي : فضوا الآن الختم واقرأوا.

الموظف (يقرأ) : ان هرميون عفيفة وبولكسان لا لوم عليه، وكميليرو من الرعايا الامناء، اما ليونتي فطاغية حסود غيور، وابنته البريئة شرعية، والملك سيجيا بدون وريث اذا لم يوجد ولي عهد المفقود.  
الوجهاء : تبارك الكاهن الاكبر.  
هرميون : المجد لحكمته التزيهة.

ليونتي (للموظف) : هل حقا قرأت ما هو مكتوب؟  
الموظف : أجل، يا مولاي، حرفياً كل ما جاء في المستند.  
ليونتي : لا صحة اذاً لما قرأت في هذه الاستشارة. فجلسة المحكمة ستعقد لان كل ما تلفظت به خطأ فاضح محض.

(يدخل احد رجال الملك بانذفاع)

الرجل : مولاي الملك!

ليونتي : ماذا جرى؟

الرجل : مولاي، ستلعتني لاعلاني لك ما يلي: ان نجلك الامير، لمجرد الوقوف على قصدك، في المحاكمة، ولمجرد خوفه على مصير الملكة والدته، قد غاب.

ليونتي : كيف غاب؟

الرجل : لاقى حتفه.

ليونتي : ابولون غاضب، والسماة ذاتها عاقبتني على ظلمي. ( تقع هرميون

مغنيا عليها) وهذه، ماذا حل بها؟

بولني : ألا ترى ان هذا النبا قاتل بالنسبة الى الملكة؟ (ليونتي) اخفض نظرك، وعاین ما فعل الموت.

ليونتي : خذوها من هنا. ان قلبها يكاد يتوقف اختناقا. لكنها لن تعتم ان

تعود الى وعيها. فانا لا أصدق ما تخلفه من خدعات (لنساء الملكة)

استحلفكن بكل عزيز ان تبذلن لها كل عناية ورعاية لرد الحياة اليها. (تحمل

بولين والنساء هرميون) سامحتني، يا ابولون، على انتهاكي حرمة مشيتك.

سأصالح بولكسان، وسأهب مليكتي حبا جديدا، سأستدعي كميليو الكريم

الذي أعلن هنا انه رجل ثقة ووفاء ورحمة. اذ يجب ان تعلموا اني انجرفت

وراء جورري وغيرتي ورغيتي في هدر الدم انتقاما. لقد اخترت كميليو وزيرا

وكلفته بتسليم صديقي بولكسان، وكاد الأمر يتم لو لم يتأخر كميليو بسبب

كبر نفسه وسمو اخلاقه في تنفيذ مشيتي الدنيئة العنيفة. فباطلا حاولت

تهديده بالموت وترغيبه بالعود ان إمتثل لإرادتي، او خالفها. فهو بروح

انسانيته ونزاهة ضميره الحي كشف لضيبي الملك سر مؤامرتي مستغنيا عن

كل ما له هنا، كما تعلمون، من عز ومكانة عالية، وعرض نفسه للمذلة

والهلاك، يشجعه على ذلك نبه واستقامته. فكم سمت فضيلته على حقارة

معصيتي، وكم سوّدت شفقتة ومروءته صفحة سفالتي وتصرفي المشين.

(تدخل بولين بانذفاع)

بولين : لتحل اللعنة على الظالم الخسيس. فكروا وثاقى او يقطع قلبى الخفاق.  
الوجه الاول : ما هذه الباردة، يا سيدتي؟

بولين (لليوتني) : ما هذا العذاب المهوس الذي أعدده لي عن سابق تصميم ايها الظالم؟ ما هذه المنصة، ما هذه المشنقة، ما هذا الأتون، ما هذا الخلقين؟ اين الرصاص المصهور، اين الزيت المغلي؟ ما هذا العذاب القديم او الجديد الذي عليّ ان أقاسيه لاجل كلمات كل واحدة منها تمتحق انزال اقسى عقوباتك؟ ان طغيانك امير حسدك وغيرتك، وأهوائك صيبانية حتى في نظر الاولاد، وسخيفة حتى في نظر بنات الاعوام التسعة. ألا فكر بما فعلته، ثم اقد عقلك لان كل الحزازات الماضية هي جرائم النعمة الحاضرة. وخيانتك لبلوكسان لا تعد فظاعة بجانب تقلباتك الغبية وعقوقك الذميم. لم يكن بالامر المعقول ان تحرض كميليو على قتل ملك، لان هذا يعتبر تفاهة بالنسبة الى انحطاطك الشنيع، ولا بالحدث المقبول ان ترمي بابنتك الطفلة الى الغراب، مع ان هذا العمل المخزي يعدّه الشيطان ذاته فظيما وهو الذي يستخرج الدموع من بين اللهيب. انا لا أدينك على قتل الامير مباشرة. اذ ان فكرة الشرف أرفع من ان يدركها ذهن ولد صغير قليل الخبرة، لم يسمعه ان يقبل فكرة اب شرس احمق يدين امه ويحكم عليها بالموت. لا ليست هذه الجريمة الاولى التي اعتبرك مسؤولا عنها ولا الاخيرة التي تعلنها يا مولاي، وأنت تصرخ : الويل للملكة، اروع ملكة وأفضل مخلوقة كريمة، قتلها نعمتك الحاقدة التي لم تسقط بعد من علاها.

الوجه الاول : ألا حمتنا القوات السماوية من الغدر والظغيان.

بولين : اعلن انها ماتت، وأنا مستعدة لان أقسم على صحة ما تقول. واذا لم يقنعكم حلفاني وتأكيدي، اذهبوا وعابنوا. فان تمكنتم من اعادة اللون الى شفيتها والبريق الى عينيها والحرارة الى جثمانها والنفس الى رواياها، سأخدمكم كما اخدم الآلهة. اما انت ايها الطاغية المستبد، فإياك ان تندم على ما فات، لان ذكر الماضي ثقيل كالكابوس على صدرك، وعذاب ضميرك سيقتض مضجعك. استسلم بدون تردد الى يأسك القاتل. وعندما تجثو على ركبتك الى الابد، عاريا صائما على رأس جبل موحش في شتاء قارس

البرد تعصف في لياليه الرياح الهوجاء لن يتسنى لك استعطاف الآلهة لترأف بك وتشلك من برائن العذاب والهلاك المحتم.

ليوتني : هيا، لن تفي موضوع التنديد بي حقه، لاني أستحق كل ما تلفظه الافواه عني من بذية الكلام.

الوجه الاول (لبولين) : لا تصرحي بأكثر من هذا. مهما حدث، انت مخطئة بما تفوهت به من كلمات جريئة قاسية.

بولين : انا مستاءة، وقد ندمت على جميع ما ارتكبهت من اخطاء، حالما انتبهت اليها. يا للأسف، لقد اظهرت كثيرا من الحماس بصفتي امرأة (تشير الى ليوتني) بعد ان رزىء في أعز عواطف قلبه النبيل. الامر الذي انقضى ولم يعد في الامكان التعويض عنه. يجب ان لا نرذله ولا نندم عليه. فلا تتألم بسبب تهجمي عليك. أتوسل اليك ان تعاقني بالحري على تذكرك بما كان عليك ان تنساه. فاغفر، يا مولاي السموح، لمهوسة مثلي. لان المحبة التي أكنها للمملكة تتعدى كل الحدود. فانا لا ازال مهوسة، اذ يجمل بي أن لا أهدئك بعد الآن عن زوجتك أو عن ولدك، ولا أذكرك كذلك بزوجي النبيل المفقود هو ايضا. فاعتصم بكل ما لديك من صبر وكن واثقا بأنني لن أنطق بحرف واحد بعد الان.

ليوتني : لقد تكلمت انت بما يجب عندما كشفت لي الحقيقة. وأنا أتقبل صراحتك برحابة صدر اكثر من تزلفك. ارجوك ان تقودني الى جثتي زوجتي وابني اللذين أود ان أدفنهما في ضريح واحد أنقش على بلاطه سب موتهما الذي يصم جيني بالعار الى الابد. وسأزور قبرهما مرة كل يوم، والدموع التي ازرفها ستكون اكبر تعزية لي في حزني وأساي. اقسم لك بأنني سأؤدي هذا الواجب المفروض علي كلما سمحت لي به ظروفي. فأرجوك ان تقوديني الى منقع عذابي هذا الاليم.

## المشهد الثالث

في بوهيميا - في منطقة جرداء قرب البحر

(بصل اثنيون حاملا طفلة وبصحته بخار)

اثنيون : هكذا انت واثق بأن السفينة اقتربت من جرود بوهيميا.  
البحار : أجل، يا مولاي، وأخشى ان نكون نزلنا الى البر في وقت غير ملائم. الجو يبدو مليدا بالنيوم وينذر بهبوب عاصفة قريبة. ثم ان نفسي وضميري، وكذلك الآلهة، جميعها تتور على ما ننوي اقترافه من اثم، ولذلك نراها متجهمة رهية العبوس.

اثنيون : فلتنم ميثية الآلهة المقدسة. عد الى السفينة، واسهر على ما يجري على متنها، وأنا لن أتأخر في اللحاق بك.  
البحار : عجل ما استطعت، ولا تتوغل بعيدا في ذلك الجوار. اذ من المرجح ان نواجه أنواء مزعجة، ولا ننس ان المكان يعج بالوحوش الضارية.  
اثنيون : اذهب وأنا أتبعك حالا.  
البحار : اراني مسرورا لاني تخلصت من المشكلة.

(يخرج)

اثنيون : تعالي ابتها الطفلة البريئة. لقد سمعت بدون ان أصدق، ان ارواح الموتى تستطيع العودة الى عالمنا، فان صح ذلك، فقد تراءت لي امك الليلة الماضية، وحلمي لم يكن يوما أشبه بالحقيقة منه الآن. ولقد تقدمت نحوى ذليلة مطأطأة الرأس، تميل تارة الى هذه الجهة، وطورا الى الجهة الاخرى، ولم اشاهدها ابدا قبل ذلك محطمة القلب تنجسد فيها الرقة والنعومة، وهي ترتدي ثوبا ابيض كالقديسين، ودنت من الحجرة التي كنت أرقد فيها، فانحنت ثلاث مرات امامي، وكأنها فتحت فاهها لتتطق، انهمرت من عينيها الدموع ثم هدأ روعها، وما عمت ان تفوهت بهذه الكلمات: « يا اثنيون الكريم، بما ان القدر بالرغم من حسن نيتك، قد كلفك بموجب قسمك، بأن تفني

طفلي، وبما ان في بوهيميا أصقاعا بعيدة، أسألك ان تذهب وأنت تبكي وتركها هناك تصرخ وتستنجد، وبما ان الطفلة معرضة للهلاك، ارجوك ان تدعوها برديتا، وللتكفير عن مهمتك هذه غير الانسانية التي فرضها عليك مولاي، لن ترى ابدا زوجتك بولين. ثم توارت في الفضاء والدموع تملأ محجريها. خفت في بادىء الامر، ثم عدت الى وعيي وخلت هذه الرؤيا حقيقة لا خيالا. ومع اني اعتبر الاحلام أمورا صيانية، أجدني متشائما هذه المرة وأود ان أستلهم تفاصيل ما شاهدت. أعتقد بأن هرميون لاقت حتفها، وان ابولون يرغب في ان تكون هذه الطفلة، وهي حقا ابنة الملك بولكسان، وديعة هناك، فيكون نصيها ان تحيا او تموت على ارض والدها الحقيقي. (يضع الطفلة على الارض، ثم يضع الى جانبها رزمة وكيسا مملوءا ذهب). أمل ان تحيي هنا، ايتها الزهرة النضرة. استريح في هذا المكان الموحش، وهذه علامة للتعرف عليك، وهذا ايضا بعض المال. فليحالفك الحظ. ان هذا الذهب ضمانا كافية لتريتك، ايتها الطفلة الجميلة، بل يفيض عن الحاجة. (تبرق السماء وترعد). ها هي العاصفة قد هبت. يا لك من صغيرة مسكينة، تعرضين الى الاهمال والخطر بسبب جريمة اتهمت بها أمك. انا لا يسمني ان ابكي، انما قلبي يتفطر حزنا عليك، وأنا أستحق اللعنة، ما دام قسمي يجبرني على التصرف بمثل هذه الصرامة. الوداع. ها هي جحافل الليل تزحف، وضجيج الأنواء يهددك بقسوة لتنامي من شدة الاعياء. لم أبصر السماء في حياتي هكذا دكاء (يُسمع زئير) ما هذا الصوت الوحشي؟ ارجو ان اصل الى السفينة سالما. فها هي مطاردتي قد بدأت، وأنا لا محالة هالك. (يهرب امام دب يلاحقه).

(وصل رابع عجوز)

الراعي : كم أود ان لا يمر العمر مسرعا بين السنة العاشرة والثالثة والعشرين، او ان لا يكون الشباب في هذه المرحلة سوى رقاد طويل الامل، اذ في هذه الحقبة لا يجيد عملا مثل إخصاب الفتيات، واهانة المتقدمين في السن والاختلاس والمشاحنة بلا رؤية. (يسمع زئير بعيد ودوي رعد). هل تسمع هذا؟ ألا قل لي، بربك، ان كان غير دماغ طائش بين التاسعة عشر والثانية

والعشرين من العمر، يصطاد في مثل هذا الطقس الرديء. لقد سبب هذا المستهتر هرب اثنين من افضل خرافي، وأخشى ان يلتقيا بالذئب بدلا من راعيها. ان قدر لي ان اجدهما في مكان ما فعلى شاطئ البحر وهما يرعيان العشب. ارجو من حسن طالعي ان يستجيب دعائي. ما هذا؟ (يلمّ الطفلة) رحماك ايها السماء، هذا رضيع جميل الطلعة. هل هو صبي ام بنت؟ لأتحصيه. هي طفلة رائعة. لا شك في ان احد قساة القلوب قد رماها هنا. اذ مهما كنت جاهلا، انا على يقين بأن وصيفة اسرة عريقة قد رمتها وهربت، وانها حصيلة مجنون مفاجيء على درج او في حجرة صغيرة او زاوية منفردة، وان من اشترك في هذا الطيش كان ينعم بالدفاء اكثر من هذه الطفلة المنبوذة الملقاة في هذا المكان الموحش. انا اشفق عليها وأود الاحتفاظ بها. على كل حال، سأنتظر وصول ابني الذي أسمع صوت ندائه تعال اليّ، انا هنا.

(يدخل مهرج)

المهرج : هلالا، هلالو.

الراعي : هل كنت هكذا قريبا من هنا ؟ يُخيّل اليّ انك تريد أن تروي لي حادثة طريفة قبل أن تحين وفاتي وتبلى عظامي، فاقرب اذاً مني. ماذا دهاك، يا بنيّ الشجاع ؟

المهرج : لقد عانيت مشهدين مؤثرين للغاية: الواحد على الارض والآخر في البحر. انما لا يسعني ان ادعو هذا بحرا، اذ ليس هناك سوى الماء والسماء، وبين الفلك والبحر لا يمكن ان يكون المدى اوسع من خرم الابرة.

الراعي : هيا يا بنيّ، قل لي ماذا رأيت؟

المهرج : كنت أود ان ترى بأمر عينك وتسمع بأذنك دويّ العاصفة، كيف تجار وكيف ترتطم بالشاطئ. ولكن ليس هذا كل ما أعنيه، يا لها من صرخات أليمة صادرة عن نفوس مسكينة معذّبة، كنت تارة أبصرها، وطورا لا ابصرها حتى خيّل اليّ في لحظة من اللحظات ان السفينة تكاد تخترق سطح القمر بعالي صاريتها، وبعد هنيهة كان هذا القمر قد ابتلعه امواج البحر المزبدة فبدا كأنه سداة قينة ملقاة في برميل ضخّم. لنتنقل الآن

الى ما جرى على الارض. ليترك رأيت كيف كان الدب ينهش لحم كتف ضحيته، وكيف كان المغدور يستجد بي، ويهتف انه يدعى انتيفون وانه مولى خطير. لكن لكي أتخلص من السفينة كان عليّ ان أعين كيف صدمها موج البحر الهائج، ثم كيف كان اصحاب النفوس المضعفة يزغقون وكيف كان البحر يهزأ بهم. وكيف كان الوجيه المسكين يزأر، وكيف كان الدب يتهكم عليه، وكلاهما يزمجران بصوت اعلى من هدير البحر ومن دوي العاصفة.

الراعي : رحماك، اينها السماء! متى شاهدت كل هذا، يا ولدي؟  
المهرج : في هذه اللحظة، في هذه اللحظة بالذات. لم تغمض لي عين منذ ان عاينت ذلك. فالرجال لم تبرد جثثهم بعد تحت الماء، والدب لم يفترس نصف الوجيه بعد، فهو لا يزال ينهش لحمه.

الراعي : كم وددت ان اكون حاضرا لأسعف هذا العجوز!  
المهرج : انا أسف، لانك لم تكن قريبا من السفينة لتنجده. أعتقد بأن قواك، بالرغم من شفقتك وعزيمتك، كانت انهارت هولا، لا محالة.

الراعي : ما أتمس هذا الحال. لكن انظر الى هنا، يا بني، وقرّ عينا. لقد صادفت انت منازلين يغالبون سكرات المنون، وأنا لقيت طفلة في الاقماط، لا حول لها ولا حيلة. هذا مشهد يهّمك كثيراً. أنظر الى هذه الأقمطة التي تليق بأمير. انظر، انظر (يريه كيس الذهب) النقطة، النقطة، يا ولدي وافتحه. أرني ما فيه. لقد قيل لي منذ مدة ان الجن سيجودون عليّ بثروة طائلة فأصبح غنيا. وها هي هذه الثروة تهبط علي مع هذه الطفلة المنتزعة من مهدها. افتح. ماذا ترى، يا بني؟

المهرج (يخرج قبضة من القطع الذهبية) : لقد اصبحت في الواقع غنيا، يا صاح. ان غفرت لك خطايا شبابك، ستعيش حتما في بحبوحة ورخاء بفضل هذا الكيس المحشو ذهباً.

الراعي : هذا ذهب سحري، يا ولدي. خذه واربط الكيس جيداً. وهلما نرجع الى بيتنا من أقصر الطرق. حفظنا خارق، يا ابني، ولكي نحافظ على

سعادتنا يجب علينا أن نصون لساننا. دع خرافي تذهب، وهيا بنا يا ولدي  
الى بيتنا من أقصر الطرق.

المهرج : من أقصر الطرق، ومعك لقيتُك انا ذاهب لأرى ان كان الدب  
قد ترك شيئاً من الوجيه، وكم أكل منه. فان الدببة لا تهاجم الا عندما  
تكون جائعة. فان وجدت هناك بقايا من عظامه، دفنتها.

الراعي : هذا عمل صالح، تُشكر عليه. وإن أمكنتك أن تعرف من أشلائه  
من هو، تعال اخبرني كي ازوره.

المهرج : والله، بالصواب نطقت، وستساعدني على دفنه في الارض.

الراعي : هذا يوم سعيد، يا ولدي، فلنرتع بما اغدقه علينا من نعم جزيلة.

(بخرجان).

## الفصل الرابع

### المشهد الاول

(بدخل الزمان متسللاً في جوقة مرنين)

الزمان : انا الذي ارضي البعض، وأدوِّخ جميع الناس، انا الذي أفرح الاخيار وأروِّع الاشرار، أنا الذي أسبب الأخطاء وأكشفها، أتعهد بصفة كوني الزمان أن أبسط جناحي في الفضاء الرحيب وأنخطى ستة عشر عاما. واذا تركت هذه الفترة الطويلة الانتقالية بدون استثمار، فان باستطاعتي ان اقلب الشرائع، وفي ساعة مباحة، ان ارسخ او أقتلع اية عادة من العادات التقليدية. دعني أمر كما كنت قبل ان أنظّم الطريقة القديمة او الحديثة التي عالجتها اليوم. كنت شاهد العصور التي ولدتها كما سأكون شاهد الوسائل الجديدة في المصائر التي تسيطر عليها. وسأجعل بريق الحاضر يخبرو اذ أخلع عليه عمر روايتي القديمة. أستاذك، وأقلب مرملي، وأعجل في مسيرة الأحداث، وكأنك تستيقظ من رقاد طويل. لقد اقلع ليونتي عن الانقياد الى حسده الجنوني وغيرته العمياء. واذا عصر الالم قلبه لجأ الى العزلة والانزواء. تصور، ايها المشاهد الكريم، انني الان موجود في بوهيميا الجميلة، ولا تنس اني

ذكرت لك اسم ابن ملك تلك البلاد، وهو المدعو فلوريزال. أتسمعي؟ سأكلّمك بنفس الحماس عن برديتا التي نمت في احضان العز والرفعة والمجد. يا ترى، ماذا يكون مصيرها؟ لا اريد ان أستبق الاوان وأنبئك عنه، بل اترك الوقائع الجديدة تبرزه لك في حينه. لان نصيب ابنة الراعي وما سيجري لها من مغامرات هو موضوع الساعة الحاضرة. جد عليّ بصبرك، ان لم تفاجئك الظروف بما هو اسوأ. وإلا فالزمان ذاته يكشف لك بصدق واخلاص كيف يتسنى لك ان لا تستخدم تقلباته بطريقة مشؤومة.

(يخرج)

## المشهد الثاني

### في بوهيميا - في القصر الملكي

(يدخل بولكسان وكميليو)

بولكسان : أرجوك، يا كميليو الكريم، أن لا تضايقني أكثر مما فعلت. يؤلمني جدا ان ارفض طلبك، لان في تلبيته موتي الاكيد.  
كميليو : لم ازر بلادي منذ خمسة عشر عاما. وقد عشت معظم ايام حياتي في الغربة حيث لا أود ان تدفن عظامي. من جهة اخرى، مولاي الملك الثائب، قد ارسل في طلبي، لاني قادر على مواساته في شدته، كما أمل، وأعتقد بأن ذلك يحممني على الرجوع الى مسقط رأسي.  
بولكسان : ان كنت تحبني فعلا يا كميليو، لا تضئع جميع ما قدمته لي من خدمات سابقة، وتتركني الان في محتتي. ان حاجتي ماسة اليك انت الذي نهيتني اليها. وكم كان أهون عليّ ان لا اعرفك من ان اقدك بشل هذه السهولة. وبما اني باشرت في أمور لا سبيل لاحد ان يراها نظيرك،

عليك ان تبقى الى جانبي لكي تدبرها بنفسك، ان لم تشأ ان تهدم بذهابك كل ما بنيته لخيري بما اسديته الي من خدمات جلية. وبما اني لم احسب لغيابك اي حساب، اراني الان غير قادر على الاستثناء عنك. لست ادري كيف اشكرك على معروفك. فحرصي من الان وصاعدا على الاحتفاظ بمودتك وعونك سيكون صعبا. اما هذه الجزيرة المشؤومة صقلية، فأرجوك ان لا تأتي امامي على ذكرها بعد اليوم. فإن صدري ينقبض لمجرد سماع اسمها، الذي يذكرني بأخي الملك الثائب كما يدعوه. لأن فقدته زوجته الملكة الراحلة وولديه هو منتهى شقائه المتجدد باستمرار. قل لي متى شاهدت ابني الامير فلوريزال؟ كم يتعنى الملوك الاشقياء أمثالي الذين يفقدون اولادهم ان يحتفظوا بهم احياء، حتى ان كانوا معاقين متخلفين، عندما يكونون واثقين من فضيلتهم.

كميليو : منذ ثلاثة ايام، لم ابصر الامير، يا مولاي. فماذا يشغله عنا يا ترى؟ هذا ما لا علم لي به غير اني لاحظت، يا للأسف، انه متغيب عن البلاط منذ بضعة ايام، وانه لا يواظب كالمعتاد على ممارساته الاميرية. بولكسان : لقد خطرت ببالي نفس هذه الافكار، يا كميليو، وهذا ما يقلقني، الى حد اني بثت العيون لمراقبته في عزله. وهكذا علمت بأنه يتردد بصورة مستديمة على راع وضيع، كان في الماضي، كما قيل لي، رجلا معدما لا يساعده احد، والآن لا يدري حتى جيرانه كف توصل الى اقتناء ثروة طائلة غامضة المصدر.

كميليو : لقد سمعت الناس يتحدثون عن هذا الرجل، يا مولاي. وقيل لي ان له ابنة قلّ ان تمتع بنات جنسها بمثل جمالها الرائع وفضائلها الممتازة، وقد ذاع صيتها بشكل غريب عجيب لا يصدق بعد ان عمت شهرتها الارحاء منطلقا من كوخها الحقيقير.

بولكسان : هذا ما تبغني به معلوماتي ايضا. غير اني اخشى ان تشوّق هذه الصيادة ولدي وان تجتذبه الى العوض على طعم صنارتها في خاتمة المطاف. سترافقتي في الذهاب الى ذلك المكان. لاني أفضل ان اطرح على الراعي بعض الاسئلة بدون ان يعرف من انا. ولا اخال صعبا ان أستخلص من

ساطته سر مواظبة ابني على التودّد اليه. ارجوك ان تساعدني في هذه المهمة  
أن تدع جانبا تفكيرك في صقلية.  
كميليو : سمعا وطاعة، يا مولاي الكريم.  
ولكمان : حلّت عليك البركة، يا كميليو الامين. هيا نتكّر.  
(مخرجان).

### المشهد الثالث في بوهيميا - عبر الحقول

(يدخل اوتوليكوس)

توليكوس (يتشد): عندما الترجس يزهر  
وأكثاف الوادي تتعطر  
يهبط الوحي على المتعب  
فوق وشاح الثلج المتجلد.  
وفي ربي الورد والياسمين  
يفرد العصفور للرياحين  
ناشرا بهجة العيش الرغيد  
في الناس كأيام العيد السعيد  
ها هي القبرة والبنفسجة  
وطائر الباز والموسجة  
تنسجم كلها لتنعم بالهناء  
كأنها تهزج من بعد العناء

لقد خدمت الأمير فلوريزال، وفي ايام العز ارتديت الحرير المقصب.  
لكني الان بعيد عن هذا الامتياز المشرف.

غير أنني لن احزن يا عزيزتي  
اذا ما البدر غاب عن ليلتي  
كي أتيه في مغامرة جريئة  
ثم أرتدّ عن غلظتي البذيئة  
واذا ما انسدّ في وجهي السبيل  
وتعثر سيرتي في الدرب الطويل  
فنور الحق يهديني ويعيدني  
الى حيث يرتاح قلبي ويسعدني.

انا أتاخر بمختلف السلع، بينما الطيور تبني أعشاشها والقطن ترتفع اسعاره.  
ابي دعاني اوتوليكوس لاني ولدت في حمى زحل، فكان نصيبي ان اتعاطى  
اختلاس ما صغر حجمه من الاصناف. فالابر والخيوط في أيدي البنات  
الشيطات قد حاكت لي هذه الحلة لأزّين بها حصاني، وأتباهى بها عندما  
أمارس مهنتي بمهارة اللصوص. اما المشانق التي تؤدّي اليها السرقات الكبيرة  
بعد الجلد بالسياط، فالاختناق بحبالها يرعني ويطير له صوابي، ويهيب بي  
للرجوع عن غيبي وسلوك الطريق القويم، مع العلم بأنّي لا أبالي بمستقبل  
حياتي. ( يرى المهرج ) ها هوذا صيد سمين.

( يدخل المهرج )

المهرج : لندرس المسألة. احد عشر خروفاً تعطي خمسة وعشرين أقة من  
الصوف. وخمس وعشرون أقة من الصوف تساوي ليرة استرلينية وثلثا واحدا  
تقريبا. فكم ثمن الف وخمسةة جزءة من الصوف؟

اوتوليكوس (على حدة) : اذا اطبق الفخ فكّيه، سيكون الحجل من نصيبي.  
المهرج : انا لا يسعني ان احسب هذا بدون ورقة (يسحب من جيبه ورقة)  
ماذا عليّ ان اشتر لعيد جزاتنا؟ ثلاث أقات من السكر وخمس أقات من  
الكرابوية والارزّ. فاماذا تفعل اختي بالارزّ؟ هذا لا يهمني لأن ابي هو الذي

أوكّل اليها اعداد حفلة العيد، وقد سجلت جميع ما يلزم. ها قد صنعت  
خمساً وعشرين ضمة للجزّارين، وكلهم يترنمون بثلاث طبقات من الاصوات،  
وجميعهم يجيدون الانشاد. لكن اغلب اصواتهم من الطبقة الوسطى والضحمة.  
وبينهم مترنّمت يرافق انشاده بمزمار القرية. لا بد لي من إحضار الزعفران  
لتلوين قرص حلوى الاجاص. ان حب الهال والبلح لا حاجة اليهما. لانهما  
غير مسجلين، بل يلزمني سبع حبات من جوز الطيب وجذر او اثنين من  
الزنجبيل، وهذا يمكنني الحصول عليه. ثم اربع أقات من الخوخ المجفف  
ومثلها من الزبيب.

**اوتوليكوس (يزحف على الارض):** آه! لماذا اتيت انا الى هذا العالم؟  
**المهرج (يندفع نحوه):** باسم السماء، لا تتذمر.

**اوتوليكوس:** النجدة، النجدة! خلصوني من هذه الاسمال البالية، وإلا متّ.  
**المهرج:** وأسفاه! ايها المسكين، عوضاً عن تخليصك من هذه الاسماك،  
اراك بحاجة الى استبدالها بغيرها تغطيك وتستر جسمك.

**اوتوليكوس:** يا سيدي، ان التقزز الذي تثيره فيّ هذه الاسمال يؤلمني اكثر  
من سيور الجلد التي نزلت على ظهري بقساوة وبأعداد لا تحصى تناهز  
المليون.

**المهرج:** لهفي عليك ايها التمس! ان مليون جلدة تجر عليك أو بل الولايات  
وتودي بك حتما الى الموت الزؤام.

**اوتوليكوس:** لقد تعرضت للضرب والسرقة، يا سيدي، عندما جردت من  
دراهمي ومن ملابسي، وألقيت عليّ هذه الاسمال المهلهلة الذرية.

**المهرج:** ومن كان الجاني، أفراس أم راجل؟  
**اوتوليكوس:** هو راجل، يا سيدي العطوف، هو راجل بدون شك.

**المهرج:** في الواقع، لا بد من يكون راجلا، اذا نظرنا الى الملابس التي  
تركها لك. لو كانت تخص فارسا لكانت افضل من هذه بما لا يقاس.  
هات يدك لأساعدك. هيا، هات يدك.

(يساعده على الوقوف)

اوتوليكوس : ارجوك يا سيدي الحنون ان ترفق بحالي. آه!  
المهْرُج : لهني عليك، ايها المسكين.  
اوتوليكوس (ينقاد الى المهْرُج) : ارجوك، ثم ارجوك، يا سيدي، ان ترفق بي، لاني اخشى على لوح كفي من ان يفصل عن بدني.  
المهْرُج (يسنده) : ماذا تقول؟ ألا تقوى على الوقوف؟  
اوتوليكوس : مهلا، يا سيدي. (يمد يده الى جيب المهْرُج ويبحث) ارفق بي، يا سيدي. لقد اسديت الي بصنيعك هذا معروفا لن انساه ما حييت.  
المهْرُج : هل انت بحاجة الى المال؟ يمكنني ان اعطيك قليلا منه.  
اوتوليكوس : كلا، يا سيدي الكريم، كلا. أستحلفك بكل عزيز. امامي حوالي ثلاثة أرباع الميل حتى اصل الى قريب لي كنت متوجهاً اليه، وهو يعطيني كل ما أحتاج اليه. فأرجوك ان لا تقدم لي مالا، لان هذا العرض يحز في قلبي.

المهْرُج : ما هي هيئة الفتى الذي سلبك؟  
اوتوليكوس : هو غيبي، يا سيدي، كأمثاله الذين كنت اراهم قابعين تحت القناطر. ولقد شاهدته في الماضي يخدم في قصر الامير. لا يعني ان اقول، يا سيدي الكريم، لاية فضيلة قد طرد من البلاط.  
المهْرُج : لأية فضيلة؟ بل قل لاية رذيلة. اذ لا احد يطرد من البلاط بسبب فضائله. لذا يكرم الفضلاء ليقوا، ومع ذلك لا أثر للفضيلة هناك الا بالفكر فقط.

اوتوليكوس : قصدت ان اقول بسبب قبائح، يا سيدي. انا اعرف جيدا هذا الرجل. لانه بعد ان اصبح مرقص فرود ثم حاجب محكمة ثم عارض طرائف نادرة ودمى متحركة، تزوج اخيرا امرأة صانع قدور نحاسية وراح يتجول ليعيها ضمن دائرة ميل من مشغله حيث تقع املاكي وأراضي. وبعد ان انتقل من مهنة حقيرة الى مهنة أحقر، استقر على السرقة والاحتيال، والبعض يدعونه اوتوليكوس.

المهْرُج : يس مسيره من لص دنيء! أقسم لك بحياتي، انه محتال خطير، يروّع المجتمعات والسهرات والاسواق ومصارعات الدببة.

اوتوليكوس : أصبت، يا سيدي. هو بعينه العلج الذي سطا عليّ وتركتني في هذه الحالة الزرية.

المهرج : ليس من نشال أجبن منه في كل بوهيميا. كان عليك ان تحزم امرك وتبصق على وجهه فيهرب مهرولا.

اوتوليكوس : لا بد من ان ابوح لك، يا سيدي، بأنني لست من المقاتلين. فالجرأة تقصني من هذه الناحية، وأنا واثق بأنه يعرف عنتي.

المهرج : كيف حالك الان؟

اوتوليكوس : لا بدّ لي من أن أبوح لك، يا سيدي، بأنني لست من المقاتلين. وأنوي ان استأذنك بالرحيل على مهل، وأتوجه الى نسيبي.

المهرج : أتريد ان أوصلك الى الطريق؟

اوتوليكوس : لا، لا، يا سيدي الكريم. اشكرك.

المهرج : الوداع اذًا. عليّ ان اذهب لشراء بعض البهارات لاجل عيد جزّات الصوف.

اوتوليكوس : أتمنى لك حظا سعيدا، يا سيدي العطوف. (يخرج المهرج) اذهب، فان محفظة نفودك ليست مليئة لشراء البهارات، وسألحق بك الى حفلة جزّات الصوف. فاذا لم أعوض هذه السرقة بغيرها، واذا لم أستجّر انا عددا كبيرا من الخراف، أخسر مهارتي ويدون اسمي من الان وصاعدا في سجل اهل الفضيلة.

تعالَ نسرَح، تعالَ نمرح  
على الدروب نهزج ونفرح  
فالقلب الخالي لا ييالي  
ولا يضنيه سهر الليالي.

(يخرج)

## المشهد الرابع في بوهيميا - داخل كوخ

(يدخل فلوريزال وبردينا شباب العيد)

فلوريزال (متكراً بزى راع) : هذه الملابس غير العادية لكل من مناسباتك الحلوة، تزيد العمر طولا وبهجة. فأنت لست براعية، بل انت زهرة تفتحت في مطلع نيسان. وعيد الجزّات هو بالحري اجتماع آلهة لطيفة انت ملكتها. بردينا : مولاي الجليل، لا يليق بي ان ألومك على مغاللتك، فاعذرني اذا اشرت اليها. انك اخفيت شخصك النيبيل، قبلة هذه لبلاد، تحت ملابس الرعاة هذه، وأنا الفتاة النحيلة قد ابرزتني كإلهة. من حسن حظنا ان اعيادنا تتيح لنا هرج المآدب التي يقبل الناس على مآكلها الدسمة ويهضمونها كالعادة. وإلا كنت خجلت من ارتدائك هذه الثياب التي تظهر فيها كأنك اقسمت على تذكيري بما كان عليّ ان أرتديه.

فلوريزال : اني أبارك اللحظة التي طار فيها صقري عبر حقل والدك. بردينا : أتمنى ان يجعل الإله المشتري الحق الى جانبك. الفارق بيننا، في الواقع، يقلقني. فان سموك لم تعدد الخوف، بينما انا في هذه اللحظة أرتجف لفكرة امكان مرور والذي صدفة في هذا المكان، كما حدث لك انت قبلا. ليتني اعرف موقفه عندما يعلم ان لابنه علاقة بفتاة من هذا المستوى الوضع. ماذا يقول؟ وكيف يتسنى لي انا ان أتحمّل نظراته على ضوء هذه القناديل الكاشفة التي تزين احتفالا كهذا غير مألوف بالنسبة الي؟

فلوريزال : ارجو ان ترافقيني دائما في الافراح. لا تتسي ان الآلهة ذاتها حين تتذلل ألوهيتها امام جيروت الحب تتخذ أشكالا غريبة من الحيوانات. فمثلا صبح المشتري ثورا وزمجر، وأمسي نبتون الفجّ كبشا وثغا وإله النار، واله الذهب، وأبولون قد صار راعيا نظيرك في هذه اللحظة. ولم يكن تحولهم

هذا إلا ليزيدهم جمالا وصفاء وعفة، ما دامت رغباتهم تيه في ما وراء حدود الشرف، وشهواتهم ليست اقوى ولا أحر من ايماني.  
برديتا : لكن تصميحك، يا مولاي، لا يمكنه ان يجابه سلطة الملك الذي سيضطر حينئذ الى اللجوء الى احد حلين: اما ان تطلع عن مشروعك او ان تفقد حياتك.

فلوريزال : عزيزتي برديتا، ارجوك ان لا تقلقي لهذه الافكار الخاطئة ولا تتوجّسي خوفا من فرحة هذا العيد. سأكون لك، يا حبيبتي، ولن اكون لوالدي. لانني لا استطيع ان اسيطر على نفسي ولا ان يمتلكني احد، ان لم أخصك انت بالذات. لقد قررت هذا، حتى ان عاندتني الظروف والاقدار. فالزمني المرح يا صديقتي، واطردي عنك هذه الخواطر المزعجة. ها هم ضيوفك قد اقبلوا. فابتسمي وليظل محياك الصبوح مشرقا كما لو كان اليوم عرسك الذي اقمنا كلانا على احيائه في يوم قريب.

برديتا : ليت حسن الحظ يشملني برعايته الخاصة في هذه الظروف!

(يدخل الراعي، ثم بولكان وكيليو متكرين ثم المهرج ومبا ودركاس وغيرهم).

فلوريزال : ها هم ضيوفك قد اقتربوا. فاستعدي لاستقبالهم بسرور، فتتورد خدودهم انشراحا.

الراعي (لبرديتا) : تبأ لك يا ابنتي. عندما كانت زوجتي على قيد الحياة في مثل هذا الوقت، كانت تهتم بالخبز والشراب والطعام، كسيدة وخادمة للترفيه عن الجميع، تغني وترقص تارة فوق طرف الطاولة وطورا في وسطها متوكئة جينا على كنف هذا الضيف وحينما على ذلك، وخذائها متوردتان من الحركة. وعندما تروي عطشها بكأس شراب تقدم لكل واحدة من ضيفاتها جرة. اما انت فتقبعين في زاوية كأنك ضيفة لا مضيعة لجميع الحاضرين. ارجوك ان تكرمي هؤلاء الاصدقاء، وان كنت لا تعرفينهم بعد، لان افضل طريقة لتوطيد صداقتنا الحميمة هي انشاء علاقات طيبة مع المجموع. ها، تنشطي وأرني ما انت قادرة على عمله كسيدة هذا العيد. ها، ها استقبلي الجزارين اذا اردت ان يزدهر قطيعك الممتاز وينمو انتاجه.

برديتا (لبولكان) : اهلا بك يا سيدي. لقد شاء ابي ان يحسن استقبالك

في هذا النهار. (لكميليو) مرحبا بك انت ايضا يا سيدي. ناوليني هذه الزهور يا دركاس. ارجوكم، يا سادتي المحترمين، ان تقبلوا هذه الزهور البرية التي تحتفظ بنضارتها ورائحتها طوال ايام الشتاء، فهي خير تذكار لهذه المناسبة السعيدة. اهلا بكم، شرفتم عيدنا.

بولكسان : شكرا لك ايها الراعية الجميلة. احسنت صنعا بتقديم هذه الازهار الشتائية لنا ونحن في هذا العمر.

برديتا : السنة تشرف على نهايتها، يا سيدي، في فترة اواخر هذا الصيف الذي لم ينته بعد، ولم يبدأ فصل الشتاء البارد المتتظر. أعتقد بأن اجمل زهور هذا الفصل يمكننا ان نذكر القرنفل والمنتور اللذين يعتبرهما الناس من مبهجات الطبيعة، وكلاهما لا وجود لهما في حديقتنا القروية، وأنا لا اكرث لغيابهما.

بولكسان : لماذا، ايها الفتاة الحلوة لا تبالين بهما؟

برديتا : لاني سمعت انهما، في فن تنويمهما، تحتاجان الى عون طبيعي خلّاق. بولكسان : وعندما يتم ذلك لا يسع الطبيعة ان تتكامل الا بما تتدعه هي نفسها من تطور. وبذلك يكون الفن الذي يساهم في التجميل منبثقاً من الطبيعة ذاتها. وهكذا، ترين ايها الصبية الرائعة ان لا بد من تطعيم الجزع البري بغصن نضّر للحصول على نوعية افضل، وبهذا الاسلوب نجعل القشرة الخشنة تستمد النعومة من برعوم كريم الاصل، وهذا فن رفيع قائم بذاته لتفسير أوصاف النبات وتحسينه عفويا بواسطة ليست غريبة عن الطبيعة ذاتها. برديتا : هذا ما يجري فعلا.

بولكسان : فما عليك الا ان تزيد غنى حديقتك باضافة القرنفل والمنتور اليها ولا تهتمي بما يُعتبر تطورا في الازهار.

برديتا : انا لا احب ان اغرس في الارض نباتات مختلفة لجعلها كلها فصيلة واحدة، كما اني لا اشتهي ان اضع على خدي احمر لاجتذاب هذا الشاب المعجب بي واغرائه بمجرد حمله على تأمين افراح الامومة لي. هذه ازهار تعجبك: الخزامى والنعنع والمردقوش والخطمي الذي ينام مع غياب الشمس وينهض مع اشراقها، وقطرات الندى كدموع العذارى على وجنته. هذه هي

ازهار منتصف الصيف، وأعتقد بأن تقديمها يليق بالرجال المتوسطي العمر.  
فأهلاً وسهلاً بكما.  
كميليو : لو كنت من قطيعك لكففت عن الرعي، لكي اشبع فقط من بهاء  
طلعتك.

بردنيا : آسف ان يصيبك الهزال حينئذ، وتجعلك رياح كانون الثاني ترتجف  
من شدة البرد. (لفلوريزال). كم أتمنى، يا صديقي العزيز لو ان لديّ ازهارا  
ربيعية تناسب نضارة شبابك (للقرويين الشبان) وأنتم ايضا (لسائر القرويين)  
وكذلك انتم الذين لا يزال عنفوان الشباب يتدفق في عروقكم طافحا بالحيوية  
والبهجة. يا بروسبارين، كم أود ان تكون لدي ازهار، سقطت اثناء فزعك،  
من عجلة الاله بلوطون. ان الترجس الذي يسبق عودة السنونو في مطلع  
الربيع، يأسر رياح آذار بروعته، والبنفسج الغامق المتضوع عطره أكثر من  
رموش عيني جينون واريح انفاس عشثار، وأزهار الربيع الشاحبة التي يقضي  
عليها مرض العقم المتفشي في بعض العذارى، قبل ان تعرف الاله فابوس  
متجلباً بعظمة قدرته، وغيرها من الازهار الربيعية كالسوسن والزنبق التي احتاج  
اليها لأضفر منها لك، يا صديقي الحلو الرقيق، اكليل مجد أتوج به رأسك  
العالي.

فلوريزال : ماذا تقولين؟ لتجعلني مني جثة في نعش.  
بردنيا : بل فراشا من الورد للاستراحة عليه في مداعبات الحب، لا جسما  
هامدا ينتظر الدفن، انما غصن بانٍ نابض بالحيوية بين ذراعي. هيا خذ ازهارك.  
يُحِبُّ الّٰهَ اني هنا شخص كمالي نظير عدد كبير من الذين رأيتهم يزيّنون رقصة  
الرعاة في عيد الربيع. في الواقع، أعتقد أن الثوب الذي أرتديه له كبير  
الاثر في تبدل مزاجي.

فلوريزال : ان ما تفعلينه الان افضل بكثير مما صنعه في الماضي. فحين  
تتكلمين يا فتاتي الحلوة، أود ان لا انقطع عن سماعك تنشدين، وعندما  
ترنمين يحلو لي ان اراك هكذا تبعين وتشتريين وتتصدقين وتصلين، كما  
أتمنى ان تشتغلي وأنت تغنين. وعندما ترقصين يسرنني ان اراك كموج البحر  
تتحركين، وأنت تواظبين على ذلك باستمرار بدون ان تعاطي ابدا امرا سواه

لان تصرفك اصيل في أدق تفاصيله، يتوج على الدوام كل اعمالك كأنك ملكة رائعة الجمال كاملة الخصال.

برديتا : ما أفصحك في اطرائي، وما ابغك في التعبير عن شعورك الفياض. من حسن حظي ان يكون جمالك ونقاء دمك الذي يوردُ خديك، اقوى دليل على انتسابك ببراءة الى جماعة الرعاة. وإلا، خشيت يا معبودتي، ان لا تكون عاشقا متيما وفيا.

فلوريزال : لا مجال لتطرق الخوف الى قلبك، ولا للشك بولهي واخلاصي. لكن تعالي نرقص، هات يدك، يا برديتا، فهكذا تتشابك ارواح المحبين في اتحاد ابدى لا يعتره الانفصال.

برديتا : اقسام لك بأني لا أتمنى غير ذلك. (يمشي فلوريزال وبرديتا متأبطا كل منهما ذراع الآخر وهما يتحدثان).

بولكسان : ها هي اجمل فتاة رأيتها تمشي على المرحج الاخضر، وكل حركاتها وسكناتها لا اروع منها ولا ارفع، تسمو بما حولها في كل مكان مشرف. كميليو : ان ما يقوله لها من شأنه ان يصعد الدم الى وجنتيها حياء. في الحقيقة هي ملكة كل ما يمت الى الحليب والزبدة بصلة.

المهرج (بخاصر مُبسا) : هيا اعزفوا لنا لحنا بديع. دركاس (على حدة وهي تراقب المهرج) : ان كنت تفضل مبسا، فما عليك الا ان تتناول قليلا من الثوم لتتجو من قبلات سواها.

مبسا : هيا، اتبع الايقاع. المهرج : لا تلفظي كلمة واحدة بعد الان. فنحن منسجمان في الرقص. اكملوا اللحن.

(رقصة رعاة وراعيات يشترك فيها الجميع ما عدا الراعي العجوز وبولكسان وكميليو). بولكسان (للاراعي العجوز) : قل لي ايها الراعي، من هو هذا الشاب الوسيم الذي يراقص ابنتك؟

الراعي : اسمه دوريكلاس. وهو معتد بما حبه اياه الطبيعة من نضارة وحيوية. هذا ما قاله هو لي، وأنا أصدق قوله لانه يبدو رصينا. هو يصرح بأنه يهوى ابنتي، وأنا مقتنع بذلك. لان القمر لم يتسن له ان يترأى على صفحة الماء

بهاء أصفى وأروع منه، كما تشهد بذلك أيضا عينا ابنتي الحبيبة. والحق يقال، ان لا اختلال حتى ولا بمقدار ذرة بين جيهما وتناسقهما. بولكسان : رقصها بديع للغاية.

الراعي : كل ما فعله بديع ايضا. لكن، ماذا اقول هنا؟ من الافضل ان اسكت. لا حرج، ان كان دوريكلاس الشاب قد وقع اختياره عليها فهي تحمل اليه بائنة لا يسمعه ان يحلم بمثلها.

(بدخل وصيف)

الوصيف ( للمهرج ) : يا سيدي، لو انتظرت البائع المتجول خارجاً لما رضيت ابدا بأن ارقص على صوت الطبل والمزمار، ولا كانت موسيقى القرية قد استهوتك. هو يترنم بأنغام شتى، اسرع من حركة عد النقود، وهو يدمدم بها بمهارة كأنه انتشى بألحان سماوية تصيح اليها جميع الآذان الصاغية مدهوشة.

المهرج : ليس أنسب من توقيت مجيئه، دعه يدخل. انا احب كثيرا طرق هذه المواضيع الشيقة وسماع الموسيقى الساحرة ذات الكلمات العجيبة والنبيرات الحزينة.

الوصيف : لديه اناشيد للرجال والنساء بمختلف الايقاعات. وليس من خياط ابرع منه في تفصيل رداء لكل واحد حسب ذوقه. هو يعرف اجمل اغاني الحب المعتدلة المجون للصبايا، وهذا نادر الوجود، ولديه لازمات لائقة يتخللها دينغ دونغ، وضم وعناق وتأجج عواطف، وغيرها مما يعجب العاشق المشتاق من ثناء وغزل واغراء، ترد عليه الفتاة قائلة: كفاك، يا هذا! ما هذه الدعابة ؟ وتوقفه عند حدّه هاتفة في وجهه : أرجوك، يا صاح، كفاك تطاولاً.

بولكسان : ما أجرك، ايها الفتى!

المهرج (للوصيف) : أصدقني، هل تتكلم حقاً عن شاب لعوب، لديه سلع معروضة للبيع؟

الوصيف : لديه اشربة من جميع الوان قوس قزح، وبشروط انسب من كل ما يوجد في شرائع جميع قضاة بوهيميا، مع انه يفكر فيها بالجملة،

ولديه زخارف وحبيكات وأنسجة وشاش، ويعدد شتى هذه الاصناف في اغانيه، كما لو كان كاهن الآلهة والإلهات، فيلمح الى القميص مثلا كأنه ملاك، معتبرا ان مجمل تجارته مجموعة من الأشغال السماوية ضمن اطار من المهارة والابتكار والتقوى.

**المهرج** : أرجوك ان تستدعيه وتسأله ان يدخل وهو ينشد.  
برديتا : نبّهه الى عدم استعمال الالفاظ المتطرفة في اغانيه.  
**المهرج** : هناك باعة متجولون بارعون اكثر مما تتصورين، يا أختاه.  
برديتا : او بالحري مما يهمني ان أتصوره، يا اخي.

(يدخل اوتوليكوس وهو يني)

**اوتوليكوس** : وشاح أشد بياضا من البرد  
ونسيج بلون الغراب الاسود  
وقفاز أريجه كالورد الجوري  
وقناع يخبيء الوجه الحوري  
وأساور عقيق وقرط عنبري  
وعطر يسكر العاشق الولهان  
وتسريحة شعر تسحر في كل آن  
يمكن ان يهديها فتى لعروسه  
مع دبوس ودملج يذهب بعروسه  
وكل ما يرضي الصبية الرشيقة  
تعالى اشترى يا ابهى عشيقه،  
واشترى يا فتيان لصباياكم الشقر  
تعالوا اشترى قبل زوال العصر.

**المهرج (لأوتوليكوس)**: لو لم اكن متدلها بحب ميسا، ما كنت حصلت على أي مال. لكن بما اني اسير هواها أود ان اضع تحت تصرفها بعض الاشرطة والقفازات.

**ميسا** : هذا ما كنت موعودة به في ليلة العيد. وهي تصلني الان في حينها.  
**دركاس (لميسا)** : هل وعدك هذا المناق بشيء آخر؟

مبسا (لدركاس) : لقد اعطاني كل ما وعدني به، ومنحني فوق ذلك ما استحي ان أرده اليه.

المهرج : أولم يبقَ من اخلاق تزين الفتيات؟ وهل تحتم عليهن ان يرفعن ثيابهن الي رؤوسهن؟ أوليس لديك، حين ذهابك لحلب البقرة أو الي الفراش او الي الثور، ما يكفي من الوقت لفضح جميع هذه التجاوزات، وهل من حاجة الي الثرثرة في هذا الموضوع امام ضيوفنا؟ يسرني ان يتحدث اصحابنا فيما بينهم بصوت خافت، وأنت ايضا اخفصي صوتك ولا تنطقي بكلمة اخرى. مبسا : لقد انتهى حديثي، فهيا نذهب. أو ما وعدتني بوشاح ألفه حول عنقي، وبفنازين معطرين.

المهرج (لمبسا) : ألم اخبرك كيف تعرضت للسرقة اثناء الطريق، وكيف فقدت كل ما أحمل من نقود.

اوتوليكيوس : في الواقع، يا سيدي، لصوص الريف عديدون، ويجمل بالانسان ان يحذرهم.

المهرج : لا تخف هنا من السرقة، يا صاح، فلن تفقد شيئا وأنت بيننا. اوتوليكيوس : ارجو ذلك، يا سيدي، لان لدي سلع كثيرة غير مصرورة. المهرج : ما معك هنا؟ بعض قصائد ملحنة؟

مبسا (للمهرج) : ارجوك ان تشتري بعضها. فأنا احب الاناشيد لا سيما المطبوعة، ونحن واثقون بأنها اصيلة.

اوتوليكيوس : هذه واحدة لحنها جميل، كأنها امرأة مرايي ولدت عشرين كيس نقود دفعة واحدة، واشتهدت ان تأكل سمك الحنكليس وأفخاذ الضفادع. مبسا : هل تعتقد بأن هذا صحيح؟

اوتوليكيوس : اكثر من صحيح. هذا ما جرى تماما منذ شهر فقط.

دركاس : نجني، أيتها السماء، من الاقتران بمرآب.

اوتوليكيوس : لقد روت هذا النبا قابلة قانونية تدعي ليكونت، ووافقت عليها خمس او ست من النساء الحاضرات. هل انا ناقل اخبار ملفقة؟

مبسا (للمهرج) : ارجوك ايضا ان تشتري لي منها.

المهرج : ضعيها جانبا. وتعالى نتفحص أولاً ما يعجبنا من القصائد، ثم نشترى أصنافا اخرى.

اوتوليكوس : هذه اغنية اخرى، وهي عن حوت ظهر على الشاطئ يوم الاربعاء الواقع في الثامن من شهر نيسان على بعد أميال من الساحل، وقد نظم كلامها لانتقاد الفتيات القاسيات القلب. يقال ان امرأة تحولت الى حوت لانها لم تطاوع عشيقها في مبادلته الغرام رغم انها تحبه. والقصيدة ترثي لحال الضحية التي جرت قصتها من مدة غير طويلة.

دركاس : وهل تعتقد بأنها حدثت فعلا؟

اوتوليكوس : ما دامت تحمل توابع خمسة قضاة وشهادات أكثر مما تسع له رزمتي.

المهرج : ضعيها ايضا جانبا. ولنتفحص واحدة غيرها الان.

اوتوليكوس : هذه أنشودة مرحة وجميلة للغاية.

ميسا : لنأخذ بعض الاغاني المفرحة.

اوتوليكوس : هذه واحدة مرحة جدا، لحنها رائع وليس من فتاة في كل المنطقة لا تشدها، وأؤكد لك انها مرغوبة جدا.

ميسا (لأوتوليكوس الذي يشير الى دركاس) : كلانا نعرف ان نغنيها، ونود ان تشاركنا في انشاد احدى طبقاتها، لانها مؤلفة من ثلاث طبقات صوتية.

دركاس : لقد تعلمنا لحنها منذ شهر.

اوتوليكوس : انا أتقن الطبقة التي ثلاثم صوتي. وأنتم تعلمون ان الغناء مهنتي. اصغيا انتما الاثنان.

(تغني):

تعالوا لأن عليّ أن أرحل  
ولا حاجة لان تعرفوا اين أنزل

دركاس (تغني) : اين؟ اين؟

ميسا (تغني) : قل لنا اين؟

دركاس : اين، اين؟

ميسا : مرامي ينسجم مع رغبتك

فما عليك الا ان تبسرك  
دركاس : دعني انا ايضا امضي الى هناك.  
مبسا : آتصد الطاحون ام اطرح الشباك؟  
دركاس : هذا وذاك ليس من مستواك.  
اوتوليكوس : لعمرى، ما ابعذك عن الادراك  
دركاس : لماذا التهجم، يا صديق؟  
اوتوليكوس : وقد أقسمت انك لي رفيق.  
مبسا : ايها المنافق، أما أكدت لي هوايك؟  
فأين المفرّ وأنا دوما وراك.  
المهزج : سيأتي، بعد هنيهة، دور هذه الأغنية التي نشدها معا. ان والدي  
يشارك هؤلاء السادة في احاديثهم. فلتجنب ازعاجهم. هيا احمل طردك  
واتبعني. ايها الفتاتان، سأشتري لكما منه اثنتين. وأنت ايها البائع المتجول  
اعطني أآخر ما عندك. اتبعاني ايها الصيitan.  
اوتوليكوس (على حدة) : وستدفع بسخاء عنهما.

(ينشد):

اشتري، يا حلوتي، الزنار  
لتزيني به وشاحك المختار  
يا بهجة الشوق والأنظار  
قلبي لا يزال في حبك محتار.  
اختاري من القطن والحريز  
والهدايا الحلوة والازهار  
مما ينال الاعجاب والتقدير  
ويجتذب الحبيب وقيه المحاذير.  
على البائع المتجول أقبلوا  
وعن أصنافه لا تعدلوا  
ولا تحيروا ولا تتجادلوا  
حتما لقاء نقودكم تحصلوا.

(يخرج المهرج واوتوبوكوس ودركاس وساء، ثم يدخل الوصيف).

الوصيف (للراعي العجوز) : يا معلم، هناك ثلاثة سائقي عربة وثلاثة رعاة غنم وثلاثة رعاة بقر، وكلهم رجال شبه عراة في زي الجن، ولديهم رقصة تعتبرها الصبايا نوعاً من القفزات، لأنهن لا يشتركن فيها، ولكنهن يعتبرن فيما أنها لم تكن عيفة، فهي ترضي البعض ممن لا يعرفون الحركات الهادئة المعروضة على المرحج الأخضر، ويعجبون بها غاية الإعجاب.

الراعي : كفى. نحن لا نريدها بعد كل ما جرى هنا من المهازل. وأنا أعلم، يا سادة، بأننا نرهق أعصابكم.

بولكسان : انتم لا ترهقون الا من يسألونا. ارونا هذا الثلاثي من الرعاة. الوصيف : ان أحد هذا الثلاثي، إذا صدقنا ما يقال، قد رقص امام الملك، وأردأهم لا يقفز أقل من اثني عشر قدماً ونصف، وهذا ليس بزهيد طفيف. الراعي : دعك من هذه الثرثرة، ما دام ذلك يعجب هؤلاء السادة. أدخلهم إذاً حالاً وسريعاً.

(يخرج ثم يعود، بصحبة اثني عشر قروباً متكرين بزي الجن، فيرقصون ثم ينحون).

بولكسان (للراعي) : ستعلم قريباً بأكثر مما تعرف. (على حدة) ألم تبلغ هذه المسائل الحد المقبول؟ لقد آن لهم أن ينفصلوا. هو ساذج ويتكلم أكثر مما يلزم. (بصوت عالٍ لفلوريزال الذي يمر) تعال ايها الراعي الوسيم. اراك مشغولاً عن الحفلة بأمور لا تمتّ الى العيد بصلة. لعمرى، كنت انا شاباً وكنت اتأبط ذراع صديقتي، وكان من عادتي ان اسمعها ما يرضيها من الكلام المعسول، وكنت أستاثر بكل ما يحمله البائع من اصناف حلوة لأضعه عند قدميها. أما أنت فقد تركه يذهب بدون أن تشتري منه أية هدية فاذا اساءت حبيبتك تفسير هذا الإغفال او النسيان ولاملك على تقصيرك كأنها نقيصة في الحب او في المسحاء، ستلاقي الحرج في اعطائها جواباً سديداً اذا رغبت في الاحتفاظ بمودتها وعطفها.

فلوريزال : ايها الشيخ الوقور، انا اعرف انها لا تعلق كبير اهمية على نوافه كهذه. لأن الهدايا التي تنتظرها مني هي مجموعة ومكدسة في فؤادي الذي وهبتها اياه ولم اسلمها اياه بعد. (لبرديتا) دعيني أفتح صدري امام هذا العجوز

الذي يبدو عليه انه احب كثيراً في شبابه. هاتي يدك الناعمة ككريش النعام،  
الناعمة البياض كأسنان الفتاة الحبشية او كالثلج النقي القابع على رؤوس  
الجبال الشامخة.

بولكسان : ماذا سيجري بعد الآن؟ كم تلتطف هذا الراعي الشاب بملامسة  
تلك اليد الناعمة البيضاء (فلوريزال) أعذرنني لأنني قاطعت حديثك. ارجوك  
ان تعود الي تصريحك، وأن تسمعي اعترافك الصادق الكامل.

فلوريزال : سأتابعه، لأنني أؤمن بشهامتك.

بولكسان (يشير الي كميليو) : وجاري يشاطرك هذا الرأي.

فلوريزال : هو وغيره ايضاً وجميع من على الأرض وفي السماء وكل الكون.  
لو كان رأسي مكللاً بتاج اكبر امبراطورية عن جدارة واستحقاق، ولو كنت  
اجمل شاب بهر بوسامته العيون، وكنت حاصلأ على جميع المقدره وكل  
العلوم التي لم يسبق لأحد ان يحويها في شخصه، فإن سائر الإمتيازات  
لا يكون لها وزن في نظري بدون حبها. ففي سبيلها سأستخدم هذه المزايا  
ولها وحدها أكرسها وبها وحدها احصرها، وإلا فلتدهور برمتها في هوة العدم.  
بولكسان : هذه هبة ملوكية.

كميليو : ومن يرهن على مثل هذه المودة العميقة ؟

الراعي : انت، يا بنتي الحبيبة. فهل افضيت اليه بما يوازها من هيام وتقدير.  
برديتا : انا لا يسعني ان ابوح بحرف من هذا القبيل، كلا، ولا حتى ان  
أفكر بأفضل من ذلك. لأنني على نموذج مشاعري أقيس صدق عواطفه.  
الراعي : ضعي اذا يدك في يده، فيتم الإتفاق بينكما. وأتما ايها الصديقان  
المجهولان تشهدان على تعهدي التالي: سأزف اليه ابنتي وأمنحها بائنة تساوي  
ما يملكه هو.

فلوريزال : ما بالك تتكلم عن بائنة؟ المهم فضيلة ابنتك. فبعد موت شخص  
معين، انا واثق بأن ثروة أضخم مما تصور ستنتقل اليّ وتدهشك. لكن،  
لنرتبط أولاً بعهد أمام هذين الشاهدين.

الراعي : هيا، هات يدك ايها الفتى. وأنت يا ابنتي هاتي يدك.

بولكسان : مهلاً أيها الراعي. لحظة، من فضلك (فلوريزال) هل والدك على قيد الحياة؟

فلوريزال : نعم، لماذا ؟

بولكسان : هل هو على علم بأمر زواجك؟

فلوريزال : هو لا يعلم، ولن يعلم به ابداً.

بولكسان : أظن ان الوالد، في عرس ابنه، هو أعز مدعو يشرف الحفلة.

ارجوك ان تسمح لي بسؤال اضافي: هل والدك غير جدير بإبداء حكم

في قضية ما؟ ألم يفقد رشده بداعي العمر او خفة النظر؟ هل هو قادر

على النطق وعلى السماع وعلى تمييز انسان من انسان، وعلى المناقشة في

مصالحة الخاصة؟ هل يلزم الفراش؟ هل عاد كلياً الى عهد الطفولة؟

فلوريزال : كلا، يا سيدي الكريم. انه يتمتع بكامل صحته وتفوق فطته

اي رجل سواه في مثل سنه.

بولكسان : أقسم بلحيتي الشائبة، ان كان هذا حاله، فأنت تهين أبوته. الحكمة

تقضي بأن يختار الابن نفسه شريكة حياته. لكنها تقضي أيضاً في هذا المجال

بأن يستشير الابن أباه الذي يسره ان يرى نسلأ صالحاً يكون خير خلف

لخير سلف.

فلوريزال : انا لا أعارضك في ذلك. انما لأسباب اخرى، لا حاجة لإطلاعك

عليها يا سيدي الجليل، لن يدري والدي بهذا الأمر.

بولكسان : عليك ان تعلمه به.

فلوريزال : كلا، لا حاجة الى ذلك.

بولكسان : ارجوك

فلوريزال : مستحيل

الراعي : اخبره، يا ولدي، ولا تدع له أي مجال ليستاء منك عندما تبلغه

أخبارك.

فلوريزال : لا، لا، هذا مستحيل. خذ علماً بعقد الزواج.

بولكسان (ينزع لحيته الطويلة ويكشف عن رأسه) : بل بالطلاق، ايها الأمير

الشاب الذي لا أستحسن مناداتك: يا ابني. أجل، انت أخط من ان أتعرف

عليك كولي عهدي ووريث عرشي. انت لا تستحق سوى الضرب ببعضى  
الرعاة. (للراعي) وأنت ايها الخائن العجوز، انا مستاء منك لانك بقبولك  
هذا الصهر لا يتسنى لي ان أختصر من عمرك الا اسبوعاً واحداً. (لبرديتا)  
وأنت يا مثال الساحرة الشمطاء، انت تدرين طبعاً مع اي مجنون من الاسرة  
المالكة تتعاطين.

الراعي : تباً لحظي العاثر!

بولكسان : سأجلد وسامتك بالقضبان الشائكة لأجعلها أحقر من وضاعتك  
(لفلوريزال) وأنت ايها الشاب العديم الإحساس والشهامة، أعلم انك لن ترى  
هذه اللدمية ابداً، لأنني أصر على ان لا تشاهدها بعد الآن. واعلم جيداً  
اني سأحرمك من الميراث ولن أعترف عليك بأنك ولدي من لحمي ودمي.  
كلا، ثم كلا. احفظ جيداً كلامي هذا، والحق بي فوراً الى البلاط، ايها  
الخيث الذي سلتنا افراح هذه الحفلة، وإلا انزلت بك عقوبة صارمة تكون  
القاضية على حياتك. (لبرديتا) وأنتِ ايها الساحرة التي لا أتمنى لك ان  
تكوني من نصيب هذا الراعي الشاب الوسيم لأنني أعتبر ارتباطك به اساءة لا  
تُغتفر، حتى ان تسنى لك أن تضعيه الى صدرك، فأني أرجو لك ميتة شنيعة  
بقدر ما أنت رقيقة ناعمة.

(يخرج)

برديتا : ان كان الهلاك نصيبي، فلن اهاب هذا المصير. فلقد صرحت له  
مراراً بأن الشمس التي تشرق على قصره هي ذاتها التي لا تحجب نورها  
عن كوخنا وتسطع هكذا بالسواء علينا جميعاً. (لفلوريزال) تفضل بالذهاب،  
يا مولاي، وقد سبق لي وأنبأتك بما قد يسفر عن رغبتك من نتائج. أستحلفك  
بكل عزيز، ان تهتم بمصالحك الخاصة. اما حلمي الغالي، الآن وقد صحوت  
منه، فأني أنبذه وأتكرر له، وسأعود الى بقراتي لأحلبها ولأبكي سوء حظي.  
كميليو (للراعي) : هيا اذا، يا ابني، تكلم قبل ان يوافيك الأجل.

الراعي : انا لا استطيع ان أتكلم ولا ان أفكر، ولا أجسر على الوجود بما  
انا عالم به. (لفلوريزال) يا مولاي، لقد خسرت شيئاً في الثالثة والثمانين  
من عمره، كان على وشك سلوك الطريق الى مثواه الأخير، في السرير الذي

فارق عليه والده الحياة، وعلى الاستراحة الدائمة الى جانب عظامه الشريفة. أما الآن، فلا بد لي من دفان يلفني بطيات كفني ويهيل عليّ تراباً لم تحركه مجرفة احد من قبل. (لبرديتا) ابتها الشقية الملعونة، كنت تعلمين بأنه الأمر، وغامرتِ عمداً بمبادلتك عواطفه. انا اذاً هالك، انا هالك لا محالة، ولو استطعت ان أؤخر أجلي ساعة واحدة لعشت كي اموت في الوقت المناسب المرتجى.

(مخرج)

فلوريزال (لبرديتا) : لماذا تنظرين اليّ هكذا؟ انا حزين لا خائف، ومفهور لا متقلب. فيما اني لا ازال على ما انا، ومهما سبقتي ظروفني، سأقدم بسرعة ولن ادع احداً يعترض سبيلي.

كميليو : مولاي النبيل، انت تعرف طبع والدك. وفي هذه اللحظة لا يسمح بإبداء اية ملاحظة، وأنا لا أظنك مستعداً لأن تفعل ذلك، لأنني اخشى ان لا يتحمل رؤيتك فيما بيننا. وهكذا الى أن تهدأ ثورة غضب جلالة الملك، عليك ان لا تظهر امامه.

فلوريزال : انا لا انوي ان أتصرف على هذا النحو. (يجابه كميليو) انت على ما أظن؟

كميليو : انا بذاته، يا مولاي.

برديتا (لفلوريزال) : كم مرة نبهتك الى ان الأمر سيؤول الى هذه الخاتمة. وكم مرة قلت لك ان تستري بالعظمة لن يدوم طويلاً، ولن تلبث حقيقة امري ان تنكشف.

فلوريزال : ان تزول عظمتك الا بالقضاء على عفواني، او تستحق الطيعة كل ما يملأ سطح الأرض، وتقضي على معالم الوجود فيها. افتح عينيك، واشطب اسمي، يا ابي، من وراثتك. (لبرديتا) فأنا مصمم على ان أرث حبك فقط.

كميليو : أصغِ الى النصيح.

فلوريزال : سأصغي الى نداء قلبي. فاذا وافق عقلي على الاستجابة، تصرفت بحكمة. وإلا طلب هواي المائل الى الجنون، عون رغباتي وأشواقني، فليته.

كميليو : هذا محض قنوط، يا مولاي.

فلوريزال : مهما يكن الأمر، فهذا القنوط يحقق لي آميأتي، وأنا اعتبره هكذا فضيلة، يا كميليو. لا بوهيميا ولا العظمة والفخمة التي تنوبني، ولا كل ما تشرق الشمس عليه، ولا كل ما يضمه باطن الأرض وما تخفيه البحار في أعماقها من كنوز من تقوى مجتمعة على نقض اليمين الذي أقسمته لحبيتي. فأرجوك انت الذي كنت دوما صديق والدي الحميم المحترم، حالما يتبه الى غيابي، لأنني مصمم على ان لا أراه أبداً، ان تُخمد ناصحك الصائبة لهيب غضبه. ستخاصم انا والحظ من الآن وصاعداً. فاعلم، وقل له اني سأركب البحر مع التي حرم عليّ امتلاكها وأنا على شواطئه. ولحسن حظي، اخبرك بأني سأبحر في سفينة راسية بالقرب من هنا كنت اعددتها لغاية أخرى. أما الطريق الذي سأسلكه فلا فائدة من ان تعرفه ولا انا ارغب في ان أدلك عليه.

كميليو : مولاي، كم أود ان تكون نفسك متأهبة لتقبّل ما يسدى إليك من إرشاد او ان تكون اكثر اهتماماً بمصلحتك الشخصية.

فلوريزال : كلمة اخيرة، يا بردينا. (لكميليو) سأستمع إليك بعد هنيهة.  
( يتحدث بصوت خافت الى بردينا )

كميليو : هو مصمم على الهرب، بدون تراجع. فما اسعدني إذا وظّفت رحيله لأغراضني، بينما انا أنقذ حياته من الخطر. وفيما انا أثبت له إخلاصي ومودتي، أتمكن من مشاهدة عزيزتي سيسيليا، وهذا الملك التعيس سيدي الذي أتلهف للقائه.

فلوريزال (يتجه نحو الباب) : هيا، يا كميليو الكريم، هناك قضية ضرورية تستعجلني، وعليّ ان اغادرك بدون رسميات.

كميليو : أظنك، يا مولاي، سمعت الناس يتكلمون عن خدماتي البسيطة التي أديتها لوالدك والمودة التي محضته اياها.

فلوريزال : لا أنكر انك كنت جديراً به، وان إطراء اعمالك يثلج صدري، ولا مراء ان مكافأته اياك عنها تعادل حتماً في نظره تقديره اياك.

كميليو : بما انك مسرور، يا مولاي، باعتقادك بأنني احب الملك كما احب

اقرب من يلوذ به، اي شخصك الغالي، ارجوك ان تسمع نصيحتي، إذا امكن تعديل مشروعك بعد درسه بإمعان، اقسم لك بشرفي اني سأدلك على مكان امين تلاقي فيه استقبالاً حاراً يليق بسموك، وتستطيع فيه امتلاك حبيبتك بدون ان تقوى سلطة في العالم على الفصل بينكما، إلا هلاكك الذي اسأل الآلهة ان تنجيك منه. هناك تقترن بها، وفي اثناء غيابك سأحاول بذل كل جهدي لتخفيف وطأة حقد والدك عليك كي يعود ويشملك برعايته الأبوية.

فلوريزال : كيف تتصرف هكذا، يا كميليو؟ يكاد هذا الترتيب يكون أعجوبة. تكلم لكي ارى فيك الرجل المخلص وأمنحك كامل ثقتي باستمرار.  
كميليو : هل قررت وجهة رحيلك؟

فلوريزال : لا، لم أقرها بعد. بما ان إبحارنا سببه مغامرة غير متوقعة، نعتبر ذواتنا كأننا اسرى الحظ او هباء يتطاير ويتبعثر مع كل هبة ريح.  
كميليو : اصغر اليّ اذاً. ان كنت لا تريد ان تقلع عن مشروعك، واذا ظللت مصمماً على الهرب، فالأفضل ان تبحر الى صقلية، وهناك تقدم نفسك وتعرف عروسك الجميلة الى الملك ليونتي، وأنا على يقين بأنها ستصبح اميرة وترتدي كما يليق بشريكة حياتك. يخيل اليّ اني ابصر ليونتي يستقبلكما ويضمكما الى صدره بشوق ولهفة تستدرّ من عينه دموع الفرح والغبطة. ويطلب الصفح منك انت ابنه كما لو كنت أباه بالذات. ويقبل يدي اميرتك الشابة، موزعاً بين خشونته ونعمته، طارداً سيئاته الى الجحيم ومكبراً حسناته بعواطف اسرع من الوقت ومن الفكر.

فلوريزال : يا كميليو النبيل، لكي ابرر زيارتي، بأية حجة تنصحني بأن أنذرع؟  
كميليو : تدعي بأن والدك الملك اوفدك لتنقل اليه تحياته وتقدم له تعازيه. اما الأسلوب الذي يجب عليك ان تنتهجه حياله والأمر التي تحتم اللياقة عليك ان تطلعه عليها كأنها من قبل ابيك عن اسرار نعرفها نحن الثلاثة فقط، فسأكتبها لك وأدلك على ما ستبلغه اياه بنبدأ بنبدأ في كل مقابلة بشكل يقنعه بأنك حائر على ثقة والدك الكاملة وانك تعبر عما يخالج صميم فؤاده.

فلوريزال : انا شاكر غيرتك، لأن رأيك هذا هو عين الصواب.  
كميليو : هذا أولى من اندفاعك وراء المغامرة، في مياه غير مأمونة الى شواطئ ضائعة تحيق بها جبال جرداء وعرة لا مجال لحمايتك من حدة انحداراتها الا اذا عرفت كيف تتحاشى هواتها المسحقة، وأنت على يقين بأن مرساتك في تلك الأمواج الهائجة لا تقوى على ابقائك حيث انت بدون ان تجعل اليأس يتطرق الى نفسك. على كل حال، انت تعرف ان الإزدهار هو آمن وثاق بين المحيين لأن هواهم عرضة للفتور والتقلب تحت وطأة اليأس والشقاء.

برديتا : هذا نصف صحيح. فالحزن يذوي الوجه، لكنه لا يشوه العواطف.  
كميليو : أجل، الأمر كما تقولين، وأنا أشك بأن أباك من الآن الى ما بعد سبعة أعوام لن ينجب فتاة اخرى تضارعك وسامة وפטنة.  
فلوريزال : يا عزيزي كميليو، هي متفوقة علينا في قدرها كما نحن متفوقون عليها بالمولد وعراقة النسب.

كميليو : لا يسعني الا القول بأن نقص ثقافتها مؤسف جداً، لأنها تبدو كأنها تنتمي الى فئة أنصاف المتعلمين.

برديتا : العفو، يا سيدي. ان تورّد وجنتي شكر صريح صادق موجه اليك.  
فلوريزال : ما احلاك يا حبيبي برديتا! يوسفني ان ألقت انتباهك الى ما نسير عليه من الشوك. يا كميليو، يا منقذ ابي ومنقذني الآن، يا طيب نفوسنا، أرجوك أن تقول لي ما العمل؟ أنا غير مؤهل كما يترتب على ابن ملك بوهيميا ان يكون، ولا يسعني ان اظهر في صقلية.

كميليو : لا يفلت لك بال من هذه الناحية، يا مولاي. أظنك تعلم ان نصيبك البقاء في هذه البلاد، وأود ان تكون مرتدياً ما يليق بالملوك كأنك تقوم مقامهم. أؤكد لك على سبيل المثال انك لن تحتاج هنا الى أي شيء. (كميليو وفلوريزال وبرديتا ينسحبون جانباً).

اوتوليكوس ( يدخل ) : الاستقامة المغفلة نوع من الهوس، والثقة العمياء أختها في البلاء. فما اسخفهما! لقد بعث كل ما كان لدي من لوازم الزينة البراقة: كالأحجار الكريمة والأشرطة والبُور وأنية العنبر والمشابك والدفاتر والأعاني

والمسكاكين والزنانير والقفازات وسيور الأحذية والأساور والخواتم، ولم يبق لدي من سلع تملأ جعيتي. لقد تراحم الناس عليّ لشراء اصنافي كأن تحفي مقدسة الخير والبركة على من يفتنيها. بهذه الطريقة رأيت انها كانت تستحوذ على احلى بسماتهم، وما عانيت حسبه كأنه من مكاسبي. اما القروي الذي لم ينقصه الا القليل لكي يكون رجلاً نبيهاً، فكان غارقاً في شوقه الي اغاني هؤلاء الفتيات حتى انه مد يده الي جيبه قبل ان يحصل على النغم والكلام. وهذا ما اجتذب الي باقي القطيع وجعل الجميع بلا استثناء آذاناً صاغية اليّ. فكان باستطاعتي أن أسلب أية ابنة حواء بدون أن يشعر أحد بذلك. ولم يكن أسهل عندي من سحب اية محفظة من جيب أحرص رجل، ومن استهواء المهج المكيلة بأمتن السلاسل. اذا فقد الجميع السمع والبصر والاحساس ليصفوا الي أنشودة الأستاذ وليعجبوا بنكاته الظريفة. لذلك اغتنت فرصة هذه الغيبوبة لأفرغ معظم الأكياس الغاصة بالنقود بمناسبة العيد. ولو لم يفاجئني العجوز وهو يمشغم لاثما ابنته وابن الملك، او لم يروّع ضحاياي لما كنت تركت كيباً واحداً في حوزة هذا الجيش من الأغبياء. (يعود كميليو وفلوريزال وبرديتا الي مقدمة المسرح).

كميليو (فلوريزال) : أجل، لكن الرسائل التي اتت في وقت وصولك، قد بددت هذا الريب.

فلوريزال : والأجوبة التي يعطيها الملك ليونتي؟

كميليو : سترضي والدك حتماً.

برديتا : أتني لك النجاح. لأن كل ما تقوله يبدو لي مقنعاً.

كميليو (وهو يصراوتوليكوس) : من الموجود معنا؟ دعنا نستخدم هذا الرجل غير سامين عن كل ما من شأنه ان يساعدنا.

اوتوليكوس (على حدة) : لو سمعني احد قبل لحظة لما نجوت من المشقة. كميليو : لماذا ترتجف هكذا، يا صاح؟ لا تخف، يا صديقي، لأننا لا نريد بك شراً.

اوتوليكوس : انا متسؤل مسكين، يا سيدي.

كميليو : ثابر على عملك، فلا أحد ينوي أن يحرملك هذه الوضيعة. أمّا

ما يختص بمظاهر فقرك فسنجري عليها بعض التغيير: إخلع ثيابك حالاً لأن القضية عاجلة، وتبادل ملابسك وهذا الوجه. ومع ان الربح في هذه العملية ليس بجانبه سينوبك حتماً بعض الكسب في هذه الصفقة. (يعطيه كيس نقوده).  
اوتوليكوس: انا متسول مسكين كما قلت لك يا سيدي. (على حدة) لقد عرفتك يا غشاش.

كميليو: ارجو ان تعجل لأن هذا الوجه قد خلع نصف ثيابه.  
اوتوليكوس: أتتكلم جدياً، يا سيدي؟ (على حدة) اني أشم رائحة خبثك، يا أفاك.

فلوريزال: ارجوك، ثم ارجوك ان تعجل.  
اوتوليكوس: لا انكر اني قبضت العربون. لكن ضميري لا يطاوعني على الاحتفاظ به.

كميليو: فك ازراك، هيا فك ازراك. (فلوريزال وأوتوليكوس يتبادلان ملابسهما). (لبرديتا) انت محظوظة ابنتا الأميرة. وأتمنى ان تتحقق نبوءتي في ما يتعلق بك. انسحبي الى ملجأ امين. ضعي قبعة حبيك على رأسك وانزليها حتى حاجبيك، واخفي وجهك بلكام. ثم شعثي ثيابك. وعلى قدر الإمكان اخفي معالم جنسك كي تتمكني من الوصول الى السفينة بدون ان يعرفك احد لأنني اخشى عليك من الأنظار المتطفلة.  
برديتا: ها انا اراها، والحجرة مرتبة بشكل يدل على اني سأمثل دوراً في المسرحية.

كميليو: هذا لا غنى عنه. (لفلوريزال) هل انتهيت من تجهيز نفسك؟  
فلوريزال: اذا صادفت الآن ابني لا يمكنه ان يعرف اني ابنه.  
كميليو (لبرديتا المتكررة): لا تنظري الى قبعتك. تعالي، يا سيدي، تعالي من هنا. (لأوتوليكوس) وداعاً يا صاحبي.  
اوتوليكوس: وداعاً، يا سيدي.

فلوريزال: يا برديتا، ماذا نسينا كلانا؟ كلمة واحدة من فضلك.

(يتنحي بها جانباً)

كميليو: اول ما سأفعله هو اخبار الملك بهربهما وبالوجهة التي سلكاها.

وَأمل هكذا، بما لي من نفوذ، ان ادفعه الى اللحاق بهما وبدافتته ابلغ  
صقلية التي فاض بي الشوق كالنساء الى رؤيتها.  
فلوريزال : ارجو ان يحالفنا الحظ. فلتتجه نحو الشاطئ، يا كميليو.  
كميليو : والأسرع هو الأفضل.

(بخرج فلوريزال وبردنيا وكميليو).

اوتوليوكوس : الآن فهمت اللعبة واستوعبتها. علي ان أرهف أذني وأن أفتح  
عيني وأن أخفف يدي لأن هذه كلها لا غنى عنها لاختلاس اكياس النقود،  
وكذلك الأنف السليم الشم والاستعانة اثناء العمل بسائر الحواس. في هذه  
الأيام، كما ارى، ليس سوى الرجل الشرير الذي تزدهر اشغاله (ينظر الى  
ملابسه) صفقة موفقة بدون ان احسب للرشوة اي حساب. (يزن بيده كيس  
النقود) أية رشوة احصل عليها سأعتبرها علاوة. لا شك في ان الآلهة  
تحالفنا هذه السنة وما علينا الا ترقب جميع المفاجآت. فالأمير نفسه منشغل  
في عملية مشبوهة. ويتوارى عن نظر ابيه وهو يجز القيود التي تثقل قدميه.  
ولو لم أعتقد بأن تتيه الملك عمل شريف لكنك قمت بذلك فوراً، غير  
اني اجد المكر أنجح في اخفاء الأمر وبهذا اكون حقاً اميناً لمهنتي.

(يدخل المهرج والراعي)

لأقف جانباً وأترقب. هذه عملية جديدة تصدر عن دماغ نشيط. فليس  
من طريق او دكان او معبد او عقد جلسات او شئ مجرمين لا يؤمن  
عملاً للرجل المجتهد.

المهرج (للمراعي) : انظر، انظر. ماذا تفعل الآن؟ ليس من مصدر رزق وافر  
سرى اعلام الملك بأنها ابنة لقيطة، وانها ليست من لحمه ودمه.

الراعي : كلمة واحدة تكفي.

المهرج : أجل كلمة واحدة.

الراعي : اكمل اذاً.

المهرج : قل له: لقد تبين لي انها ليست من لحمك ودمك، لأن لحملك  
ودمك لا يهينان جلالتك. لذلك لا سبيل الى لحملك ودمك ان يتالا العقاب.  
ثم اره جميع الأدلة التي وجدتها حولها وكل العلامات التي يعرفها الجميع،

فضلاً عن ألبستها. وهذا، أؤكد لك، يجعلك تستفيد حقاً وأنت تستعين بالقانون.

الراعي : سأروي للملك كل ذلك كلمة كلمة. سأخبره بانحرافات ابنه الذي، استطيع القول عنه انه لم يحسن التصرف كرجل شريف، لا نحو ابيه، ولا نحوي، حين سعى لتزويجي ابنة الملك.

المهرج : صهر الملك، هذا أقل ما يمكنك ان تصبح بالنسبة اليه. حينئذ تغدو أمة دمك لا تقدر بشئ.

اوتوليكوس(على حدة) : هذا تليل لا بأس به، يا محتال.

الراعي (ياخذ رزمة) : هيا نقابل الملك. ففي هذه الرزمة ما يكفي ليحير أرجح العقول.

اوتوليكوس (على حدة) : لست أدري ماذا سينجم عن هرب سيدي الصغير. المهرج : أتمنى من كل قلبي ان يكون في القصر.

اوتوليكوس : مع ان الشرف ليس من صفاتي، يا للأسف، فقد يتسنى لي ان اكون شريفاً بالصدفة. لذا عليّ ان اخفي ما يشير الى اني بائع متجول. (ينزع لحيته المستعارة ثم يتقدم نحو الراعيين) الى اين تذهبان في هذا الإتجاه، ايها القرويان؟

الراعي : الى القصر، اذا اذنت لنا، يا محترم.

اوتوليكوس : هل تستدعيك الى هناك بعض القضايا؟ وما هي؟ ومع من؟ ماذا تحوي هذه الرزمة؟ اين تقطن؟ ما هو اسمك وعمرك؟ ماذا تملك وما هي احوالك؟ اجبني بكل دقة عما يمكن ان تعرف به عن شخصك بصدق وصراحة.

المهرج : انا ورفيقي من ألطف الرجال، يا مولاي.

اوتوليكوس : هذا كذب ونفاق. كل واحد منكما أخبت من رفيقه. انا لا أريد ان يكذب عليّ احد. فالكذب يصلح للتجار الذين غالباً ما يفشوننا نحن رجال السلاح. ما دمتنا لا بحد السيف بل بالنقود الفضية نشترى ما يحلو لنا، فلا خطر من ان يقدموا لنا مجاناً حتى تكذب ما يتفوهون به. المهرج : كنت سيادتك على وشك ان تحفني بهدية لو لم تسحبها بأدب.

الراعي : لا تغضب يا سيدي. هل انت من رجال الحكم؟  
اوتوليكوس : ان غضبت او لا، فأنا من رجال الحاشية. أولاً ترى مظاهر  
الحكم متجلية على ملابسني هذه؟ أوليس في خطواتي وقع البلاط؟ أولاً يشم  
انفك رائحة البلاط الفاتحة مني؟ أولاً تتعكس على دناءتك انفة اهل البلاط؟  
أوتظن، لأنني سألتك ان تفيدني مفصلاً عن احوالك الشخصية، انني لست  
من رجال الحاشية؟ انا من اهل البلاط من قمة رأسي الى أخمص قدمي،  
وأستطيع على هواي ان أسهل او أعرقل لك قضايك في البلاط الملكي.  
لذلك أنذرك بأن تعلمني فوراً عن كل ما يمت اليك بصلة.  
الراعي : انا قادم لأقابل الملك.

اوتوليكوس : ومن يتوسط هناك بينك وبينه؟  
الراعي : بكل صراحة، لست ادري.

المهرج (بصوت خافت للراعي) : هل التوسط في لغة البلاط معناه الرشوة؟  
صارحني بأن ليست لديك نية من هذا القبيل.  
الراعي : انا ليس لدي ديك ولا دجاجة ولا طيور أهديها.  
اوتوليكوس : كم نحن سعداء اذاً بكوننا رجالاً غير بسطاء! مع ذلك كان  
بامكان الظروف ان تجعلنا نولد مثلهم. لذلك علينا ان لا نتشامخ على اي  
انسان.

المهرج (للالراعي) : لا بد من ان يكون سيادته احد كبار رجال الحاشية.  
الراعي : ان ملابسه تدل على ثرائه. لكنه لا يرتديها بأناقة.  
المهرج : يلوح لي ان نبهه ما يعادل ما يديه من عجرفة. وأؤكد لك انه شخصية  
كبيرة وقد عرفت ذلك من اسنانه النظيفة.

اوتوليكوس (للالراعي) : وهذه الرزمة، ماذا تحوي؟ وماذا يوجد في هذا  
الصندوق الصغير؟

الراعي : في داخل هذا الصندوق وهذه الرزمة اسرار يجب ان لا يطلع  
عليها الا الملك نفسه، وسيعرفها قبل مرور ساعة، اذا تمكنت من التحدث اليه.

اوتوليكوس : اين، يا ترى، ضيقت شيتي؟  
الراعي : لماذا تقول هذا، يا سيدي؟

اوتوليكوس : لأن الملك ليس في القصر. لقد ذهب على متن سفينة الجديدة للترويج عن نفسه وتبديد كآبته، وتنشق الهواء النقي. فان كنت مطلعاً على الأمور الهامة، علمت ان الملك يشكو من آلام شتى.  
الراعي : هذا ما يقال، يا سيدي. والسبب هو ابنه الذي ينوي ان يتزوج ابنة احد الرعاة.

اوتوليكوس : اذا كان هذا الراعي لم يقع بعد في يد العدالة، عليه ان يهرب سريعاً. لأن ما سيقاسيه من العذاب وسيتابه من الألم يكسر ظهر رجل صنديد ويحطم قلب غول شرس.

المهرج : أتظن ذلك؟

اوتوليكوس : لن يتحمل وحده كل ما تتدعه مخيطة من عذاب أليم وانتقام مرير، انما جميع اهله ايضاً حتى الجيل الخمسين من ذريته ستمر أعناقهم في حبل المشنقة. هذا مؤسف حقاً، ولكن لا غنى عنه. هذا الملعون، سارق الماعز، مربى الخراف، يريد ان يجعل من ابنته اميرة صاحبة سمو. يقول البعض ان عقابه يجب أن يكون الرجم بالحجارة. لكن هذه الميتة لطيفة بالنسبة الى جرمه كما اقول انا، ونظراً الى فظاعة تحويله عرشنا الى زريبة مواشي تكون ميتة كهذه أهون الميتات وألطفها رغم قساوتها.

المهرج : هل رزق هذا العجوز في حياته ابناً، يا سيدي؟ هل سمعته يعلن ذلك؟ ارجوك ان تفيدني، يا سيدي.

اوتوليكوس : له ابن يستحق ان يسلخ جلده حياً، ثم ان يدهن عسلاً ويوضع في وكر الزنابير، حيث يُستبقى حتى يدب الموت في ثلاثة أرباع جسمه، ثم ينقع في الكحول او غير مادة محرقة وهو متضرج بدمائه في أحر يوم يتوقعه تقويم المناخ ويعرض على حائط من القرميد وقد حُمته أشعة الشمس الحادة حتى يمسى طعنة الذباب. لكن ما نفع التحدث عن هذين المسخين، هذين الخائنين اللذين تبسم لآلامهما، لأن اثمهما هائل فظيع؟ ألا قل لي، لأنك رجل حرّ شريف، ماذا تريد من الملك ؟ فيقدر ما تفصح عن رغبتك التي أظنها تستحق الأخذ بعين الإعتبار، بقدر ما يسهّل لك ولرفيقتك اصطحابكما معي ومثولكما بين يدي الملك، بعد ان أهمس كم كلمة مناسبة في أذنه

لصالحكما، فان كان هناك رجل بعد الملك يتسنى له خدمتكما فهو، بدون شك، انا الواقف امامكما.

المهراج (بصوت خافت للراعي) : يبدو لي انه واسع السلطة والنفوذ، فاقرب منه واعطه بعض القطع الذهبية. ومهما كانت السلطة كالذب الخشن فقي اغلب الأحوال يجعلها الذهب أطوع من بنانك. أره ما بداخل كيس نفودك وبدد عنك كل قلق، ثم تذكر ما قال: سيرجم ويسلخ جلده حيا.

الراعي (لأوتوليكوس) : اذا تنازلت، يا سيدي، ودبرت لنا امرنا، فلك هذه القطع الذهبية. وأستطيع ان أتخفك بغيرها ايضاً. وسأترك لك هذا الشاب رهينة الى ان أسلمك المبلغ بكامله.

اوتوليكوس : سيتم ذلك عندما أفي بوعدتي طبعاً.

الراعي : أجل، يا سيدي.

اوتوليكوس : حسناً. على كل حال اعطني نصفه (يدس في جيبه القطع الذهبية التي يناوله اياها الراعي. للمهراج) هل انت شريك في القضية؟ المهراج : الى حد ما، يا سيدي. لكن مهما كان حالي يرئى له، ارجو ان لا يسلخ جلدي وأنا حي.

اوتوليكوس : هذا حال ابن الراعي فقط. سيثق ويجعل عبرة لمن يعتبر. المهراج : هذا مطمئن للغاية. هيا نذهب لمقابلة الملك. ولنظهر امامه بهيئة مرضية. يجب ان لا يعرف انها ابتك ولا اختي. وإلا هلكنا معاً. سأعطيك يا سيدي، بقدر ما استلمت من العجوز عندما تقضي حاجتي. وأنا أمكث عندك كرهينة، حسب ما قال، الى ان تستلم كامل المبلغ.

اوتوليكوس : اني أؤمنك على الباقي. تقدما نحو الشاطئ والفتا الى اليمين. سألقي نظرة على ما وراء السياج ثم أتبعكما.

المهراج : بارك الله همة هذا الرجل.

الراعي : هيا نتقدم كما طلب منا. حقاً لقد ارسله السماء لإنقاذنا.

(يخرج الراعي والمهراج)

اوتوليكوس : كم وددت ان اكون شريفاً. لكن حظي لم يسمح لي يوماً بذلك. وها هو قد وضع اللقمة سائفة في فمي. فعلي ان أنعم الآن بحظين

لا يستهان بهما: حصولي على الذهب الوافر، وفرصة استخدام نفوذ سيدي الأمير. ومن يدري كم سيعجل ذلك على تقديمي في المكانة والرفعة؟ سأقود هذين المغفلين الى السفينة كأعميين. فان حسن لديه ان يستمع اليهما فخير على خير، واذا وجد ان الإزعاج الذي أسببه له في غير محله، فليعاملني كمحتال أفك ان شاء، ويعلمني كيف أتصرف في المستقبل كوسيط. انا الآن رهن التجربة التي تعرضني اما للمذلة وإما للمفخرة. على كل حال، سأقدمها للأمير، فربما وجد لحالهما بعض الفائدة.

## الفصل الخامس

### المشهد الأول

#### في صقلية — في القصر الملكي

(يدخل ليوتي وكليومان وديون وبولين وبعض رجال الحاشية)

كليومان (لليوتي): لقد اشتغلت كثيراً يا مولاي، ووفيت قسطك من التعب والعذاب، مع انك لم ترتكب اثماً لكي تكفر عنه. ولقد عوضت بالتوبة عن جميع اخطائك. اخيراً، افعل ما تطلبه منك السماء، وانس الشر وسامح كما غفر لك من اسأت اليهم.

ليوتي: ما دامت ذكرها محفوظة في صدري وفضيلتها حاضرة في ذهني لن اتفاضى عما ألحقته بي من قلق وهم يثبط عزيمتي ولن أغفل عما تركته في نفسي من تخاذل وخنوع، اذ أبقيت عرشي بدون وريث وعجلت بالموت على رقيقة عمري التي لم يأمل زوج بالحصول على مثلها.

بولين: هذا صحيح يا مولاي. ولو تسنى لك ان تقترن بفتيات العالم، واحدة فواحدة، وأن تقطف من كل منهن زنبقة جمالها لتجعل منها امرأة كاملة الأنوثة، ستظل التي قتلها متفوقة على جميع بنات جنسها.

ليوتي: انا مؤمن بذلك. تقولين اني قتلها. أجل، انا ارتكبت هذه الجريمة النكراء، وتذكيري بها هكذا أعده طعنة نجلاء من يدك في صميم قواذي.

فهذا اللوم على شفتيك اقسى بما لا يقاس مما هو في ضميري وأمر الف مرة من العلقم. ارجوك ان تكوني رقيقة العاطفة، ومن الآن وصاعداً ان لا ترددي هذا على مسمعي الا نادراً.

كليومان : لا تكرري ذلك ابداً، يا سيدتي. اذ يمكنك ان تسردني لي الف حكاية انسب منها تبرز طيبة قلبك.

بولين : انت تمنى ان تراه متزوجاً ثانية.

ديون : ان لم يندرج هذا في تمنياتنا، نصبح بلا رحمة تجاه الدولة، ولا هم لنا حيال ذكرى اسمه العظيم. انت قلما تفكرين بالأخطار المحيطة بالمملكة وهي على وشك تفكيك الأجيال الصاعدة وقرضها في حال عدم ايجاد ولي عهد يستلم زمام العرش من بعده. هل من خير افضل من التمتع بالغبطة التي كانت الملكة الراحلة تنعم بها؟ ليس اصلح من السعي الى توطيد أركان السلطة لتأمين الحاضر واناخذ المستقبل، ومن اعادة الهناء الى سرير صاحب الجلالة على يد رقيقة جديدة حلوة وقيّة.

بولين : ليس من امرأة تليق بمقامه بعد التي غابت. علي كل حال، تعمل الآلهة على تميم مشيئتها الغامضة. أولم يعلن الكاهن الأكبر ابولون الوقور، في نص ارشاده ان الملك ليونتي لن يكون له وريث قبل ان يلتقي ولده الضائع. أملنا وطيد بأن يرجع هذا المفقود فيحقق لنا أعلى آمانينا وأحلامنا كبشر. اذ لا يسعنا أن نتصور رؤية انتيغون يفتح قبره ويعود اليّ، هو الذي لا أشك بأنه هلك كما هلك ولده. وأنت ترتني أن يقاوم الملك مشيئة السماء ويعاكس ارشادها. (اليونتي) لا تهتم بأمر الخلف، فالعرش لن يعدم وريثاً يعتليه. الإسكندر الكبير ترك عرشه لمن بين أعوانه كان الأجدر، وهكذا تسنى لخلفه ان يحظى بمصير افضل.

ليونتي : يا بولين الكريمة، انا اعلم انك تحفظين لهرميون اغلى ذكرى وأكبر اعجاب. وأنا ألوم نفسي على عدم اصغائي الى نصحك. الآن فقط أنأمل في عيني زوجتي الملكة ياكبار، وأتمنى أن أجنّي من جديد ثروة من الحنان بقربها. بولين : وأن ترعاها اكثر من ذي قبل بالحب والهناء.

ليونتي : حقاً ما تقولين. وبما ان لا امرأة أولى منها، فلا زواج موقفاً ينتظرني

بعد اليوم. أنا أختار امرأة غيرها لا توازيها بالحسنات، وأخصها بمعاملة أجود منها؟ هذا يكفي لكي تعود روحها الطاهرة الى جسدها وترجع الى مسرح هذا العالم حيث كنا نتلقى كلانا كمدنيين آهات النفس المعذبة. لماذا كنت أقل عطفاً عليها؟»

بولين : لو كانت تتمتع بالمقدرة، لحق لها ان تصرف على غير هذا النحو. ليونتي : لقد كانت مقتدرة، ولو كانت لا تزال على قيد الحياة لحرصتني على قتل المرأة التي قد أتزوجها.

بولين : لو كنت ظلها الهائم على الأرض لفعلت مثلها وأندرتك بأن تنعظ بسحنة هذه المرأة الغريمة، وسألتك ما الذي اعجبك في ملامحها الغريبة حتى اخترتها؟ ولصرخت عندئذ على مسمعها بصوت عالٍ يصم الآذان هذه الكلمة الوحيدة: « تذكّرني »

ليونتي : كانت نظراتها كالكوكب النيرة، بينما غيرها كانت عيونها كالفحم المطفي. لا تخشى عليّ من امرأة سواها لأنني لا أنوي ان أتزوج، يا بولين. بولين : اقسم لك انك لن تتزوج، الا اذا وافقت انا بحرية وعلانية.

ليونتي : أبداً، يا بولين. أقسم لك بأعز ما لديّ اني لن أتزوج. بولين (لرجال الحاشية) : أرجوكم، يا سادتي، ان تشهدوا على يمينه. كليومان : انت تلزمينه بتجربة قاسية جداً.

بولين : الا اذا اعترضت سيبله امرأة اخرى شبيهة بهرميون كصورة طيق الأصل عنها.

كليومان : سيدتي الكريمة.

بولين : لقد انتهى الحديث. (لليونتي) مع ذلك اذا شئت، يا مولاي، ان تتزوج وأنت بحاجة ماسة الى ذلك، كما ألاحظ، فوضني ان أختار لك الملكة الجديدة التي لن تكون شابة نظير الأولى، لكنها ستكون مدعاة فرح للملكة المتوفاة، لو عادت، بأن تراها بديلة عنها.

ليونتي : عزيزتي بولين الوفية، لن أتزوج الا عندما ترضين بذلك. بولين : سيتم الأمر حين تقوم الملكة الأولى من بين الأموات، وإلا لن يحدث ذلك مطلقاً.

(يدخل احد الوجهاء)

الوجه : هناك شاب يدعى انه الأمير فلوريزال ابن بولكسان، تصحبه اميرة من اجمل ما شاهدت عيناى من حسان، يريد مقابلة سموك.

ليونتي : لماذا لا يأتينا كما يقتضيه مقام والده؟ فوصله المفاجيء بدون موعد يوحي اليّ بأن زيارته غير قانونية، لكنها ضرورية بحكم الأسباب القاهرة او الطوارئ. فما هو مستواه؟

الوجه : يرافقه عدد قليل من الأشخاص مظاهرهم جميعاً زرية.

ليونتي : أتقول ان اميرة تصحبه؟

الوجه : أجل، وبرأيي هي نصيب ليس له مثل على الأرض، ولم تشرق الشمس على صبية افضل منها.

بولين : يا هرميون، ها هو الحاضر يتشامخ على الماضي الأولى منه بما لا يقاس. وعلى هذا الأساس يتسابق الى القبر ما نراه اليوم يتراكم متزاحماً على وجه الأرض. (للوجه) انت قلت لي ان ليس لشخصها شيه. وهكذا كانت في الماضي أشعارك تفيض اعجاباً بجمال الملكة، فما هذا التراجع المؤسف من قبلك؟ يبدو عليك انك تدعى العثور على من هي أكمل منها فضيلة وبهاء.

الوجه : عفواً يا سيدي. الأولى كدت أنساها فسامحني. اما الثانية فمتى ألفها نظرك ستحوز حتماً على رضاك. فهي امرأة، في حال تصميمك على تأسيس أسرة جديدة، قادرة على تبديل عواطفك القديمة، واستهواء جميع عارفيها واستقطاب اعجابهم بلا استثناء.

بولين : ماذا تقول؟ حتى النساء؟

الوجه : سيحبها النساء لأنها امرأة متفوقة على معظم الرجال، والرجال لأنها جوهر نادرة بين جميع بنات حواء.

ليونتي : ها يا كليومان، جئنا بهؤلاء الضيوف، انت وجميع اصحابك النبلاء. (يخرج كليومان مع رجال الحاشية والوجه) ان مجيئهم المفاجيء حقاً لأمر غريب.

بولين : اذا كان اميرنا الشاب، لؤلؤة البنين، حيا في هذه الآونة لكنا نراه

نظيره تماما. اذ ليس بينهما من فارق في العمر سوى شهر واحد.  
ليونتي : ارجوك ان تكفف عن الكلام. انت تعلم انه لا يحجم حتى عن  
الموت في سبيلي عند الإقتضاء. لا شك في انك، عندما أقابل هذا الوجه،  
ستقودني بأقوالك الى التفكير بشكل يسد علي منافذ المعقول. ها هم آتون.  
(يدخل كليمان وفلوريزال وبردنيا والحاشية)

كانت والدتك امينة في حظيرة الزواج ايها الأمير الشهم لأنها منحت  
والدك الملك نسلًا مثاليًا عندما جلت بك. لو كان لي من العمر احدى  
وعشرين سنة فقط لتجلت لعينيك صورة ابيك في هيتك الحالية، فأنت  
وسيم الطلعة تطفح صحة وحيوية الى حد اني أود ان ادعوك اخي كما  
كنت ادعوه، وكنت حدثتك عن بعض ألعيب صيبانية كنا نقوم بها معاً  
في ذلك الزمان. فأهلاً بك وبأميرتك الحلوة التي تضارع الآلهة سحراً وبهاء.  
واحسرتها، لقد فقدت شاباً وصيبة، لو ظهرا الآن بين الملاء، لكانا انجبا  
أنجالا يوازونكما بالركة والوسامة. ثم لشدة هوسي فقدت مودة والدك وصداقته.  
فما أثقل هذا البؤس والشقاء الذي يجثم كالكابوس على صدري. واليوم  
لا أتمنى على الحياة الا ان تجمعني به ولو مرة واحدة لأطفيء لظي شوقي اليه.  
فلوريزال : بناء على اوامره نزلت الى شواطئ صقلية، وقد كلفني ان أقدم  
لك من قبله أصدق تمنياته كملك صديق يستطيع ان يهديها الى اخيه الحبيب.  
ولو لم يضعف العجز، بسبب تقدمه في السن، من قواه البدنية اللازمة لتحقيق  
اللقاء، لكان هو نفسه اجتاز البر والبحر الذي يفصل بين عرشكما لكي  
يشاهدك لفرط ما يحفظه لك في أعماق قلبه من محبة واخلاص وقد كلفني  
بأن أتوب عنه بالتعبير لك عن مشاعره هذه وهي اغلى عليه من التاج  
والصولجان.

ليونتي : اهلاً بك يا اخي الشهم الكريم. ان ما بدر مني نحوك من شكوك  
وأذى يحرك من جديد عذاب ضميري. وبوادر طيبة قلبك للترحيب بي  
ولرعايتي ما هي في الحقيقة الا اتهام صريح لي بأن تقصيري طال مداه.  
فدعني أرحب بك كما تستقبل الأرض جمال الربيع. (يشير الى بردنيا) هل

عرّض بولكسان هذه التحفة الرائعة للمخاطر والمتاعب، لتأتي وتسلم على رجل لا يستحق كل هذا الإهتمام والإنزعاج.

فلوريزال : هي آتية من ليبيا، يا مولاي.

ليونتي : حيث المقاتل أسمالوس النبيل الشهير الذي يرهبه ويجله الجميع. فلوريزال : نعم، من تلك الاصقاع نحن آتون، يا مولاي. وقد غادرناه وهو حزين دامع العين لأنه فارق ابنته لأول مرة. ومن هناك دفعنا الرياح الجنوبية ووجهتنا الى طرفكم لتنفيذ الأمر الذي اصدره اليّ والذي بزيارة سموك. وحين وصلت، ارجعت عدداً كبيراً ممن رافقني من الرجال ليعودوا الى بوهيميا ويخبروا بما لقيته من نجاح في ليبيا وبوصولي الميمون مع زوجتي الى بلادكم المضيافة.

ليونتي : نطلب من الآلهة الأجلّاء ان يطهروا أجواءنا من كل رجس ما دمت أنت فيما بيننا. ان والدك رجل قديس وسيد فاضل، أخطأت أنا بحقه رغم صلاحه وشهامته. فلمعاتبي، حرمتني السماء من ولديّ الحبيين، بينما هو باركه ومنحته فيك ابناً جديراً فاضلاً معزراً. فما اسعدني ان يتسنى لي في هذه اللحظة ان أقر عينا بابن وابنة رائعين نظيركما.

(يدخل وجه)

الوجه : ايها المولى الكريم، ان ما سأنبئك به يكاد لا يصدق، ولو كانت الدلالة على حقيقته قرية جداً. اسمح لي ايها المولى العظيم ان انقل ما كلفني به ملك بوهيميا من عاطر السلام، وأن اطلب منك ان تعقل ابنه بصرف النظر عن مقامه الرفيع وما يستوجب من اكرام، لأنه تخلى عن والده وعن مستقبله وهرب بصحبة ابنة احد الرعاة. ليونتي : اين ملك بوهيميا؟ تكلم.

الوجه : هنا في المدينة. وقد تركه منذ لحظة. ان حديثي المتقطع يرر دهشتي ورسالتي. فقيما هو مقبل الى بلاطك، بدون شك، لملاحقة الشاب والصبية الهارين صادف في الطريق والد المدعية بأنها اميرة بصحبة اخيها، وقد غادر الثلاثة بلادهم خلصة.

فلوريزال : كميليو خائني وهو الذي صان شرفه ورفاهه حتى الآن في وجه جميع العواصف التي هبت عليه في البلاط.  
ليوتي : من؟ كميليو؟

الوجه : لقد تحدثت الي كميليو، يا مولاي. وهو الآن يستجوب هؤلاء الأشخاص المساكين. لم أبصر في حياتي احداً تصطك ركبته من شدة الخوف هكذا. هم جاثون يقبلون الأرض ويحلقون بعظماء الآلهة لدى كل كلمة يلفظونها. بينما ملك بوهيميا يسد أذنيه عن سماعهم ويتهمهم بألف جريمة وجريمة.

بردنيا : مسكين والدي! لقد سلمتنا الأقدار الي أيدي الجوايسس لأنها لا تريد ان يتم زفافنا.  
ليوتي : هل انتما متزوجان؟

فلوريزال : لا، لم تزوج بعد، يا مولاي، ولا حظّ لنا بتحقيق هذه الأمنية على ما يبدو. سابقاً كما ألاحظ كانت النجوم تنحني لتقبل الوديان. اما اليوم فأرانا ضحايا لعبة مأكرة.

ليوتي (يشير الي بردنيا) : هل هي ابنة ملك، يا مولاي؟  
فلوريزال : أجل، حالما تصبح شريكة حياتي.

ليوتي : هذه المرة، اذا حكمت من خلال استعجال ابيك، فان تحقيق هذا الحلم يستغرق بعض الوقت. انا مستاء جداً لكونك قطعت حبل مودة يربطك بها الواجب النبوي. وأنا مستاء كذلك لكون عروس احلامك غير غنية بالصفات الحميدة كما هي ثرية بالمال لتستحق ان تكون من نصيبك.

فلوريزال (لبردنيا) : ارفعي رأسك عالياً، يا عزيزتي. عندما يصبح الحظ عدونا المنظور ويتضافر هو وأبي، ويتكبران كلاهما لنا بغية تحطيم امانينا، فلا قوة في الدنيا تستطيع ان تنال من جننا وتفصل بيننا. (لليوتي) أستحلفك يا مولاي ان تذكر ايام كنت في مثل عمري وفي مثل وضعي، وأن تذكر ايضاً اشواقك في ذلك العهد البهيج لتدافع عن قضيتي. فان والدي لا يسمع أن يرفض لك طلباً مهما كان عسيراً بل يستسهل الصعب اكراماً لك.

ليونتي : اذا كان الأمر كما تقول، سأطلب منه ان يرضى بخطيتك ويبارك زفانكما.

بولين (لليونتي) : مولاي الملك، ارى في محيّاك نضارة الشباب الغض. قبل وفاة الملكة بشهر، كانت المسكينة تستحق منه نظرة الإعجاب هذه التي تشع الآن من عينيك، ولم تمنحها اياها.

ليونتي : كنت أفكر فيها اثناء تأملاتي الأخيرة. (لفلوريزال) لكنني لم أرد بعد على سؤالك. أنا ذاهب الى والدك. وبما ان رغباتك تندرج في اطار الأخلاق الحميدة، فأنا أظل صديقكما وصديقه، وسأقبله حالاً لمفاوضته في الأمر. اتبعوني اذاً ولاحظوا خطتي في العمل. تعال يا مولاي العزيز.

(يخرج الجميع).

## المشهد الثاني

### في صقاية - قرب القصر

(يدخل اوتوليكوس وأحد الوجهاء)

اوتوليكوس : قل لي يا سيدي، هل كنت حاضراً حين انكشفت الحقيقة؟ الوجه : كنت حاضراً عند فتح الرزمة، وسمعت الراعي العجوز يقص الحادثة المذكورة. وعلى هذا الأساس، بعد فترة من الدهشة امرنا جميعاً بمغادرة القاعة. عندئذ فقط خيّل لي اني سمعت احداً يقول للراعي: ان الولد قد وُجد. اوتوليكوس : يسعدني ان أطلع على نهاية هذه القصة.

الوجه : لقد سردت لك تفاصيل الحادث. انما لاحظت بعض التبدل في تصرفات الملك وكميليو يستدعي الدهشة. يظهر لي ان الإثنين لكثرة ما أطلالا النظر احدهما الى الآخر تعبت عيناها، وكان سكوتها فصيحاً ينطق بما يخبأه في صدريهما، وكذلك حركاتها تنم عن افكارها كأنهما وقفا

على الخير اليقين من عالم عمّت فيه الرشوة والإنحلال الخلقي. وكانت علامات التعجب مرتسمة على وجهيهما. أما المتفرج البارء، حسب ما نطقت به أنظاره، فلم يستطع ان يحدد ما اذا كان الفرخ والألم قد غلبه، والأرجح هو المزيد من هذا وذلك من المشاعر المكتومة.

(بدخل وكيل بولين)

ها هوذا وكيل السيدة بولين، ويمكنه ان يزيدكم تفصيلاً. كيف تسير الأمور يا سيدي؟ ان هذا النبا الذي يؤكد البعض صحته يشبه الى حد بعيد قصة قديمة مرية. هل وجد الملك وريثه؟

الوكيل : لا خبر أصح من الحقيقة التي يئنتها الظروف. ان ما نسمعه ستوق الى رؤيته لتعدد الشواهد عليه: هناك معطف الملكة هرميون والعقد حول عنق الإبنة، ورسائل انتيفون، وعظمة مظهرها، وشبهها بوالدتها، ومعالم نبلها الذي يرفعها بطبيعة الحال فوق مستوى اوضاعها وجميع البديهيات التي تثبت بكل تأكيد انها ابنة الملك ليوتني. هل حضرت المقابلة بين الملكين؟

روجر : كلا.

الوكيل : اذاً خسرت مشهداً كان من الواجب عليك ان تراه، مشهداً لا سبيل الى وصفه. اذ كنت ترى فرحاً يتبع ذهولاً بشكل يزيل الهموم عن الصدر ويستدرّ دموع الإبتهاج. هناك أنظار شاخصة الى السماء وأيد مرفوعة الى العلاء وغموض في تعابير الملامح لا تقوى على تفسيرها العيون الفاحصة والملابس الفاخرة. وقد اخرج السرور الملك عن نفسه عندما وجد ابنته، كما لو كان هذا الفرخ قد انقلب بغتة الى ترح في مأتم شخص عزيز عليه، فصرخ : والدتك، آه من والدتك. ثم طلب السماح من البوهيمي. ثم عانق صهره، ثم من جديد ضمّ ابنته الى صدره، وأخيراً شكر الراعي المعجوز الذي ظل كجسر قديم عبرت عليه أجيال عديدة واستفادت منه سلطات مختلفة. انا لم اسمع احداً تكلم عن مقابلة كهذه شوّهت الرواية التي اوردها وتعدت كل وصف.

روجر : ارجوك ان تخبرني ماذا حل بأنتيغون الذي اخذ الطفلة.  
الوكيل : هذه ايضاً حكاية قديمة ستجد من يرويها عندما تسود الثقة وتفتح

الآذان لسماعها. لقد مزق جسمه الدب، كما يؤكد ذلك ابن الراعي، الذي روى الحادثة بسذاجة، وقد عرفت بولين منديله وختامه حالما ظهرها الى حيز الوجود.

**الوجيه :** وماذا حل بسفيته وبالرجال الذين رافقوه؟

**الوكيل :** تعرّض الجميع تحت أنظار الراعي للغرق مع سيدهم بشكل جعل كل الأدوات التي ساهمت في التعرف على الطفلة تضيع حين وجدت هي. لكن ما أنبل الصراع بين الفرح والألم الذي نشأ في نفس بولين. فتارة اجتاحت الحزن فؤادها بفقد زوجها، وطوراً إتجه املاها الى السماء حين جرت استشارة الآلهة. فأنهضت الأميرة عن الأرض وطوقتها بذراعيها، كأنها تخشى ان تفقدها وودت ان تخفيها في صدرها.

**الوجيه :** هذا المشهد الجليل يليق بالأمرء ان يشاهدوه بما ان مثليه هم من الملوك.

**الوكيل :** ان احدى حسنات هذا المنظر المؤثر الذي بهر عيوني واستدرّ دموعي أثناء سرد تفاصيل موت الملكة، وقد اعترف به الملك نفسه وأسفه له، هو لفت انتباه الإبنة الكئيبة الحزينة. فيعد ان بدرت منها دلائل الأسي، افلتت منه أنة اسف، ونزفت عيناه دمعاً، ان جاز التعبير، وأنا واثق من جهتي بأن الألم فاض من قلبه المنقبض سيلاً من العبرات. عندئذ تفتت عواطف من قد قلبه من الصخر وأغمي على كثير من الحاضرين، وأجهش الباقون بالبكاء. ولو أمكن كل من في الدنيا ان يروا ذلك المشهد، لعمّ الحداد المسكونة بأسرها.

**الوجيه :** وهل عادوا الى البلاط؟

**الوكيل :** لا، لقد حدّثوا الأميرة عن تمثال امها الذي أوكلت حراسته الى بولين. وقد استغرق صنعه عدة سنوات وأكمّله منذ عهد قريب النحات الكبير جوليو رومانو الذي تلمذ على الفنان البارغ رفائيل الذي لو تسنى له امتلاك الأبدية واستطاع نفخ روح الحيوية في اعماله لقام بوظيفة الطبيعة بقدر ما اتقن صنعه وقلد هيئتها اذ نحت تمثال هرميون على صورة هرميون الحقيقية

بمهارة لا يعوزها سوى النطق والحركة. الى هناك مضى الجسم وكلهم  
عطاش الى منهل الحب يرومون ان يرووا غليلهم منه.  
روجر: لقد خامرني الشك بأن لبولين ضلعاً في هذه القضية الهامة، لأنها  
منذ وفاة هرميون لم تأخر عن زيارة ضريحها المنفرد سيراً مرة أو مرتين  
كل يوم. هل تريدون ان نذهب وننضم الى جموعهم حيث تقام حفلة العيد؟  
الوجيه: ومن لا يود ان يكون هناك وقد تسنى له ان يحظى بامتياز قبوله  
بين الحاضرين؟ ففي كل رقة عين تحدث أعجوبة جديدة، وغيابنا عنه يضر  
كثيراً بمعرفتنا. فلنذهب.

(يخرج الوجيه).

اوتوليكوس: في تلك اللحظة فقط، لو ملكت مصير وجودي، لانهاهال عليّ  
التقدير والإكرام. فأنا الذي أوصلت الرجل الى العجوز وابنه الى السفينة  
حيث كان الأمير، وأعلمته بأنّي سمعتهما يتكلمان عن رزمة لست ادري  
ما فيها. وعن موضوع آخر لا ادري ما هو، لكنه حتى تلك الساعة كان  
مشغولاً بمن أعتقد انهما ولده وابنة الراعي، وكان قد اصابه دوار البحر  
وهو ايضاً يشكو منه، ولم يكن حاله بأحسن من حاله، فبقي السر بدون  
ايضاح. لكن ذلك لم يؤثر عليّ. فان كنت انا من اكتشف ان هناك سرّاً  
فقد جاءت بادرتي عملاً في غير محله بين العديد من اساءاتي الأخرى.

(يدخل الراعي والمهراج بملابس فخمة)

لقد احسنت الى هؤلاء عن غير قصد، وها هم في ابهى مظاهر غناهم.  
الراعي (للمهراج): انا سعيد بمصادفتك، يا سيدي. لقد رفضت ان تقابلني  
في ذلك اليوم لأنّي لم أولد في أحضان الوجاهة. هل ترى ثيابي هذه؟  
قل لي انك لا تبصرها، وانك تصرّ على عدم تصديق تأكيدي اني خلقت  
وجيهاً. الأولى بك ان تصرّح بأن هذه المعاطف لم تخصص لمن ولدوا  
في أحضان الوجاهة. هيا كذب ما أكرره على مسمك، وانتظر مني ما  
يبت لك اني متحدر من سلالة الأشراف الرفيعة الشأن.

اوتوليكوس: الآن ايقنت بأنك، يا سيدي، من اصل سامي المقام.

المهراج: أجل، ومنذ اربع ساعات، أنا أردد عليك ذلك.

الراعي : وأنا أيضاً، يا ولدي.

المهراج : وأنت أيضاً. غير اني كنت وجيهاً قبل ابي. لأن ابن الملك أمسك بيدي ودعاني اخاه. اذ ذلك دعا الملك ابي اخاه. حيثذ ما كان من الأمير اخي ومن الأميرة اختي الا ان دعوا والدي اباهم، وعلى هذا الأساس بكينا وكانت تلك الدموع الأولى التي زرفناها ضمن اطار الوجاهة الأصيلة.

الراعي : سنجد فسحة كافية من العمر، يا ولدي، لكي نزرع غيرها من الدموع.

المهراج : أجل، هذا صحيح، وإلا لن يسعدنا الحظ في مجال ضيق كالذي نحن نتخبط فيه.

اوتوليكوس : أتوسل اليك بتواضع، يا سيدي، ان تصفح عن كل ما اسأت به الى مقامك السامي، وإن تحدث عني مولاي الأمير بما يحسن نظرتي اليّ.

الراعي : ارجوك ان تفعل ذلك يا بني. ولتتصرف بما يليق بنا وقد بتنا الآن حقاً من الوجاهة.

المهراج (لأوتوليكوس) : ارجوك ان تصلح مجرى حياتي.

اوتوليكوس : أجل، ان كان هذا يرضي سيادتك.

المهراج : هات يدك. سأقسم للأمير مؤكداً انك من خيرة الشبان الشرفاء في بوهيميا.

الراعي : نعم، يمكنك ان تعلن هذا، انما لا تقسم يميناً لتأكيدك.

المهراج : ان لم اقسم لتأكيدك الآن وأنا وجيه سأدع حثالة الناس والقرويين يذيعونه، وأنا سأقسم وأؤكدك للملأ.

الراعي : وان كان هذا خطأ، يا ولدي؟

المهراج : حتى ان كان من افطع الأخطاء، فان الوجهه الأصيل يمكنه ان يقسم ويؤكد ذلك لمصلحة صديقه. (لأوتوليكوس) سأقسم للأمير بأنك رجل قوي مفتول الساعدين وانك لا تسكر ابداً. انا اعلم جيداً انك لست رجلاً قوياً ولا مفتول الساعدين وانك تسكر على الدوام. لكن هذا لا يهم. سأقسم بذلك لأنني أود من كل قلبي ان تكون رجلاً قوياً متين العضلات.

اوتوليكوس : سأبدل جهدي لأكون عند حسن ظنك، يا مولاي.

المهرج : أجل، وبأي ثمن، كن رجلاً شديد البأس، وإذا تجاسرت وسكرت بدون ان تكون رجلاً قوياً فأنا لن تعتريني الدهشة، وأنت يمكنك ان تحجب ثقتك عني. اسمع، ان الملوك والأمراء انسابنا ذاهبون لمشاهدة تمثال الملكة البديع الصنع. فهيا اتبعنا وستلاقي هناك سادة كرماء.

(يتمدون)

### المشهد الثالث

#### في معبد صغير ملاصق لقصر بولين

(يدخل ليوتي وبولكسان ولوريزال وبرديتا وكميلو وبولين)

ليوتي : يا بولين الكريمة الفاضلة، اشكرك على التعزية الخيرة التي جدت بها علي!

بولين : مولاي الملك المبجل، ان لم اكن دوما سالحة الاعمال، فنتي لم تكن يوماً سيئة. ولقد رددت لي جميع خدماتي أضعافاً مضاعفة. لكن فضلك الأكبر هو زيارتك بيتي المتواضع مع شقيقك المتزوج بولكسان وهذين الخطيئين ورثي عرشك، ولن انسى فضلك الكريم علي ما حيت.

ليوتي : هذا الشرف يسبب لك الإرتباك، يا عزيزتي بولين. لقد اتينا لنشاهد تمثال الملكة، وفي اجتيازنا مدخل قصرك سحرتنا التحف النادرة التي تزينة. غير اننا لم نصر ما جاءت ابنتي لتراه، ألا وهو تمثال والدتها.

بولين : عندما كانت الملكة على قيد الحياة لم يكن لها من شبيه. كذلك في ممانها، انا واثقة بأن شخصها يفوق كل ما امكنت ان تشاهده من صنع البشر. لذلك احرص عليه في مكان حريز، فهو ها هنا. فاستعد لترى المرأة المنبوذة في ابهى ما يتجلى به الموت من نوم هادىء. انظروا وقولوا

لي كم هو جميل! (تزيح ستاراً وتكشف عن تمثال هرميون). انا احب صمك لانه أبلغ ما يعبر عن دهشتك. لكن، تكلم اولاً يا مولاي. ألا تلمس قوة الشبه بينهما؟

ليونتي : هذا وضعها الطبيعي. أنحي عليّ باللائمة ايها الحجر العزيز، حتى اقول حقاً انك شخص هرميون. انت بالحري أشبه بها اذا لم تهمني، لأنها كانت تجسد الرقة والسماحة. انما لم تكن التجاعيد تشوب محياها هكذا، يا بولين، لانها لم تتقدم في السن بهذا المقدار كما تظهر الآن امامنا. بولكسان : لا، لا، لم تبلغ هذا العمر.

بولين : ان نبوغ النحات تجلّى هكذا بعظمة عندما كبرها ستة عشر عاماً، وجعلها كأنها لا تزال على قيد الحياة الى هذه الساعة.

ليونتي : أجل، لو كانت لا تزال حيّة. وهي في هذه الساعة تعيد الى أنظاري مشهداً معزياً كالشهد المؤلم الذي يعذب الآن نفسي. أجل، كانت تبرز في عينيها هذه الثقة وفي محياها هذه الحيوية والعزّة والحنية، مع انها ليست سوى حجر بارد، لكنه يذكرني بما استقبلتني به من حرارة الشوق يوم كنت أعزلها لأول مرة. لقد صعقتني براءة هذا التمثال الذي يُخيّل اليّ، وإن يكن جماداً، انه يلومني على ما قبلت به بقلب متحجّر كالصخر الأصم. هذا التمثال آية في الابداع، وعظمته الخلابة تذكرني بذنوبي تجاه من تستحق ذكراها كل اكرام وتمجيد. فعويضاً عن تقصيري حيالها، أوجه كل اعتذاري وندامتني الى ابنتها المتعجبة المتألّمة نظيري.

برديتا (جائبة على ركبتيها) : دعني أتصرف، ولا تقل ان ذلك تزلف مني اذا جشوت والتمست بركتك. يا سيدتي الملكة العزيزة، انت التي انهيت حياتك عندما كدت ابدأ انا حياتي، هاتي يدك لأقبلها تقديراً وتيمناً. بولين : صبراً، يا عزيزتي، فالتمثال قد تمّ صقله من عهد قريب جداً ولم يجفّ بعد طلاؤه.

كميليو (لليونتي) : ان أملك، يا مولاي، لا يزال حياً بقدر ما هو جرح فؤادك عميق، اذ ان ستة عشر شتاء لم تبرّد رياحها العاصفة لظي عذاب نفسك المبرح. وما خالج شعورك من فرح في هذه الأثناء، لم يعش طويلاً،

لأن الألم لا يزول الا عندما يرتاح الضمير من تأنيب صاحبه بعد الندم والتعويض عن الإساءة.

بولكسان : اخي العزيز، اسمح لمن سبب لك هذا العذاب ان يادر الي تخفيف حزنك بما يشاطرك اياه من الأسى والأسف.  
ليونتي : لا تسدلوا الستار.

بولين : لا لزوم لأن تطيل النظر اليها، لكلا يخيل اليك انها ستتحرك عما قريب.  
ليونتي : كما تشائين. كم اود ان اموت لأنني لم اعد قادر على تحمل عبء شقائي. من صنع هذا التمثال؟ ألا يخيل اليك، يا مولاي، انها تتنفس وان الدم الذي يملأ عروقها لن يلبث ان يدور في انحاء جسمها؟  
بولكسان : هذا عمل جبار يشهد على عمق فذة حتى ليظن الناظر اليها كأن حرارة الحياة تدب في أوصالها وتتجلى على شفيتها.  
ليونتي : لست أدري ما تنطوي عليه نظرة هاتين العينين النجلارين من حركة براءة تمجد نبوغ صانعها.

بولين : سأسدل الستار، لأن تأثير مولاي تعدى كل الحدود، حتى ظن ان التمثال ينبض بالحياة.  
ليونتي : آه يا بولين الحلوة، ارجوك ان تدعيني أعتقد بذلك مدة عشرين سنة متتالية. لأن كل حجج الدنيا المقبولة لا تساوي لحظة سعادة في هذا الأمل. فدعيني املاً نظري منها.  
بولين : انا حانقة، يا مولاي، لأنني تركت كل هذا التأثير الذي يزيدك حيرة وتفجماً.

ليونتي : اكملني، يا بولين، لأن هذه الحسرة عزيزة على فؤادي كأخلص التعزيات القلبية. مع ذلك يخيل لي ان نسمة من غيرها تهب علي وتنعشي. ما ابرع الإزميل الذي نحت هذا التمثال الناطق البليغ. ارجو ان لا يسخر احد مني ان وددت ان أقبله.  
بولين : تمالك نفسك، يا مولاي الرزين. ان الطلاء لا يزال رطباً على شفته وأخشى ان تشوهه بتقيلك اياه، وأن توسخ شفتك بزيت دهانه. هل أسدل الستار؟

ليونتي : كلا. ليس قبل مرور عشرين سنة.  
برديتا : وأنا سأظل طوال هذه المدة من المتأملات.

بولين : قفوا حالاً عند هذا الحد وغادروا المعبد، وإلا استعدوا للمفاجأة الجديدة. اذا كان لا يزال لكم قوة نظر تطلّعوا جيداً على التمثال كي أجعله يتحرك فعلاً، وأدعه ينزل عن قاعدته ويصافح يد كل منكم مسلماً. انما ارجو ان لا يخامر أذهانكم ابداً، وهذا ما أتمسك به، بأن قوى الشر تساعدني على تنفيذ ما افعل.

ليونتي : يسعدني ان اشاهد وأسمع كل ما تتوصلين الي حملها على عمله وعلى قوله، اذ ان الأسهل عليك ان تدعيها تنطق من ان تدعيها تتحرك. بولين : لا بد لك من ان تستعيد ايمانك بالواقع. ظلوا جميعاً في امكتكم بدون حراك، وان كان فيكم من لا يصدق أذنيه وعينه، فالأولى به ان ينسحب فوراً.

ليونتي : تصرفي. فلا احد منا يغادر مكانه.

بولين : اصدحي ايها الموسيقى، وأيقظيها من سباتها. (تسمع انغام موسيقية) حان الوقت، فانزلي عن قاعدتك. كفي عن ان تظلي حجراً. تقدمي وأدهشي جميع من ينفرون فيك مدهوشين. هيا سأردم قبرك، فتحركي وسيري. (تنزل هرميون بهدوء عن القاعدة. لليونتي) ها هي تتحرك كما رأيت. لا تراجع، ان حركتها بريئة طبيعية كما ان تصرفاتها شرعية. لا تتجنبها قبل ان تراها مائة ثانية، وإلا تكون قتلها مرة اخرى. هيا مد اليها يدك. عندما كانت صبية، التمسنت انت رضاها، اما الآن بعد غيابها، فقد بات عليها هي ان تلمس محبتك وعطفك. (تفتح له هرميون ذراعها. ويادار ليونتي الي معانقتها).

ليونتي : انها ليست باردة. فاذا كان هذا سحراً فان تعاطي السحر يغدو هكذا حلالاً وضرورياً اكثر من التغذية.

بولكسان : ها هي تقبله.

كميليو : وتطوّق عنقه. ان عادت حقاً الى الحياة، فلتكلم اذاً.

بولكسان : أجل، ولتشرح لنا كيف قامت من بين الأموات، وأين عاشت طوال هذه المدة؟

بولين : اذا كنتم، برهاناً على وجودها حية، تكفون بشهادتي وتأكيدي، فستضحكون كأنكم تستمعون الى حكاية خرافية قديمة. انما لا مجال لأي شك في انها حيا، وان لم تتكلم. اصبروا قليلاً. (لبرديتا) ارجوك ان تتدخلني ايها السيدة اللطيفة. اركعي واطلبي بركة والدتك (لهرميون) التفتي، يا سيدتي. ها ان عزيزتنا برديتا المفقودة وُجدت.

(نشير الى برديتا التي ترسي على صدر امها)

هرميون : ايها الآلهة، اخفضي انظارك، وانثري بركاتك كالورد على رأس ابنتي. قلولي لي يا حبيبتي، من الذي عثر عليك ورياك؟ اين عشت؟ وكيف اهتديت الي بلاط ابيك؟ اسمعي، انا علمت من بولين بأن وصية الآلهة جعلتها تأمل حتى الآن بوجودك على قيد الحياة. وانا تجلدت طويلاً لأرى هذه الخاتمة السعيدة.

بولين : ستقص عليك ذلك فيما بعد، خشية ان يمكر فرحكما بعض التفاصيل الكيبية. اذهبوا معاً، يا من يسركم ان تكتسبوا خير عبرة من هذه الأحداث. دعوا الجميع يشاطرونكم بهجتكم. أما انا العجوز الثرثرة فسأنطوي على نفسي تحت اغصان جافة، وهناك سأندب الرفيق الذي لم أعثر عليه رغم البحث طوال حياتي، وابكي حتى تضمحل آمالي وأحلامي.

ليونتي : هدئي روعك يا بولين. عليك ان تقبلي العريس الذي أقدمه الآن لك كما استلمت من يدك المرأة التي احببتها في الماضي. هذا اتفاق بيننا اقسم وأصر على تنفيذه لا محالة. لكن كيف وجدت لي زوجتي؟ هذا ما لا بد لك من شرحه لي. لأنني شاهدتها ميتة، كما خيل لي، وقد رددت كلاماً كثيراً فوق ضريحها. انا لا اريد ان اذهب في البحث بعيداً، لأنني اعرف جيداً عواطفها ورغبتها هي ايضاً في ان تجد لك زوجاً جديداً شريفاً لا تقاً. اقترب، يا كميليو، وتناول يدها، انت الذي تخولك ماترك ونبالتك هذا المجد الرفيع بأن يحييك ملكان دفعة واحدة. لنخرج من هذا المكان (لهرميون) تطلعي اذاً الى اخي، وسامحاني كلاكما، لأنني نظرت الى ما

يكُنهُ كل منكما من مودة نحو الآخر بعين الغيرة والحسد. (يشير الى فلوريزال وهرميون) هذا هو صهركما، ابن الملك بولكسان الذي شاءت السماء ان يكون خطيب ابنتي. خذينا، يا بولين الكريمة، الى حيث نستطيع الاستفسار بهدوء، لتلقى الأجوبة عن الدور الذي قام به كل منا ضمن الفترة الزمنية الطويلة التي فصلت بيننا. هيا خذينا.

(بخرج الجميع).

﴿ تَمَّت ﴾











Bibliotheca Alexandrina

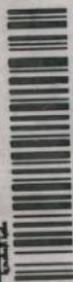


0463862

Small, faint text at the bottom right of the page, possibly a library or archival stamp.

Very small, faint text at the bottom right corner, likely a page number or reference code.

Bibliotheca Alexandrina



0463862